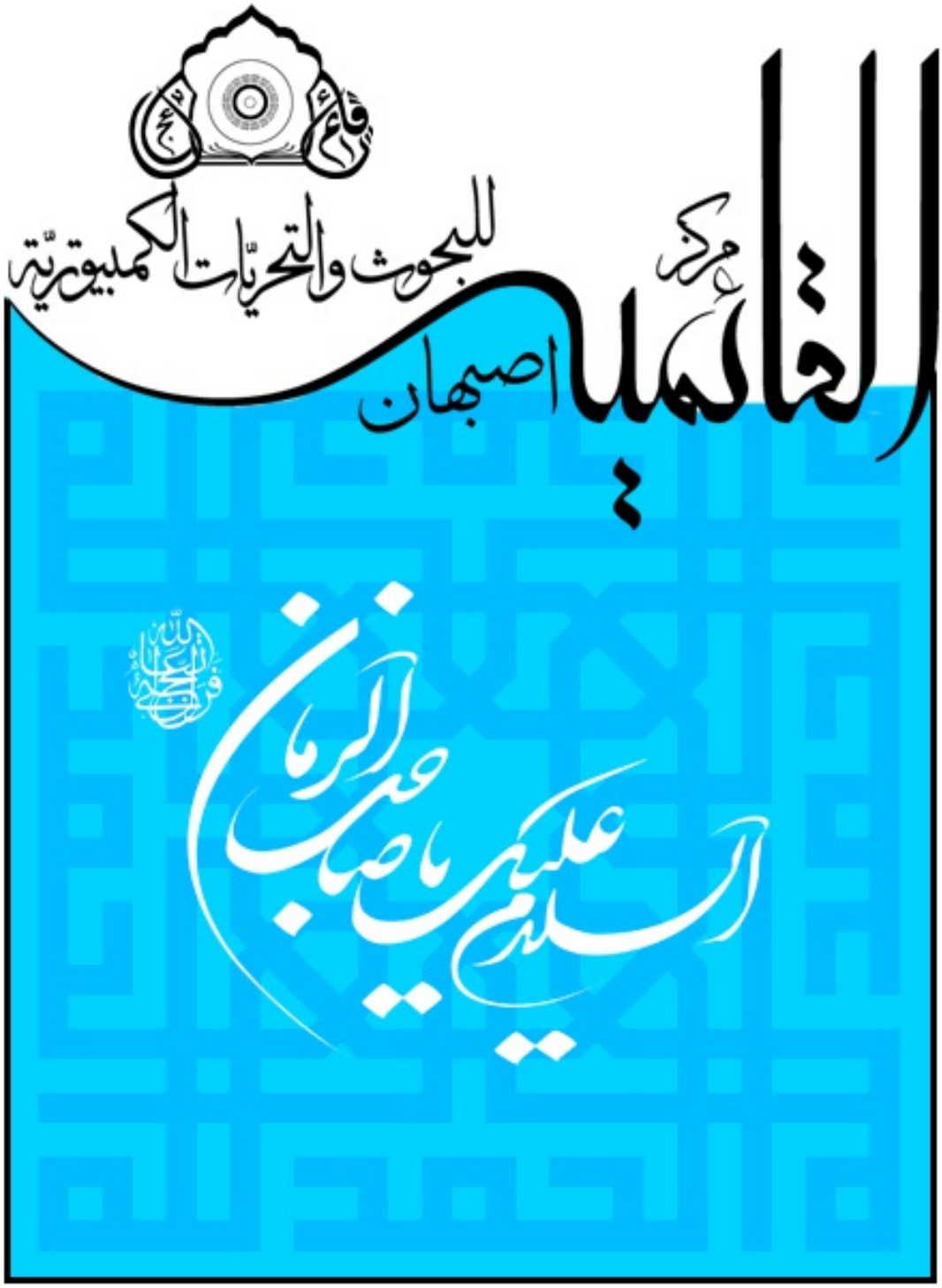

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام موسى الكاظم عليه السلام

الق الفكر و اصاله الانتما

نبيل على صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الق الفكر واصاله الانتما

كاتب:

نبيل على صالح

نشرت فى الطباعة:

الغدير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام موسی الکاظم (علیه السلام) الق الفکر واصاله الانتما ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
کلمة المرکز ----- ۱۱
مقدمة المؤلف ----- ۱۲
التعریف بالمنهج العلمی فی البحث التاریخی ----- ۱۲
الزمر بین التقدیس و الروح العلمیة المجردة ----- ۱۲
تاریخ الرمز و مسؤولیة المثقف الاسلامی ----- ۱۳
امتداد النبوة و عطر الرسالة ----- ۱۴
محطات تاریخیة هامة من حیاته ----- ۱۴
لمحة موجزة عن سیرته المبارکة ----- ۱۴
ولادته، عصره، وفاته ----- ۱۴
سؤال و جواب (استنتاج عام) ----- ۱۵
فعالیته التاریخیة و نشاطاته الفکریة و العملیة ----- ۱۶
حرکیته العلمیة و أبرز تلامیذه و أصحابة ----- ۱۶
اشاره ----- ۱۶
علی بن یقطین بن موسی البغدادی ----- ۱۷
یونس بن عبدالرحمن ----- ۱۸
محمد بن عمیر ----- ۱۸
صفوان بن یحیی بیاع السابری ----- ۱۸
عبدالله بن المغیرة البجلی ----- ۱۸
الطریقة الموضوعیة الفعالة فی کیفیة دراسة تاریخ الأئمة و طریقة و عی فکرهم و استلهام دورهم فی القضایا المعاصرة ----- ۱۸
اشاره ----- ۱۸

مقدمات أساسیة فی وعی التاریخ الاسلامی ----- ۱۹
نموذج تاریخی امامی للاستخدام الفعال للتاریخ ----- ۲۰
الجانب العملی و التربوی فی حیاة الامام الکاظم ----- ۲۱
مقدمة عامة عن الأجواء التی عاصرها (المتغیرات التاریخیة الذاتیة فی مسیرة الدعوة الاسلامیة) ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
مظاهر التنابذ و الخلل السیاسی و صراع الأهواء ----- ۲۲
تشکل المذاهب الفقهیة الکلامیة ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
شیوع الانحرافات الفکریة و مظاهر التحریف الخطیرة فی مضامین الرسالة الاسلامیة ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
الانحرافات فی الواقع الفکری العقیدی ----- ۲۳
الانحرافات فی طبیعة فهم النص القرآنی ----- ۲۳
فی مجال التاریخ السلامی ----- ۲۳
اتساع ظاهرة الوضع فی الأحادیث الشریفة ----- ۲۳
الامام الکاظم فی مواجهة الواقع المنحرف ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۴
مظاهر الخط العلمی و التربوی العام ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۵
العمل علی ایجاد حرکة علمیة وثقافیة واسعة و نشیطة جدا ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
تحصین الفکر الاسلامی و حمایته من التیارات المنحرفة الفاسدة و لو ثات الأفکار الجاهلیة المشبوهة ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
العنوان العقائدی: التصدی لتیار الزندقة و الالحاد ----- ۲۵
العنوان التشریعی ----- ۲۶

العنوان الروحی و المعنوی ----- ۲۶
اشاره ----- ۲۶
اهتمامه بالحکم و المواعظ و الارشادات العامة ----- ۲۶
تزکیزه علی الأدعیة ----- ۲۷
التأسیس لنموذج القدوة ----- ۲۸
ممارسة الاصلاح الاجتماعی و محاولة رفع المعاناة و غائلة الظلم عن الناس ----- ۲۹
مظاهر الخط العلمی التربوی الخاص ----- ۳۰
الشد و الجذب العاطفی العملی ----- ۳۰
تعمیق الاحساس بوجود الله و مراقبته و الیقین به ----- ۳۰
الترکیز علی تحلی الأصحاب بالخصال الأخلاقیة الرفیعة ----- ۳۰
رفضه للکبر و المتکبرین ----- ۳۰
مجالسة أهل الدین و الأخلاق و مشاورة العقلاء ----- ۳۰
الصمت الایجابی ----- ۳۰
ضرورة محاسبة النفس بشکل یومی ----- ۳۱
التربیة علی الصمود و الصبر و الثبات ----- ۳۱
الصبر علی الحکم الجائر ----- ۳۱
الصبر علی الطاعات ----- ۳۱
التفقه فی الدین ----- ۳۱
تأملات حول الواقع الحضاری الاسلامی الراهن (تحدیات الواقع و آفاق المستقبل) ----- ۳۱
اشاره ----- ۳۱
فی المجال السیاسی و الاقتصادی ----- ۳۴
فی المجال الحضاری و الثقافی ----- ۳۴
الحیاة السیاسیة للامام الکاظم ----- ۳۶
اشاره ----- ۳۶

معاصرته لنهایة الدولة الأمویة ----- ۳۷
الکاظم و عهد العباسیین ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
موقفه المبدئی من حکام الجور و زعماء (الملک العضوض) ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
فی عهد المنصور الدوانیقی ----- ۳۹
فی عهد المهدی ----- ۴۰
فی عهد الهادی ----- ۴۰
فی عهد هارون (الملقب بالرشید؟) ----- ۴۰
اشاره ----- ۴۰
السبب الرئیسی لاعتقال الامام ----- ۴۱
من معالم و اتجاهات الفکر السیاسی الاسلامی عند الامام الکاظم ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
نموذج من أسلوب و عمل الکاظم فی الخط الاصلاحی والتغییری ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
العمل السری ----- ۴۳
العمل العلنی ----- ۴۵
الحفاظ علی المفهوم النقی للقیادة السیاسیة و تثقیف الأمة به ----- ۴۵
العمل علی اعادة الصیغة السیاسیة الأصیلة الی واقع الحیاة الاسلامیة ----- ۴۶
مخططات الحرکة التغییریة و أسس صیاغة برامجها الشاملة ----- ۴۷
بناء و تأسیس الوعی الثوری بالاسلام من خلال الحدث الکربلائی ----- ۴۷
اشاره ----- ۴۷
مناسبة کربلاء بین الاستغراق فی التاریخ و تحریک قیم التاریخ فی الواقع ----- ۴۸
عمل الامام الکاظم فی مجال التوعیة السیاسیة و العقائدیة ----- ۴۹

الامام کاظم نبراس حضاری و رؤیة معاصرة ----- ۵۴
اضواء علی شخصیة الامام الکاظم و صفاته الأخلاقیة الرفیعة ----- ۵۴
خصاله النفسیة العالیة ----- ۵۴
اشاره ----- ۵۴
سمو أخلاقه وسعة صدره ----- ۵۴
کرمه و سخاؤه و زهده فی الدنیا و مغریاتها ----- ۵۵
عبادته و تقواه ----- ۵۵
نماذج منتقاة من جوامع کلمه و درر حکمه ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
التقوی و العمل الصالح ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
تقوی الفکر (الخط الفکری) ----- ۵۶
تقوی القلب (الخط العاطفی) ----- ۵۶
تقوی الحرکة (الخط الحرکی) ----- ۵۷
محاسبة النفس (النقد الذاتی) ----- ۵۷
اشاره ----- ۵۷
النقد الذاتی المرفوض ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
النقد الذاتی الموضوعی المقبول ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
تساؤل و استنتاج نقدی ----- ۶۰
العلم و المعرفة ----- ۶۲
الرفق و اللین ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴

ملاحظة حول واقعية الأخلاق و القيم الاسلامية ----- ۶۷

القواعد الأساسية لنظام القيم الأخلاقية و العلاقات الاجتماعية الاسلامية على ضوء معطيات الفكر الاسلامى عند الامام الكاظم ----- ۶۸

پاورقی ----- ۷۰

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۸۴

الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الق الفكر واصاله الانتما

اشارة

سرشناسه : صالح، نبيل على

عنوان و نام پديدآور : الامام موسى الكاظم الق الفكر واصاله الانتما/ نبيل على صالح

مشخصات نشر : بيروت : الغدير ، ۱۹۹۹م. = ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۸.

مشخصات ظاهرى : ص ۱۸۲

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

يادداشت : كتابنامه: ص. ۱۷۹ – ۱۷۳؛ همچنين بصورت زيرنويس

موضوع : موسى بن جعفر (ع)، امام هفتم، ۱۸۳ – ۱۲۸ق. -- سرگذشتنامه

رده بندى كنگره : BP۴۶/ص۲الف۸

شماره كتابشناسى ملى : م۸۱-۲۳۶۱۴

كلمة المركز

كان الامام موسى بن جعفر، الكاظم عليه‌السلام، فى الخامسة من عمره عندما انتقل الحكم من السلطان الأموى الى السلطان العباسى، و كان المسلمون يأملون فى أن يتولى أمورهم «الرضا من آل محمد»، فيمضى بهم وفق النهج الاسلامى القويم، و هذا ما كانت الدعوة للتغيير ترفعه شعارا، غير أن الأمل خاب، و سمع المسلمون، فى يوم غرفة، أباجعفر المنصور، الدوانيقى، يخطب فيهم، و يحدد نهجه السياسى فيقول: «أيها الناس، ان بكم داء هذا دواؤه [مشيرا الى السيف] و أنا زعيم لكم بشفائه، فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به». و لم يطل الأمر بالسلطان، الحامل سيف النقمة دواء، أن نفذ وعيده، و سلم مفاتيح «كنزه» الى خليفته، و أمره بتغذيته، و كان فى هذا الكنز ما يزيد على مئة قتيل من العلويين. فى هذه الآونة، كان الامام الكاظم عليه‌السلام فتى فى العاشرة من عمره، يعانى ما يعانيه آله من هذا الطغيان من نحو أول، و ينهل من علوم والده الامام جعفر الصادق عليه‌السلام من نحو ثان، و قد غدت دارته مدرسة عامرة يؤمها طالبو المعرفة، من مختلف البلدان الاسلامية، يتزودون علوما تجيب عن الأسئلة الكثيرة التى طرحت فى تلك المرحلة التى كانت مرحلة تأسيس الثقافة الاسلامية و تكون المذاهب الفقهية الكلامية. كان الامام الصادق عليه‌السلام يسعى، و قد بلغ طغيان السلطان ما بلغه، الى تكوين الأمة المؤمنة الواعية، و وجد فى نجله الامام موسى عليه‌السلام الصفات التى تؤهله لأن يكون القائم بالأمر من بعده، فقال فيه ما معناه: عنده المعرفة بما يحتاج اليه الناس و الحكمة و الفهم و السخاء. [صفحه ۶] عاش الامام الكاظم عليه‌السلام عشرين سنة فى كنف أبيه و رعايته. و لما تولى الأمر من بعده، مضى على نهجه، فى تكوين «الكتلة البشرية المؤمنة، صادقة الايمان»، من دون أن يفرط فى حق، فعندما خاطب هارون الرشيد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، أما الناس بقوله: السلام عليك يا ابن‌العم، بادر الامام الكاظم الى مخاطبته صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: السلام عليك، يا أبت. فثارت ثائرة السلطان، الحاكم باسم الاسلام، و بسبب قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و زج بحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فى السجن... و بقى الامام عليه‌السلام فيه يتنقل من سجان الى آخر، و كان السجانون يتباركون به، الى أن انتقل الى رحمة الله سبحانه و تعالى. يمثل الامام موسى الكاظم، فى شخصيته و سيرته و مواقفه...، رمزا من رموز مقاومة الانحراف الذى آل الى الطغيان، و اتخذت مقاومته سبلا شتى، و فى مختلف ميادين الحياة. و المؤلف، اذ يعى هذا، و يدرك دور التاريخ و دور قادته الكبار فى تكون شخصية الانسان، يقدم على تأليف هذا الكتاب لعله يسهم فى تأسيس مستقبل مشرق للأمة...، فيبحث فى قضيتين مركزيتين: أولاهما: الامام الكاظم امتداد للنبوة، و يتمثل هذا

الامتداد فى حياته، و المهمات العلمية و التربوية التى نهض بأدائها، و ثانيتهما: الامام الكاظم نبراس حضارى، و يتمثل هذا النبراس فى نظام القيم السياسية - الاجتماعية - الأخلاقية... الذى انتهجه الامام الكاظم... يهدف هذا الكتاب الى تقديم معرفة تسهم فى تأسيس هوية الأمة، و يقتدى مؤلفه، فى سعيه، بنهج الأئمة الأطهار، فعسى أن يكون قد وفق، و الله الموفق فى كل حال. مركز الغدير للدراسات الاسلامية [صفحه ۷]

مقدمة المؤلف

التعريف بالمنهج العلمى فى البحث التاريخى

بسم الله الرحمن الرحيم يمثل المنهج الأسلوب أو الطريقة المنظمة التى يبنى عليها الباحث، فى مجال فكرى و ابداعى، دراساته و أفكاره، و ينظم على أساسها استنتاجاته و نظرياته. و من الضرورى لأى بحث أو دراسة علمية أن تستهدى بمنهجية معينة تبعد الباحث عن متاهات الفوضى و الاضطراب و الاهتزاز فى النتائج و الآراء، كذلك من الضرورى أن يحدد الباحث، لكل موضوع من موضوعات العلم و المعرفة البشرية، نهجه الخاص و أسلوبه المميز و طريقته البنائية التى تناسب وضعه، و حجمه، و حالته الخاصة و العامة، فيكون للعلوم الطبيعية منهجها المناسب لها، و لكل من الفقه و العقائد و الفلسفة و العرفان، منهجه الخاص. أما على الصعيد التاريخى فاننا نجد أن البحث فى هذا الحقل يعتمد على أن للتاريخ طريقته، و منهجيته، و أساليبه، و أدواته الخاصة فى فهم حركة الأحداث، و المواقف، و الأدوار، و العوالم الماضية. فالتاريخ ذاكرة الأفراد و الأمم، تتكون به شخصيتها و معالم هويتها، و اليه تعود فى منعطفاتها، و تقلباتها الخطيرة، و به يتقوى وجودها و يتزايد نشاطها و فعاليتها فى مواجهة متغيرات الواقع و صراعات الحياة داخل الأمة و خارجها، [صفحه ۸] لذلك لم يكن غريبا، و الحال هذه، أن تعرف الأمة بأنها جماعة من الناس تكونت تاريخيا، أى أصبح لأفرادها و مختلف فئاتهم و شرائحهم و طبقاتهم، ذاكرة جماعية مشتركة، أو تاريخ جماعى مشترك ساهم فى صهر تلوناتهم و تنوعاتهم، و ولد لديهم نوعا من التشابه النسبى فى النظر الى أمور الحاضر و فى الحكم عليه و الانفعال بها و الاستجابة لها [۱] . من هنا يكون تعاطى الأمة مع ماضيها التاريخى الذى تختزنه ذاكرتها الجماعية كتعاطى الفرد مع مخزون ذاكرته الذى كونه عبر مسيرته فى الحياة، كلاهما يريد أن يتعامل مع البعد التاريخى له - على اختلاف الظروف و المسببات و النتائج - من موقع اهتمامه بواقع الحال الراهن، أى بوحى من متطلبات الحاضر و همومه و شؤونه و شجونه و أحواله المختلفة، فينتقى منه ما يساعد على فهم و وعى ما يواجهه من مستجدات طارئة أو مستديمة، و يعين على اجتراح الحول له و الاستقطاب لانجاز هذه الحلول، لذلك فكلاهما لا يستعيد من الماضى الا ما تكون له هذه الصفة أو القدرة، أما الباقى فانه لا يمحى و لا يزال بل يظل مخزونا احتياطيا، يغترف منه متى دعت حاجات راهنة أخرى. اننا نعيش فى ظل ظروف ضاغطة و قاهرة، أحوج ما نكون فيها الى هذه الاستعادة و ذاك الاغتراف الواعى و المدروس فى أحداث التاريخ و قضاياه، لا على أساس أن يكون ذلك عاطفية من اللوعة و الحنين (بالمعنى السلبى) لأحداث و ذكريات تاريخية مرت، نريد سحبها و تطبيقها فى زماننا الحالى، ولكن على أساس أن تكون استعادتنا تلك، استجابة واعية لمهمة راهنة أو مستقبلية بعد خضوعها لمتغيرات و تحولات تجعلها صالحة للنمو، و الامتداد، و التعلق فى ساحات الحياة الراهنة و المنظورة. بهذا المعنى نحن نريد للتاريخ العربى و الاسلامى النهوض و الارتقاء باتجاه المسؤوليات الجسام فى خضم الحياة المعاصرة، فى حاضر الأمة، من أجل التفاعل مع الصعوبات التى تعترضها، و التحديات التى تواجهها، [صفحه ۹] و الطموحات التى تسعى جاهدة لنيلها أو تحقيق بعض مطالبها الأولية.

الزمر بين التقديس و الروح العلمية المجردة

نعلم جميعا أنه يوجد فى تاريخ كل شعب من الشعوب أشخاص يحيطهم بهالة من التقديس، و الاجلال، و الاحترام، و الهيبة، و يجعلهم نماذج راقية يتطلع نحوها باستمرار، و ينسج حولهم الكثير من القصص و الروايات و الحكايا تختلط فيها أساطير الخيال بوقائع الأرض. أما فى تاريخنا الاسلامى فاننا نجد أن هناك كثيرا من تلك الشخصيات و الرموز المقدسة التى اختلطت وقائع حياتهم بما نسجته مخيلة الناس عنهم و حولهم من أساطير و خرافات، يصعب على المرء أن يميز فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود (الواقع من الخيال) [۲] ، كما و نجد، فى الوقت ذاته، أشخاصا و رموزا مقدسة معروفة بوقائع حياتها، و بأفكارها، و مآثرها، و ابداعاتها. و الباحث فى مجال تاريخنا الاسلامى يلاحظ أن التقديس و التبجيل الذى تكنه الأمة لبعض رموزها و عناوينها الكبيرة يرتكز على أحداث و وقائع تاريخية ملموسة، مارس فيها الشخص المقدس أدوارا معروفة، و التزم بمواقف حاسمة ساهمت فى انتاج، و بلورة، و صياغة قيم الاسلام و مبادئه و أنساقه الحضارية، و حققت للأمة الكثير من نجاحاتها و انتصاراتها، و عملت على انهاضها من كبواتها و سكناتها السياسية و الفكرية، و الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه‌السلام أحد هؤلاء الأعلام و الرموز العظيمة التى جاءت قيمتها و قدسيتها و عظمتها انطلاقا من الدور التاريخى الحيوى و الهام الذى قام و مثلته الأحداث، و النصوص، و المواقف فى تكوين عناصر شخصيته و بلورة معالم صورته. ان اعتقاد بعض المسلمين بقدسية الامام عليه‌السلام ليس مانعا من انجاز [صفحه ۱۰] الدراسة العلمية و الموضوعية للتاريخ الذى مارسه و المواقف التى التزمها، لأنه عليه‌السلام كان يريد للناس أن يفهموا أنه انسان مثلهم يخضع، كما يخضعون، للسنن التاريخية الالهية فى كل تصرفاته و أحواله، بما فيها تصرفاته و أفعاله المعرفية الاستدلالية. ان احترامنا لشخصية الكاظم عليه‌السلام ينبنى على الحقيقة الموضوعية العميقة و الدقيقة و المجردة عن النزعات و الأهواء الذاتية، مع ضرورة الأخذ بمبدأى السببية و الحتمية [۳] ، لفهم وقائعها و أحداثها و أعمالها التى قامت بها، و التوجه الى العقل و المنطق، بعيدا عن العاطفة و الخيال، و هذه الطريقة [۴] فى و عى الشخصية المقدسة، تستهدف أساسا المعرفة و التأسيس العقلانى لمستقبل الأمة فى سعيها الحثيث لبناء حاضر أفضل و غد واعد مشرق من خلال تنقية أجوائها التاريخية و تأسيس هويتها العقائدية و الحضارية و الدفاع عنها و الحفاظ عليها. [صفحه ۱۱]

تاريخ الرمز و مسؤولية المثقف الاسلامى

تحرك امامنا الكاظم على طريق بناء الفكر الحى المنفتح القادر على اثارة النفوس و تحريك العقول نحو الحق و العدالة، لم ينفصل عن محيطه الزمانى و المكانى بعيدا عن التأثير أو التفاعل مع حركة الأحداث التى عايشها، بل على العكس من ذلك، كان يتحرك فى عمق الأصالة و الانتماء للفكر و الحياة و الانسان فى وعى التجربة الواقعية للوجود الانسانى الحى، مرتبطا بحركية الهدف الاسلامى الكبير بكل قوة و ايمان و تخطيط على التحرك فى خط الله و رسوله، من أجل السير بالأمة نحو مواقع العطاء و التطور و الكمال الحضارى سياسيا و اجتماعيا و ثقافيا. من هنا نقول: ان وعى تجربته التاريخية عليه‌السلام و استلهام دوره و فكره فى حجم الحياة كلها هى من أولى واجبات و مهام المثقف الملتزم فى ممارسته للنقد التاريخى البناء الهادف الى توليد مجتمع اسلامى حضارى و رسالى قادر على مواكبة التطور و الاستجابة لتحديات الواقع و الحياة لأن نقد التاريخ بأشخاصه، و رموزه، و معطياته المختلفة، يعنى أن يبقى الانسان فى حالة انفتاح فكرى متحرك ليؤكد على مسؤولية كل جيل، فى التاريخ، تجاه مكتسباته و أعماله الفكرية و العملية، و هذه المسؤولية الكبيرة مارسها القرآن الكريم فى نقده لكل أفكار و تجارب الماضين و خاصة التاريخ الماضى الذى كانت تعيشه الأمة التى نزل فيها القرآن، (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون) [البقرة: ۱۳۴] لذلك ان بناء الحضارة الانسانية ليس رهنا بتراث و تاريخ الماضى فقط - على علات و سلبيات ذلك التاريخ - و انما بمختارات مدروسة و محسوبة حسابا دقيقا من التراث، تنسجم و طبيعة العصر و روحه، من حيث امكانها أن تكون حجرا أساسا، أو منارا هاديا للدخول الى المستقبل بقوة، و وعى، و تخطيط ان المهمة ثقيلة و الواجب كبير فى اخراج تاريخنا الماضى فى الدهاليز المظلمة و المجاهيل البعيدة بطريقة

مركزة و هادفة، و اطلاقه الى ساحة النقد التاريخى العلمى و الموضوعى. [صفحه ۱۲] اننا سنحاول، فى الصفحات القادمة، التحرك على هذا المسار العلمى فى فهم تاريخ و فكر و حياة الامام الكاظم عليه‌السلام، و كيفية الارتباط به [۵] ، و الاستفادة من خبراته و استلهام تجاربه فى واقع الحياة المعاصرة بما يخدم قضايانا و مشاكلنا التى نعيشها حاليا، و ينسجم مع توجهاتنا و تطلعاتنا نحو انجاز مشروعنا الحضارى الاسلامى فى دائرة الصراع الحضارى الراهن الذى يجب أن يثير فى نفوسنا بواعث الحركة الفاعلة و الطاقة المنتجة من أجل الاسلام المتحرك فى الفكر و القلب و الحياة. و الحمد لله رب العالمين نبيل على صالح ۱۴۱۸ ه - ۱۹۹۷ م [صفحه ۱۵]

امتداد النبوة و عطر الرسالة

محطات تاريخية هامة من حياته

لمحة موجزة عن سيرته المباركة

ولادته، عصره، وفاته

ولد الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام الملقب بالكاظم فى الأبواء [۶] فى السابع من شهر صفر سنة ۱۲۸ للهجرة [۷] . و قد حفلت تلك المرحلة التاريخية من حياة أمتنا - التى عاصرها امامنا عليه‌السلام - بالعديد من الأحداث السياسية و التحولات الاجتماعية الخطيرة على صعيدها الذاتى الداخلى المتصل بحركية المضمون الواقعى لرسالة الاسلام، و على صعيدها الموضوعى الخارجى فيما مثلته (و تمثله) حركة الدعوة الاسلامية بامتداداتها الانسانية العالمية فى مسيرتها الحضارية [صفحه ۱۶] المتصاعدة نحو مواقع أرقى فى السلوك، و العمل، و الممارسة الواعية و المنظمة. و الواضح، بالنسبة للباحث فى مجال المعارف التاريخية، أن هناك تشابها ملحوظا فى النسق العام للظروف التاريخية التى عايشها أئمة أهل البيت عليهم‌السلام فى طبيعة الحدث المستجد و الظرف القائم. على اختلاف مظاهره و أنماطه و خصائصه الذاتية، فالمضمون - كما يبدو - واحد لا يختلف. انه المضمون الرسالى الهادف الى بناء أمة مقتدرة لها كيانها و وجودها الحضارى و فعلها الابداعى فى حركة الحياة فى سبيل تحقيق غاية التكامل الممكن و الوصول الى السعادة و الهناء. و فى مقابل ذلك، هناك المضمون الانحرافى الآخر الذى ينزع بقوة نحو الشخصانية و الذاتية على حساب مصلحة الأمة حيث نجد - فى هذا الاتجاه - كيف عاشت هذه الأمة أجواء الضلال و الانحراف فى ممارسة الحكم و السلطة السياسية و الاجتماعية منذ أن نجحت بعض المشاريع التفتيتية [۸] فى تحقيق أهدافها و مراميها التى قضت بايصال مشروع الهيمنة و الطغيان النفسى و السلوكى الى سدة الحكم باعتباره مشروعا، طموحا غرائزيا شخصيا، لم يتجاوز، فى حده الأعلى، أهواء و نزعات واضعيه و القائلين به. ان المتابعة التحليلية الدقيقة لذلك العهد تفيدنا بأنه لم يمض ربع قرن [صفحه ۱۷] حتى بدأت الخلافة الراشدة و التجربة الاسلامية - التى تولى جيل المهاجرين و الأنصار قيادتها - تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التى وجهها أعداء الاسلام الجدد (أحفاد أعداء الاسلام القدامى) ولكن من صميم و من داخل التجربة الاسلامية لا من خارجها، اذ استطاعوا أن يتسللوا الى مراكز النفوذ فى التجربة بالتدريج، و يستغلوا القيادة و يجبروا الأمة و جيلها الطليعى الرائد الواعى و الواعد على التنازل عن شخصيته و قيادته، و تحولت الزعامة الى ملك موروث «ملك عضوض» يستهتر بالكرامات، و يعطل الحدود، و يمجد الأحكام، و أصبحت الخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بنى‌أمية [۹] ، و فريسة سهلة يفتك بها طواغيت بنى‌العباس. اذا شهدت تلك المرحلة العصيبة اضطرابات و نزاعات اجتماعية، و سياسية اندفعت آثارها المفجعة الى السطح بسرعة من خلال ظهور الأزمات و النكبات العاتية [۱۰] التى خطط لها و نظم حركتها زعماء النهج الجاهلى فى تاريخنا العربى و الاسلامى، و ذلك بقصد حرف الأمة عن مسيرتها الارتقائية الحضارية فى التكامل الروحى و المفاهيمى، و النيل من العمق الواعى للاسلام الرسالى المنفتح المتجذر فى وعى أهل البيت عليهم‌السلام حيث أدت تلك الأفعال المشبوهة، ذات المنطق

العائلى الضيق المخالف لروح و قيم الاسلام الأصيل، الى ابتعاد المسلمين عموما عن ممارسة التجربة الصحيحة و الواعية للاسلام، و ادخالهم فى متاهات الحفر الطائفية البغيضة، المعبرة عن ميل انحدارى شديد نحو كرسى الحكم و عرش السلطنة، حتى لو كلف ذلك الأمة خسارة نهجها المشرق، و طموحات رسالتها الانسانية و منظومتها الفكرية و القيمية. لقد استنزفت تلك الأحداث الكارثية الشيء الكثير من طاقات و مواهب [صفحه ۱۸] الأمة، كما و أهدرت مقدراتها و امكانياتها التى كان من المفترض أن تشكل الأساس المتين لبناء قاعدة اسلامية صلبة فى العمل الدعوتى الرسالى على مستوى تبليغ و نشر الاسلام الى كافة الأرجاء و الأنحاء، و بالعودة الى المراجع التاريخية المعتمدة كمصادر دراسية أساسية فى الحقل التاريخى الاسلامى، نجد أن الامام الكاظم عليه‌السلام عاصر فى حياته عدة خلفاء من العصرين الأموى و العباسى [۱۱] ، ممن اتسم حكمهم - كأسلافهم - بالاستبداد، و الفردية، و التسلط، و الظلم، و شدة الضغوطات الأمنية، و وطأة الخطط السياسية التى كانوا يضعونها، حيث كان امامنا عليه‌السلام واعيا لها، و مدركا لحجم و أبعاد خطورتها، على المدى القريب و البعيد لقد قضت تلك الخطط بالسيطرة على مقدرات الأمة، و نهب خيراتها من خلال اتباع سياسة الترغيب و الترهيب و التأكيد على مبدأ القوة الحديدية و القمعية الذى طبع كل تاريخهم، و ذلك من خلال ما يلى [۱۲] . [صفحه ۱۹] ۱- قتل الناس الأبرياء. ۲- تبذير الأموال العامة فى أماكن اللهو و الطغيان. ۳- هدر ثروات العباد على مظاهر الترف و البذخ الزائل و الزائف. ۴- ملاحقة المؤمنين و الصلحاء و الأتقياء. ۵- الضرب على أوتار العشائرية و القبلية عبر اذكاء و اشاعة الصراع القبلى. ۶- ممارسة التصفية الجسدية، و الاغتيال السياسى المنظم لأعلام المسلمين الشيعة، و هدم دورهم، و اسقاط جميع حقوقهم المدنية. ۷- تغذية الناس ببغض الامام على و ذريته الطاهرة عليهم‌السلام. ۸- اتباع سياسة كم الأفواه، و شراء الذمم و الضمائر و تأجير العقول. و بالتالى ادخال الأمة، بكل مواقعها، فى غياهب المجهول الغارق بالضبابية و الصراعات الفئوية و الذاتية الضيقة [۱۳] .

سؤال و جواب (استنتاج عام)

فى سياق الاستعراض التاريخى السابق لجملة الظروف الصعبة التى هزت الواقع العام الذى نشأ فيه الامام الكاظم عليه‌السلام، ما هى ردود الأفعال التى أنتجتها حالة السخط و الغليان و عدم الرضا عن الواقع المعاش، لدى الامام عليه‌السلام و عامة الناس؟!. بمعنى آخر: ما هو حجم المبادرات و آليات العمل الفاعلة التى كرستها، كنتيجة منطقية، تلك الحالة الضاغطة على واقع المجتمع و الأمة؟!. فى الواقع، بعد أن انتهى عصر الخلافة الأموية الذى طبع الحالة العامة [صفحه ۲۰] للدولة بطابع المركزية، و القهر و الاستعباد، و الظلم فى السياق الفكرى و العملى، آلت مقاليد الأمور لبنى العباس الذين مارسوا نفس الدور الذى لعبته سابقا «الأموية» [۱۴] و طلبوا الغايات نفسه الاستئثارية الخاصة ذاتها لكن هؤلاء رفعوا شعارا اسلاميا حماسيا عاطفيا على درجة من الزيف و البهتان و الظلم و هو «مناصرة آل محمد، و الانتقام من أعدائهم» [۱۵] لكن الرياح لم تجر كما تشتهى السفن، اذ سرعان ما سقطت أقنعة المودة و الموالاة [۱۶] . و انكشفت تحتها تلك السياسة الماكرة للعباسيين، و اتضحت حقيقة الشعارات المرفوعة، حيث لم تكن الدولة العباسية، فى سلوكها و أساليب عملها، الا امتدادا جديدا لظاهرة الفرعنة الأموية بسلوكها و عقيدتها و التزامها، هنا بالذات انطلقت آليات عمل فكرية حركية من قبل المخلصين و المدافعين عن [صفحه ۲۱] الوجود الحضارى للأمة يمكن ملاحظتها من خلال هذا الالتفاف و التحول النوعى الحار فى نطاق الممارسة الامامية من حالة ردة الفعل و الاستجابة الآنية على مستوى الطرح العاطفى الساذج، الى حالة الفعل الايجابى المؤثر و المنتج لنمط واع من العمل الرسالى المقترن بشرائط و ضوابط قانونية متحركة فى اطار ظروفها الواقعية و الموضوعية. و هذا ما نجده واضحا تماما من خلال ملاحقتنا للثورات التى أعقبت (راهنا) استشهاد الامام الحسين عليه‌السلام. و امتدت (لاحقا) حتى سقوط الحكم الأموى و من ثم انقضاض العباسيين على السلطة. لقد حاول امامنا - ضمن هذا الجو المحموم و بعد ادراكه و وعيه الكامل لجملة التغيرات المطردة فى حياة الناس و فهمه لحاجاتهم الآنية - حاول اختيار أقرب الطرق و أسهل الأساليب العملية الموصلة الى نفوس الناس و أذهانهم كالارشاد و التبليغ و الوعظ. ضمن هذه الأجواء المتشنجة و المشحونة بالعصبوية الذاتية و النزعة الفردية

الطغيانية برزت الى العلن شخصية الامام موسى الكاظم عليه‌السلام كأحد رموز مقاومة واقع الانحراف و قيم الجاهلية، و كقائد رسالى يحمل للأمة أطروحة فكرية اسلامية نيرة، يريد نشر تعاليمها السامية كاستمرار فعال لقيادة و خط الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم‌السلام من قبله فى محاولة منه لسد النقص الحاصل فى جسم الأمة ثقافيا و اجتماعيا و سياسيا. استمر الكاظم عليه‌السلام يعمل - بكل تخطيط و وعى - على الخطوط و المحاور نفسها التى سبقه اليها الامام الصادق عليه‌السلام فى مواجهته للواقع الاجتماعى المأزوم الذى انحسرت عنه، و فى جانب كبير منه، قيم الاسلام و مضامين رسالته و أفكارها و تصوراتها العامة، مما أدى الى حدوث فراغ تشريعى و فقهى و أخلاقى حاد، اضطر ذلك مدرسة الخلفاء الى استحداث مصادر تشريعية جديدة بديلة يمكن أن تلبى، على حد زعمهم، حاجات الواقع التشريعى المتجددة [۱۷] . [صفحه ۲۲] لقد بقى امامنا عليه‌السلام يمارس دوره الريادى، فكريا و اجتماعيا، فى دعوته الى التمسك المبدئى الراسخ بثوابت الاسلام و هدى القرآن، حتى آخر حياته الشريفة التى عانى فيها (بخاصة فى أواخرها) ما عاناه من عذاب السجن و التضييق و التنكيل و التكبيل بالقيود، لقد مكث الامام عليه‌السلام - كما سنفصل لاحقا - زمنا طويلا فى سجن هارون، و قد هد السجن صحته و أذاب جسمه حتى أصبح، حين يسجد لربه، كالثوب المطروح على الأرض، فيدخل عليه رسول الزعامة المنحرفة فيقول: ان الخليفة يعتذر اليك و يأمر باطلاق سراحك على أن تزوره و تعتذر اليه، أو تطلب رضاه، فيشمخ الامام عليه‌السلام و هو يجيب بالنفى بكل صراحة، لا لشىء الا لكى لا يحقق للزعامة المنحرفة هدفها فى أن يبارك الامام عليه‌السلام خطها، فتنعكس معالم التشويه [۱۸] و هذا ما يبدو واضحا من خلال كلمات الرسالة التى أرسلها عليه‌السلام لهارون و هو لا يزال فى السجن معربا له فيها عن بالغ سخطه عليه، جاء فيها «انه لن ينقضى عنك يوم من الرخاء حتى نفنى جميعا الى يوم ليس له انقضاء، و هناك يخسر المبطلون» [۱۹] . بعد ذلك، و بفترة قصيرة، كانت وفاته فى حبسه بواسطة السندى بن شاهك (أمير السجن العباسى) خلال شهر رجب من سنة ۱۸۳ للهجرة [۲۰] . [صفحه ۲۳]

فعاليته التاريخية و نشاطاته الفكرية و العملية

حركيته العلمية و أبرز تلاميذه و أصحابه

اشاره

اتهجت جهود الامام الكاظم، فى هذا المجال، الى التخطيط الواعى لبناء كتلة ايمانية شعبية ملتزمة و مرتبطة بخط أهل البيت عليهم‌السلام نهجا و سلوكا، و ذلك بتنمية وعيها، و عقلنة عواطفها الجياشة، و رص صفوف قواعدها الشعبية المنتشرة هنا و هناك باعطاء محددات و ضوابط عامة لمعالمها الفكرية و الاجتماعية فى بعض مواقع العالم الاسلامى. لقد كان من الطبيعى، بعد أن تسلط الأشرار على واقع الأمة، أن ينطلق الكاظم باتجاه ممارسة دوره الهام، المحقق لرسالة الاسلام، فى انشاء القواعد و الركائز الخاصة اللازمة للوقوف فى وجه تلك المتغيرات الانحرافية الذاتية التى أفضت الى انهيار معنوى كبير بين صفوف مختلف شرائح المجتمع. لقد تمثلت تلك الخطوة بداية، فى سعى الامام عليه‌السلام الى بناء هيكلية معرفية عامة تستطيع القيام بمهمة الدفاع عن حصن العقيدة، و ايقاف تلك الاندفاعات الفكرية القشرية الناهضة التى كانت تشكل خطرا كبيرا على الرسالة، و العمل الفاعل على تفكيك أبنيتها و اسقاط مفاعيلها فى بداية تشكلها و نشوئها، لا سيما و أنها قد أثرت بشكل سلبى ملحوظ على وعى الناس، لذلك وجد الامام الكاظم أن الحل الجذرى الحاسم لعلاج ضعف العقيدة فى النفوس، و تحكم النزعات الغرائزية بالناس - كنتيجة للمقدمة السابقة التى أنتجت مجتمعا [صفحه ۲۴] ظالما بكل معنى الكلمة - وجد عليه‌السلام أن الحل يكمن فى نشر الدين، و تعميم معارفه و قيمه، و الدعوة العاقلة الى التمسك بأحكامه و أهدابه، و تطبيق مبادئه و معاييره. و هنا بدأ امامنا عليه‌السلام بحركة علمية نشيطة و واسعة كانت، فى

مضمونها، استمرارا ايجابيا مؤثرا لنهج أبيه الصادق عليه‌السلام الذى عاش الكاظم معه نحوا من عشرين عاما، أدرك فيه عهد الأمويين فى سن الطفولة، كما و شاهد، فى هذ السن و بعده، تقاطر وفود علماء و طلاب العلم و المعرفة من جميع الأقطار تغص بهم المدينة. و قد ازدحموا على أبيه عليه‌السلام شبابا و شيوخا و هم بين مستمع يأخذ منه العلم الحديث، و بين من يناظر فى التوحيد و التشبيه و القدر و الامامة، و غير ذلك من المواضيع التى شاعت فى ذلك العصر و تشعبت فيها الآراء [۲۱] اذا، قضى الامام موسى أعوامه العشرين كاملة فى كنف و رعاية أبيه الصادق عليه‌السلام، و مضت تلك العشرون و هو الى جانبه يلقنه من فنون العلم و طرائف الحكمة ما يؤهله الى القيادة و الامامة التى كانت تنتظر قدومه. من خلال هذا المنظور يمكننا الدخول الى أهم نشاط فكرى و فاعلية عملية عمل عليها الكاظم عليه‌السلام من أجل ايقاف هذا المد الهائل من حالة الانهيار و الذوبان والمسخ، و هى فاعلية التخطيط المركز و الاشراف المباشر انطلق الامام فى هذا المحور معلنا ضرورة ايجاد توعية عقائدية بين صفوف أبناء المجتمع، و الاسراع فى معالجة أسباب الانحراف و ظهور اتجاهات عقائدية باطلة، و بالتالى مكافحتها و الوقوف فى وجه تلك النزعات و التيارات التى نتجت عنها كالشعوبية و العنصرية و النحل الدينية. و كانت الدعوة الى الأفكار الالحادية [۲۲] من أخطر الدعوات المحمومة [صفحه ۲۵] التى أخذت تنشط، و تبث سمومها فى نفوس الناشئة الاسلامية، و كان موقف الامام موسى عليه‌السلام من هذه الدعوة موقف المتصدى و الناقد لها بالأدلة العلمية الرصينة، و المظهر لتهافتها و بعدها عن منطق الواقع، حتى اعترف قسم كبير من حملة تلك المبادىء بأخطائهم و فساد اتجاههم. فى مواجهة هذه المقدرة العلمية فى اسقاط تلك الدعوات الباطلة التى أثقل، تصدى الامام و أصحابه لها، كاهل المسؤولين و المنتفعين هنا و هناك - وقف هؤلاء الأعيان و كبار رجالات الدولة فى وجه هذه الحركة العلمية الدعوتية التى لمعت و ذاع صيتها فى الآفاق، و تصدوا لها بالتنكيل و الاضطهاد، و منعوا قادتها من الكلام فى مجالات العقيدة، الأمر الذى اضطر الامام عليه‌السلام أن يبعث الى هشام (و هو أحد أصحابه) ليكف عن الكلام و المناظرة نظرا الى خطورة الموقف، فكف هشام عن ذلك حتى مات الخليفة المهدى [۲۳] . لقد كان لتوجه الامام الكاظم عليه‌السلام نحو بناء و تشييد القواعد الأساسية للكتلة الايمانية الواعية و اعطائها طابعها المميز، أثر ايجابى كبير فى التفاف كوكبة من العلماء و رواة الحديث حوله ممن تتلمذوا فى جامعة أبيه الكبرى، و زودوا الفقه الاسلامى بطاقات و مواهب كبيرة من آرائه الحصيفة [۲۴] ، و قد تولى هؤلاء، مع الامام عليه‌السلام، مهمة الاشراف المباشر على الموالين و القواعد الشعبية و التنسيق معها فى كل المجريات الحياتية [۲۵] و بخاصة فى ما يتعلق منها [صفحه ۲۶] بطبيعة الموقف تجاه الحكم السياسى و المشاركة أو عدم المشاركة فيه [۲۶] . لقد أجمع الرواة على وجود شخصيات فكرية روائية عديدة اشتهرت بفقهها و علمها و نقلها الروايات عن الامام الكاظم عليه‌السلام، كان من أبرزها:

على بن يقطين بن موسى البغدادى

لم يكن هذا الرجل فقيها بارعا و محدثا بارزا بالمعنى العميق للكلمة، و انما كان من أقرب المقربين (اجتماعيا) للامام الكاظم، لذلك و ضعنا لمحة عامة سريعة عن حياته فى سياق حديثنا عن أهم الشخصيات الفكرية و الفقهية التى نهلت من علم و فكر امامنا الكاظم (ع). كان ثقة، جليل القدر، له منزلة عظيمة عند أبى‌الحسن الكاظم عليه‌السلام، عظيم المكانة فى هذه الطائفة، روى أنه عليه‌السلام ضمن له الجنة و أن لا تمسه النار أبدا، و كان وزيرا لهارون، فاستأذن الامام عليه‌السلام بترك العمل فلم يأذن له، و قال له: «عسى أن يجبر الله بك كسرا، و يكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه، يا على كفارة أعمالكم الاحسان الى اخوانكم» و روى أنه لما قدم أبوابراهيم موسى بن جعفر عليه‌السلام العراق، قال على بن يقطين مخاطبا الامام عليه‌السلام: أما ترى حالى و ما أنا فيه؟ فقال عليه‌السلام: «يا على، ان لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه و أنت منهم يا على» و روى عنه عليه‌السلام أنه قال له (لعلى بن يقطين): «اضمن لى خصلة أضمن لك ثلاثا» فقال على: جعلت فداك و ما الخصلة التى أضمنها لك؟ و ما الثلاث اللواتى تضمنها لى؟ فقال أبوالحسن عليه‌السلام: «الثلاث اللواتى أضمنهن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، و لا فاقة، و لا سجن»

فقال على: فما الخصلة التى أضمنها لك؟ فقال عليه‌السلام: «يا على و أما الخصلة التى تضمن لى أن لا يأتيك ولى أبدا الا أكرمته»، فضمن له على الخصلة و ضمن له أبوالحسن الثلاث. و روى أنه عليه‌السلام قال: «انى استوهبت على بن يقطين من ربى عزوجل [صفحه ۲۷] البارحة فوهبه لى. ان على بن يقطين بذل ماله و مودته فكان لذلك منا مستوجبا» [۲۷] .

يونس بن عبدالرحمن

جاء فى ترجمته أنه أخذ (العلم) من الامام موسى بن جعفر، و كان من خلص أصحابه و صفوتهم، و أدرك شطرا من حياة الامام الرضا عليه‌السلام و قال فيه عليه‌السلام: «يونس بن عبدالرحمن فى زمانه كسلمان الفارسى فى زمانه» و قال عنه الشيخ الطوسى فى كتابه الفهرست: ان له ثلاثين كتابا فى مختلف المواضيع و كان، كما جاء فى ترجمته، يزور كل يوم أربعين رجلا من اخوانه المؤمنين، ثم يرجع الى بيته لا يترك التأليف الا للصلاة و الطعام و قضاء الحاجة، و له مؤلفات فى علم الكلام و آراء تدل على سعة علمه و قوة تفكيره [۲۸] .

محمد بن عمير

كان من أصحاب الامامين موسى بن جعفر و ولده الرضا عليه‌السلام، و قد أخذ عنهما الحديث و الفقه، و ألف فيما أخذه عنهما فى الفقه و غيره [۲۹] .

صفوان بن يحيى بياع السابرى

كان من تلامذة الامام الكاظم عليه‌السلام و لازم بعد وفاته، الامامين الرضا و الجواد عليهماالسلام، و روى، كما جاء فى ترجمته، عن أربعين من تلامذة الصادق، و ألف من آثار الأئمة أكثر من ثلاثين كتابا كما نص على ذلك الكشى و الطوسى و ابن‌النديم و غيرهم من المؤلفين فى أحوال الرواة و التراجم و السير. [صفحه ۲۸]

عبدالله بن المغيرة البجلى

أكد الرواة وثاقته فى الرواية و الحديث، و أضافوا الى ذلك أنه ممن أجمع الأصحاب على صحة مروياته عن الامام أبى‌الحسن موسى بن جعفر عليه‌السلام و غيره، و ترك مجموعة من المؤلفات فى مختلف المواضيع، و يضاف الى هؤلاء الأعلام جماعة أخرى من العلماء [۳۰] ممن لم يبلغوا مرتبة أولئك، و منهم، صفوان بن مهران الجمال الذى روى عن الصادق عليه‌السلام و لازم، من بعده، ولده الكاظم عليه‌السلام و أخذ عنه الحديث و الفقه و ألف فيها كما نسب اليه ذلك الكشى و ابن‌النديم و الطوسى و غيرهم. و منهم أيضا: عبدالرحمن البجلى الكوفى الذى بشره الكاظم عليه‌السلام بالجنة كما روى الكشى فى رجاله، و كان واسع الأفق، قوى الحجة و البرهان، و محيطا بعلوم عصره، قال له الامام واضعا ثقته فيه: «كلم أهل المدينة فانى أحب أن يرى الناس فى رجال الشيعة مثلك».

الطريقة الموضوعية الفعالة فى كيفية دراسة تاريخ الأئمة و طريقة و عى فكرهم و استلهام دورهم فى القضايا المعاصرة

اشاره

يشكل التاريخ أحد المنابع الرئيسية التى تزود الانسان - فى المعطى الايجابى - بطاقة الحركة والفاعلية فى الحياة. اضافة الى دوره الحيوى الهام فى نمو الأمة و تقدمها و ازدهارها فى مسيرتها الحضارية الصاعدة، نظرا الى أنه قد يجنبها كثيرا من الأهوال و المصاعب و المزالق التى يمكن أن تتعثر بها فى مراحل انبعاثها و نموها الأولى، على ضوء تلك الفكرة نحاول الانطلاق الى تاريخنا الاسلامى الخاص بأمتنا لندرسه بوعى فننفتح على الواقع و الحياة، من خلال أهمية و عينا لطبيعة وجودنا الاسلامى فى العصر الماضى و الحاضر كأمة هادية [صفحه ۲۹] أنشأت، لنفسها و لغيرها، حضارة عظيمة أغنت شخصية الانسان المسلم و غير المسلم. اننا نحاول الانطلاق الى هذا التاريخ، بخاصة تاريخ أئمتنا عليهم‌السلام الذى نعتبر أن فيه الكثير من الاشكالات و المواضع التى تحتاج الى تحليل و تفكيك و استظهار ايجابى جديد، كى نقرأه على هدى من وعى و عمق و معرفة و نقدمه لأجيالنا الحاضرة التى تبحث عن انتماء أصيل، يعيد اليها وجودها و حيويتها و نضارتها و وعيها المسلوب، نقدمه فى اطاره الاسلامى الحقيقى بعيدا عن كل التأويلات و التصورات و المفاهيم الغريبة القلقة، لتعيش هذه الأجيال فى جو نقى تتنفس فيه الصفاء فى هوائها و النقاء فى وجودها، كسبيل عملى من سبل المحافظة على شخصيتنا الاسلامية الكيانية المستقلة فكيف يمكن أن نتوفر على تلك الدراسة الواعية للتاريخ التى نحاول، عبرها، وعى جذوره الخصبة المعطاءة؟ ان القضية الأساسية التى تواجهنا، راهنا، فى طريقنا نحو العمل فى بناء الحاضر الاسلامى، و تلح علينا بقوة و اصرار كونها تتصل بالمرحلة الأولية من مراحل العمل و البناء، هى قضية (مرحلة) الاعداد و التكوين، اعداد الخطط التى يسير عليها العمل، و تكوين الأسس و المبادىء العامة التى يرتكز عليها البناء. أما كيف تمثل هذه القضية مرحلة البداية للعمل، و كيف تساعد على اعداد الخطط و تكوين الأسس، فهذا ما نتعرفه اذا وعينا طبيعة المعرفة التاريخية التى تقدمها لنا دراسة التاريخ، و علاقتها بالواقع الحياتى الذى نعايشه. من هنا نجد أهمية قصوى ملقاة على عاتق الباحث فى وعيه و فهمه العميق لطبيعة المشكلات الحاضرة بيننا، و التى تسبب لنا أزمات و نكبات متعددة، تجعل واقعنا العربى و الاسلامى يتخبط فيها ليلا و نهارا. اننا لا نرمى من خلال محاولتنا تلك «اختراع» تاريخ جديد، و انما نريد فهم هذا التاريخ على ضوء الواقع المعاصر، و بما يخدم قضايانا المصيرية الملحة التى تضغط علينا فى موقع هنا و فى موقع آخر هناك، و بالتالى تكوين [صفحه ۳۰] وعى تاريخى كشرط أساسى من شرائط و أسباب النهوض الحضارى، من خلال حفظ تاريخنا من التزويرالفكرى و العقائدى و المنهج الخاطىء فى التحليل و التركيب، و الابتعاد عن طبيعة «السرد القصصى الحرفى» لأحداث ماضية الى الطريقة التى تجعل منه أداة فاعلة تسهم فى عملية بناء الحاضر و صنع المستقبل، الى الطريقة التى تجعل منه معنى يتحرك فى داخل وجودنا الحى ليحرك الحياة من حولنا. ضمن هذا الخط المنهجى و العملى المشرق فاننا لا نرى استخداما نوعيا فعالا - اذا صح التعبير - و وعيا تاريخيا راقيا لقضايا التراث [۳۱] و التاريخ و العقيدة الاسلامية، أقوى و أنصع و أطهر و أشرق مما نشاهده و نلمسه يوميا من بطولات و ملاحم المقاومين و المجاهدين الأبطال فى جنوب لبنان فى مواجهاتهم المشرفة ضد المشروع التلمودى للكيان الصهيونى و عملائه فى المنطقة. فجاءت المقاومة الاسلامية - التى نأمل دراسة تجربتها و نشرها و تعميمها ثقافيا و حضاريا و اعلاميا - ردا قاسيا على أولئك المتخاذلين و القانعين بواقع الذل و العار لتجعلنا نشعر بأننا نمتلك قوة استنهاض تاريخية لا مثيل لقوتها و لمخزونها و تراثها التاريخى القيمى الهادف قوة ممانعة و مواجهة اعتراضية اتخذت من ثقافة و حضارة القيم الاسلامية شعارا و مشروعا لها فى حجم الأمة و الحياة كلها. [صفحه ۳۱]

مقدمات أساسية فى وعى التاريخ الاسلامى

لا شك بأننا أمة تمتلك مخزونا تاريخيا عريقا، أصبحت مسألة وعيه من الداخل مسألة ملحة و ضرورية، لأن هذا الوعى أصبح جزءا لا يتجزأ من الوعى للعقيدة، و أصبح تصحيح الكم التاريخى المتراكم شرطا لازما فى مسيرة تصحيح و تركيز الاعتقاد، و من خلال هذا العنوان العريض يمكن أن نضع هنا بعض المقدمات الأساسية فى مسألة و عينا التاريخى: المقدمة الأولى: أن تكون دراسة التاريخ واجبا حيويا، و ضرورة حتمية تستهدف تفكيك البنى الذاتية الداخلية لجملة الحوادث و المواضع التاريخية، لا أن تكون مجرد ترف

ذهنى ساكن، مجردا عن محيطه الزمانى و المكانى. المقدمة الثانية: أن نتخلى عن الهالة القدسية التى تؤطر هذا التاريخ، و نحاول دائما أن نحيطه بها بكل ما فيه من أخطاء و عثرات و انحرافات و اندفاعات [۳۲] لأن هذا التقديس يدفعنا - لا شعوريا- الى الانزلاق فى تفاسير و تأويلات خارجة عن مفهومى الزمان و المكان الضروريين فى عملية التأسيس و البناء التاريخى، مما يجعلنا ننحرف بالتاريخ عن الغاية التى نسعى اليها فيه، و الهدف الذى نتطلع اليه. [صفحه ۳۲] ان تاريخنا - ككل تاريخ - كان حصيلة أدوار مختلفة من حياة الأمة بين ارتفاع و انخفاض، فهو الصورة التى تنعكس عليها الحياة بما فيها من ارتباكات، فاذا أردنا أن نفهمه على أساس واقعى، فيجب علينا تعريته عن كل لون من ألوان الخيال و الدعاية و الزهو، و ملاحظته كمادة خام لدراسة واقعية عميقة. المقدمة الثالثة: تتمثل فى حقيقة نعيشها جميعا، و هى أن تاريخ الأمة الحاضر هو جزء هام أساسى من تاريخها الماضى، انه عملية بناء و نتاج نمو تاريخى طويل، فحاضرنا الذى نعيشه و نراه هو ثمرة ماضينا، لذلك لا بد من معرفة و دراسة الأحداث الممتدة فى عمق التاريخ، و نقدها و متابعتها و تحليلها، فى اطار قراءة واعية لمجاهل و معالم التاريخ، تكشف قوانين نموه و عناصر الضعف و القوة فيه. المقدمة الرابعة: أن يبنى النقد التاريخى على الحقيقة الموضوعية و ان قوضت شيئا من رؤانا و اعتقاداتنا مما قد نظنه من المسلمات القطعية التى لا كلام و لا جدال فيها، و بالتالى ضرورة الابتعاد عن المواقف المسبقة و الرؤى المذهبية الخاصة التى قد تجعل التاريخ مادة مائعة للاستهلاك الفارغ، و مرتعا خصبا لنشوء الانحرافات والأوهام و الأباطيل و البدع. المقدمة الخامسة: التعريف بالحدث التاريخى الاسلامى باعتباره تاريخا عاما لكل الفئات و الشرائع الاجتماعية و ليس تاريخا خاصا بالنخبة السياسية الحاكمة. المقدمة السادسة: تنصب على دراسة قوانين و قواعد التاريخ الاسلامى و (مراجع التاريخ) التى حملت الكثير، و الكثير جدا، من حقائق التاريخ، أو تكاد - فى مجموعها - أن تكون قد حفظت جميع حقائقه، فهى بلا شك قد حملت، الى جانب ذلك، أباطيل كثيرة [۳۳] . ۱- منها ما هو اسرائيلى الصنع. [صفحه ۳۳] ۲- منها ما هو صنع الزنادقة الذين تستروا بالاسلام فكادوا له شرا، و هؤلاء كانوا أقدر على تزيين أساطيرهم و ترويجها، اذ كانوا يضعون أساطيرهم دائما فى أهواء أصحاب الفرق الدينية أو السياسية المتناحرة. ۳- منها أكاذيب االقصاصين و الرواة و تحسيناتهم، كذلك منها ما اختصت به المصادر الحديثة، من كتب فى التاريخ أو دراسات تاريخية، مما ترشح عن مدارس الاستشراق، أو التفاسير المادية أو القومية للتاريخ الاسلامى.

نموذج تاريخى امامى للاستخدام الفعال للتاريخ

استخدم الامام الكاظم عليه‌السلام عنصر التاريخ و المادة التاريخية السابقة لعهده فى مجال السياسة و الفكر، و مجال الوعظ و الارشاد (التبليغ)، ولكن قبل أن ندخل الى طبيعة هذا الاستخدام نتساءل: لماذا أدخل الأئمة عليه‌السلام، بشكل عام، عنصر التاريخ فى أحاديثهم الوعظية و خطبهم أو كتبهم السياسة و الفكرية؟ فى الحقيقة. لقد حاول الأئمة عليهم‌السلام النفاذ الى أعماق التجارب التاريخية التى مرت بها أمتنا لا سيما على صعيد الحكم و السياسة و الوعى الثقافى التغييرى، و وضعوا عليهم‌السلام علامات استفهام عميقة أمام كل المراحل التاريخية السابقة لهم من حيث مدى علاقتها أو عدم علاقتها بالانتماء الاسلامى الأصيل من الجو الذى نشأت و نمت فى أرضه، و عن نوعية النتائج التى حصلت من جراء حدوث هذه الواقعة أو انطلاقة تلك الحركة من حيث اتصالها بالمفاهيم و القيم الاسلامية أو ابتعادها عنها، كل ذلك يندرج تحت عنوان واحد هو وعى التاريخ الذى عاشته التجربة الاسلامية فى طريق التعرف على مشاكل و تحديات الاسلام الحاضرة بهدف تأسيس الواقع على أطروحة قيادية عقلانية تأخذ بعين الاعتبار المصلحة الاسلامية العليا فقط، و ربما يمكن أن نفهم ذلك بشكل أكبر من خلال استعراضنا - فى سياق بحثنا و متابعتنا لطبيعة الوعى التاريخى عند امامنا الكاظم عليه‌السلام للمثالين التاليين: المثال الأول: فى دعوته عليه‌السلام الى ترسيخ الثورة فى وعى الأمة [صفحه ۳۴] الاسلامية و فى وجدانها و ذهنيتها العامة من خلال استحباب زيارة الامام الحسين عليه‌السلام يقول الكاظم عليه‌السلام: «أدنى ما يصاب به زائر الحسين بشط الفرات، اذا عرف حقه و حرمته و ولايته، أن يغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر» [۳۴] . يؤكد الامام الكاظم

عليه‌السلام، فى هذا الحديث، على ضرورة زيارة الامام الحسين عليه‌السلام الذى عاش و استشهد قبله بعدة عقود، و ذلك من أجل ترسيخ الحالة التفاعلية و التواصلية الايجابية مع الثورة الحسينية ليكون لها حضور تاريخى مكثف بأهدافها و تطلعاتها الانسانية العادلة فى كل المواقع الفكرية و النفسية للأمة المؤمنة بخط الثورة و أهدافها المشروعة. ان حض الكاظم عليه‌السلام الناس على زيارة الحسين عليه‌السلام، كبعد تاريخى فعال، يراد - من خلاله - تأصيل الوعى الثورى للتاريخ، و تعميق الروح الاستشهادى الجهادية فى نفوس الكتلة المؤمنة. المثال الثانى [۳۵] : حينما سأل هارون [۳۶] الامام الكاظم عليه‌السلام عن فدك و حدودها لكى يرجعها اليه، فأبى عليه‌السلام أن يأخذها الا بحدودها، فقال هارون: ما حدودها؟ فقال عليه‌السلام: «ان حددتها لم تردها»، فأصر هارون عليه أن يبينها له، و لم يجد الامام عليه‌السلام بدا من اجابته، فقال له: «أما الحد الأول فعدن» فلما سمع هارون ذلك تغير وجهه، و استمر الامام عليه‌السلام فى بيانه قائلا: «و الحد الثانى سمرقند» فأربد وجه هارون، و استولت عليه موجة من الغضب الهائل، ولكن الامام عليه‌السلام استمر قائلا: «و الحد الثالث أفريقيا» فاسود هارون و قال بنبرات تقطر غيظا «هيه» و انطلق الامام يبنى الحد الأخير قائلا «و الحد الرابع فسيف البحر ما يلى الجزر و أرمينية»، فثار الرشيد، و لم يملك أعصابه [صفحه ۳۵] قائلا: و لم يبق لنا شىء، فأجابه الامام: «قد علمت أنك لا تردها» [۳۷] . اننا نلاحظ - من خلال هذا النص - أن الامام الكاظم استعان بعنصر التاريخ لا كمؤرخ لأحداث و انما باعتباره صاحب رسالة و عقيدة و فكر، و لم يكن يستخدم التاريخ كمادة و عظية فقط، و انما كان يستهدف منه النقد السياسى و التربية السياسية لمجتمعه و التوجيه الحضارى لأمته، ليعطى لقضية الاسلام الفكرية حرارة و حياة، و ليجعل لأطروحة أهل البيت عليهم‌السلام حركة و معنى فاعلا- فى مدى الزمان و فى عمق الانسان نفسه، و من خلال رفضه اغتصاب حق التاريخ و الفكر و الرسالة لصالح نزعات و أهواء و مصالح شخصية. لقد اعتبر الامام عليه‌السلام، من خلال وعيه لحركة التاريخ، أن هارون و أسلافه غاصبون للخلافة و مختلسون للسلطة و الحكم، الأمر الذى أثار غضب هارون عليه و أغلظ فى كلامه على الامام عليه‌السلام بعد أن سمعه يتحداه بموقف لا لين فيه، و هو عليه‌السلام يريدنا، نحن، أن ننفتح بوعى على كل تلك المواقف و الأدوار و الحوادث التى انطلقت فى ذلك العهد، لندرسها و نأخذ منها العبرة اللازمة و نستلهم، من خلالها، المعايير و الضوابط التى تساعدنا قى حل بعض تعقيداتنا المعاصرة. انها أسئلة و مواقف فى التاريخ قد نطالع، فى كثير من تفاصيل أجوبتها و أبعادها، الوجه الآخر الحقيقى لطبيعة مشاكلنا المثارة حاليا. على ضوء هذا الفهم الشمولى و الاستيعابى لحقيقة الجوهر و المضمون التاريخى المنتج و الفاعل، نتساءل: ما هى الأمور التى استطاع هذا الوعى أن يحققها على صعيد الدور التاريخى الهام الذى لعبه امامنا الكاظم عليه‌السلام فى عملية التغيير الاجتماعى على مستوى وعى الأمة؟!. يمكننا ايجاز الاجابة فى النقاط التالية: ۱- أعاد هذا الفهم للأمة حقها فى ممارسة النقد الايجابى. [صفحه ۳۶] ۲- وعت الأمة حقيقة السلطة و الحكم فى الاسلام من خلال معرفتها لحدود الدائرة الواسعة أو الضيقة التى يمكن للخليفة التحرك ضمنها. ۳- تعميق الشعور و الاحساس بالمسؤولية لدى الأمة تجاه قيم و مبادىء الاسلام. ۴- محاولة (اعادة) تصحيح المفاهيم الخاطئة و الظالمة التى كانت تلف طبيعة الحكم و السلطة السياسية و توزيع الثروات و الأموال لتشمل أبوابا واسعة أخرى. ۵- احباط محاولات السيطرة على عقل الأمة و تزييف وعيها و ارادتها، و تبيان حقائق الأمور فى اطار رسالة الاسلام. ۶- توضيح مبدأ أساسى و هو أن قيمة الخليفة فى الاسلام مرهونة بمدى خدمته للناس و تمسكه بمبادىء الاسلام الصحيحة. [صفحه ۳۷]

الجانب العملى و التربوى فى حياة الامام الكاظم

مقدمة عامة عن الأجواء التى عاصرها (المتغيرات التاريخية الذاتية فى مسيرة الدعوة الاسلامية)

اشاره

ان الاحاطة ببعض معالم و ميزات الجانب العلمى و التربوى فى حياة الامام الكاظم عليه‌السلام تتطلب استيعاب الظروف و المتغيرات

التاريخية التى عاصرها عليه‌السلام و استوعب تمثلاتها الواقعية، و بالتالى استطاع أن يمتلك رؤية علمية و منهجا موضوعيا لمواجهتها و معالجتها على ضوء و عيه العميق لرسالة الاسلام. و باستعراض هذه التغيرات و الأجواء التى اتسم بها عصر الامام نجد أمامنا ظواهر بارزة و واضحة لا تحتاج الى جهد كبير للاستدلال على وجودها، نشير اليها فى ما يلى:

مظاهر التنابذ و الخلل السياسى و صراع الأهواء

حفلت حياة الأمة فى عصر الكاظم عليه‌السلام بمظاهر التفرقة السياسية و التشتت الفكرى فى الابتعاد العقائدى عن أصول التفكير و الحياة السياسية [صفحه ۳۸] الاسلامية، و الانحراف عن واقع التجربة الاسلامية الصحيحة فى الحكم و الممارسة السياسية و الاجتماعية و الأخلاقية. فقد عايش امامنا عليه‌السلام الفترة الحرجة فى انتقال الحكم السياسى من العهد الأموى الى العهد العباسى و ما رافقه من نزاعات سياسية جاهلية أهدرت امكانات الأمة و مواهب أبنائها فى اطار صراعات ذاتية جانبية ضيقة و محدودة. و رغم ما حمله هذا الخلل البنيوى السياسى العميق و ذلك الصراع الذاتى من مصائب و أهوال على واقع الأمة و حياة المجتمع، فانه أعطى الامام عليه‌السلام الفرصة المناسبة لاظهار علمه الغزير، و وفر السبل الكفيلة فى أن ينزل (هذا العلم) على أرض الواقع الاجتماعى ليمارس دوره العلمى و التربوى كأروع ما يكون.

تشكل المذاهب الفقهية الكلامية

اشارة

شهدت تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا محاولات تمييع واضحة لخطوط الفكر و العقيدة الاسلامية تولى مهام الدعوة اليها رموز و دعاة (العباسية) الجديدة، و وعاظ السلاطين الذين أخذوا على كاهلهم (مهمة) تزوير الفقه و الحديث و اللعب بالتشريع الاسلامى و الفتيا بالرأى و ذلك باعتمادهم على ركائز و مقاييس غريبة عن أساليب و أدوات التشريع الاسلامى، و قد كان لاقصاء الأئمة من أهل البيت عليهم‌السلام عن مواقع العمل القيادى الفكرى و الاجتماعى و السياسى، دره الأكبر فى تفشى ظواهر التفسخ المعرفى و السياسى فى طبيعة المتغيرات الخطيرة التى حدثت فى حركة الدعوة و مسيرة الأمة، و قد تمثل ذلك، عمليا، من خلال انكشاف الواقع أمام فراغ فقهى و تشريعى كبير خصوصا بعد أن احتكت الأمة مع حضارات مجاورة لها، ما أدى الى دخول مفاهيم و تصورات و سبل حياة فكرية و عملية جديدة الى واقع الحياة الاسلامية سببت تغيرات كبيرة حادة فى بنية المجتمع الاسلامى، و يبدو أن السلطة القائمة، المستلمة لادارة شؤون الأمة، ساهمت فى وصول المجتمع الى هذا المستوى المتدنى و المنحط من التفاعل السلبى غير المتوازن مع ثقافات الحضارات المجاورة بحيث أصبح [صفحه ۳۹] هذا المجتمع جاهزا للاستعمار من الداخل و الخارج، و بخاصة عندما قام هذا الحكم السياسى بتسخير الدين لمصالحه و أهوائه و دعم مواقفه و تثبيت مواقعه و أركان حكمه السياسية، فتغير هذا المجتمع (الرسالى!) و بات يميل، أكثر فأكثر، نحو الكسل و الدعة و الترف و الاستهلاك الفارغ [۳۸] . ان الفراغ الفقهى و العقائدى الذى ظهر نتيجة المتطلبات و الحاجات الحياتية الجديدة، كان يحتاج الى من يسده بشكل أو بآخر، و يعمل على ايجاد قواعد و أنظمة فقهية و أبنية تشريعية حديثة تتناسب مع الأوضاع الجديدة [۳۹] . فى هذه الفترة بالذات (و ربما قبلها بقليل) بدأت المذاهب الفقهية المعروفة بالنشوء و التشكل و الظهور الى العلن، مستفيدة من حالة الخلل السياسى العام، و اتساع الحركة العلمية و الفقهية، و فى أغلب الأحيان كان ظهور تلك المذاهب ناتجا عن عمل السلطة السياسية نفسها فى ابعادها لا تجاه فقهى معين لا ينسجم مع مصالحها، و بالمقابل ترجيح آراء فقهاء آخرين عليه. طبعا لا نستطيع أن ننسى الدور الذى تلعبه الشخصية العلمية لأئمة المذاهب فى جلب الأتباع و التلامذة و التأثير القوى على تصوراتهم و اتجاهاتهم الفقهية، و لا ننسى أيضا أثر و دور العامل الجغرافى فى تعداد الاتجاهات و الانتماءات.

كل هـذا و غيره من العوامل أثر و ساهم فى ايجاد نواة لنشوء مـذاهب كثيرة و متنوعة فقهيا و كلاميا، قبل أن تنحصـر بعد ذلك، بزمن طويل تقريبا، بمذاهب معينة، و ذلك لعوامل أخرى رافقت عملية غلق باب الاجتهاد. [صفحه ۴۰]

شيوع الانحرافات الفكرية و مظاهر التحريف الخطيرة فى مضامين الرسالة الاسلامية

اشاره

قلنا: ان الخلل السياسـى القائم فى طبيعـة التعاطى مع الأفكار و المبادىء الجديـدة الوافـدة على حياة الأمة قد أفضـى الى نتائج مأساوية على صـعيد المجتمع الاسلامى، ظهرت ملامحه الأولى فى تلك الأنماط الخطيرة من الانحرافات الفكرية و العقائدية الطارئة على حياة المسـلمين التى شاعت من خلالها الأفكار المعاديـة للاسـلام، و فسح المجال لذوى الأهواء و الغرائز الفردية ليدلوا بدلوهم و لينضـجوا أكلهم و يحصدوا ما يشاؤون.

الانحرافات فى الواقع الفكرى العقيدى

تمظهرت من خلال الأمور التالية: - مسألة انتشار الزندقة و التشكيك فى المعتقدات الاسلامية. (و الغريب أن ذلك كان يتم أحيانا فى البيت الحرام و المسجد النبوى الشريف - كما تحدثنا الروايات - مما شكل ظاهرة واسعة خطيرة) [۴۰] . - و منها موضوع الغلو و تأليه أئمة أهل البيت عليهم‌السـلام. - فكرة التجسيم و التشبيه. - الجبر و التفويض. - انتشار عقيدة التناسخ. - كما أن منها ظاهرة التحلل من الواجبات بحجج واهية ككفاية حب أهل البيت عليهم‌السلام عن العمل الصالح و أمثال ذلك. [صفحه ۴۱]

الانحرافات فى طبيعة فهم النص القرآنى

- توظيـف النص القرآنى لخدمـة الأهـداف السياسـية الآنيـة و النزعـات الخاصـة، أو لتأييـد الاتجاهـات المذهبيـة و الكلاميـة، و ذلك باخضاع النص المقـدس لأفكار جاهزة مسـبقة الصـنع بـدلا من أن تكون طبيعـة الرؤى و الأفكار و التصورات ناتجـة من خلال حركية النصوص نفسـها، على ضوء المعطيات التى يحملها النص فى دلالاته اللغويـة و العرفية و العقلية. - التأويلات الباطنية الفاسدة. - اعتماد الروايات الاسرائيلية فى تفسير القرآن.

فى مجال التاريخ السلامى

ظهر الانحراف هنا من خلال محاولة تشويش الصورة النقية و المشـرقة للرسول صلى الله عليه وآله و سلم [۴۱] و الأئمة عليهم‌السلام، و اختلاق شخصيات [۴۲] و وقائع تاريخية لا وجود لها فى تاريخ الأمة، و العمل على طمس معالم تاريخية و وقائع مشـهورة و ثابتة علميا و تاريخيا.

اتساع ظاهرة الوضع فى الأحاديث الشريفة

برزت، فى ذلك العصر، ظاهرة الوضع و الدس فى الأحاديث و ذلك لأسباب سياسية مكشوفة، و دوافع طائفية بغيضة قامت بتغذيتها و تنميتهـا اتجاهات مشـبوهة فى الواقع لم تكن هـذه الظاهرة (ظاهرة الوضع) جديـدة على المجتمع الاسـلامى، و ذلك بعـد أن لعبت يد

الأهواء، منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله و سلم، فأوجدت فئة من الوضاعين المستأكلين بالحديث، ارضاء لميولهم الغرائزية [صفحه ۴۲] و اتجاهاتهم السلطوية السياسية. و من الغريب أن العلامة الكبير الأمينى صاحب (الغدير) أحصى (۴۰۸ ۶۷۴) حديثا [۴۳] مكذوبا ملفقا أو مقلوبا لجمع قليل من الوضاعين الذين قاربوا هذا العصر - تقريبا - و الغريب أن نشهد تعبيرات [۴۴] من قبيل ما قيل فى أحمد بن عمرو أبى‌بشر الكندى: أنه (أحد الوضاعين الكذابين مع كونه محدثا اماما فى السنة و الرد على المبتدعة) [۴۵] . و فى أحمد بن غالب الباهلى أنه كان (من كبار الزهاد ببغداد كذاب وضاع) [۴۶] . و فى أحمد بن موسى الجرجانى الفرضى أنه (أحد الحفاظ: كذاب) [۴۷] !!! حتى لتجد يحيى بن سعيد القطان يقول: (ما رأيت الصالحين فى شيء أكذب منهم فى الحديث) [۴۸] و هنا يعلق المرحوم الأمينى بعد درج قائمة من وضاعى الحديث قائلا: «فمن هنا ترى كثيرا من الوضاعين المذكورين بين امام مقتدى، و حافظ شهير، و فقيه حجة، و شيخ فى الرواية، و خطيب بارع، و كان فريق منهم يتعمدون الكذب خدمة لمبدأ أو تعظيما لامام أو تأييدا لمذهب، و لذلك كثر الافتعال و وقع التضارب فى المثالب و المناقب بين رجال المذاهب، و كان من تقصر يده عن الفرية عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بالحديث عنه فانه يبهت الناس باختلاق أطياف حول المذاهب و رجالاتها». [صفحه ۴۳]

الامام الكاظم فى مواجهة الواقع المنحرف

اشاره

فى مواجهة هذا التيار الهادر من المتغيرات الذاتية. كان لا بد من خلق و ابداع حركة فكرية و معرفية و علمية قوية متماسكة يمكن أن توقف - ضمن حدود معينة - هذا السيل الجارف من الانهيارات و التراجعات الروحية و الثقافية و السياسية. لقد كانت سلوكية الامام الكاظم عليه‌السلام و تصريحاته و مواقفه كلها تنبىء عن شعوره المسؤول بالمهام القيادية الملقاة على عاتقه باعتباره أحد أئمة أهل البيت و عترة الرسول صلى الله عليه وآله و سلم التى جعلت أمانا للأمة و سفينة للنجاة و متمسكا يعصمها من الضلال [۴۹] . لقد كانت هذه الأهلية القيادية الواعية و الرشيدة موضع عناية و اهتمام الأئمة من أهل البيت عليهم‌السلام واحدا بعد الآخر، يوصى كل منهم الى من يليه و يعلم أصحابه بخصائصه. و كمثال على ذلك نلاحظ النص التالى: دخل يزيد بن سليط - و هو من أهل الورع و العلم - على أبى عبدالله الصادق عليه‌السلام فبادره يسأله عن الحجة من بعده قائلا: بأبى أنت و أمى، أنتم الأئمة المطهرون و الموت لا يعرى منه أحد، فمن القائم من بعدك؟ فأشار الى ولده موسى و راح يصفه «فعنده علم الحكمة و الفهم و السخاء، و المعرفة بما يحتاج الناس اليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و حسن الجوار، و هو باب من أبواب الله، و فيه أخرى هى خير من هذا كله». فيسأل الراوى قائلا: بأبى أنت [صفحه ۴۴] و أمى ما هى؟ فيرد الصادق: «يخرج الله من غوث هذه الأمة و غياثها و علمها و نورها و فهمها و حكيمها، خير مولود و خير ناشىء، قوله حكم، و صمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه» [۵۰] . و هى كلها صفات قيادية كان يتمتع بها الامام الكاظم، و يعمل على تمثلها و تحقيقها و تجسيدها، فما هى الخطة التى سار عليها الكاظم عليه‌السلام لمواجهة واقع الانحراف و الضلال و بالتالى القيام بالواجب القيادى العام؟، من خلال متابعتنا لحركية فكر وثقافة و سلوك الامام عليه‌السلام، وجدناه يعمل على خطين أساسيين: فهو من جهة - و بشكل عام - يؤكد، بل و يعمل جاهدا، على بناء الأمة الاسلامية و تقوية أواصرها، و حفظ كيانها و صيانة تراثها، و تنمية و عيها العام، و بالتالى امتلاكها للخصائص التى ذكرها القرآن الكريم و السنة الشريفة عن الأمة، و هو من جهة أخرى يعمل، بشكل خاص، على تربية الفئة الواعية المتفاعلة تماما مع خطته، و المتحملة بكل جدارة للمهام الصعبة التى يلقيها عليها، مما يجعلها تشكل شعاعا من نوره و نماذج لسيرته و مظاهر لقيادته [۵۱] .

مظاهر الخط العلمى و التربوى العام

اشاره

يمكننا أن نستعرض أهم مظاهر هذا الخط عبر النقاط التالية:

العمل على ايجاد حركة علمية وثقافية واسعة و نشيطة جدا

اشارة

انطلقت هذه الحركة فى الواقع الاسلامى آنذاك استكمالا للجهود العلمية الجبارة التى أرسى قواعدها الامام الصادق عليه‌السلام [۵۲] فبدأت العلوم و الحقائق [صفحه ۴۵] تنتشر بين الناس، و تنمى معلوماتهم، و توسع مداركهم، و تفتح عقولهم على مواقع جديدة، و تدفعهم نحو الكمال العلمى المنشود. و قد رد الامام الكاظم عليه‌السلام، فى أجوبته و مناظراته، على الشبهات و المزاعم التى أثارتها مختلف التيارات الفكرية و السياسية، و شجع تلامذته و أصحابه - من ذوى الكفاءة و المقدرة العلمية العالية - على خوض المعارك الحوارية الفكرية، و مواجهة تلك القوى الفاسدة التى عملت بأقصى جهدها على هدم مقومات و ركائز الكيان العقيدى و الفكرى الاسلامى. و قد استجاب تلامذته لذلك، و ألفوا و صنفوا مئات الكتب و الرسائل العلمية، سجلها التاريخ كنقطة اشعاع مضيئة فى سماء الفكر الاسلامى [۵۳] . و هكذا استطاع الكاظم عليه‌السلام أن يكمل دور أبيه الصادق عليه‌السلام فى توسيع و تدعيم أركان تلك الحركة العلمية الواسعة الأبعاد، التى تمكن روادها و فى مقدمتهم، الامام الكاظم، من نشر الوعى الدينى و الفكرى و تنمية حس المثاقفة و الحوار على أوسع نطاق.

تحصين الفكر الاسلامى و حمايته من التيارات المنحرفة الفاسدة و لو ثات الأفكار الجاهلية المشبوهة

اشاره

لقد سعت تلك القوى الضالة بكل قوتها الى زعزعة الروح الايمانية و الحرارة الرسالية المتبقية لدى الجماهير المؤمنة، من خلال تشكيكها بأصول المعرفة الاسلامية، و محاولة اسقاط ما تبقى من آثار تجربتها الصحيحة الأولى. فى مقابل ذلك انطلق الكاظم عليه‌السلام و تلامذته لمواجهة تلك المحاولات الخطيرة، و التصدى للنتائج السلبية التى بدأت تظهر على صعيد الواقع [صفحه ۴۶] الاجتماعى للأمة و ذلك من خلال العناوين التالية:

العنوان العقائدى: التصدى لتيار الزندقة و الالحاد

۱- عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبى‌ابراهيم موسى بن جعفر عليه‌السلام قال: ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك و تعالى ينزل الى السماء الدنيا، فقال: «ان الله لا ينزل و لا يحتاج أن ينزل انما منظره فى القرب و البعد سواء، لم يبعد عنه بعيد، و لا يقرب منه قريب، و لم يحتج الى شىء، و هو ذو الطول لا- اله الا- هو العزيز الحكيم، أما قول الواصفين أنه ينزل، تبارك و تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص أو زيادة، و كل متحرك يحتاج الى من يحركه به أو يتحرك به [۵۴] فمن ظن بالله الظنون فقد هلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، زوال أو استنزال، أو نهوض أو

قعود، فان الله عزوجل عن صفة الواصفين، و نعت الناعتين و توهم المتوهمين» [۵۵] . ۲- عن داوود بن قبيصة، قال: سمعت الرضا عليه‌السلام يقول: سئل أبى‌الكاظم عليه‌السلام: هل منع الله عما أمر به و هل نهى عما أراد له، و هل أعان على ما لم يرد؟! فقال عليه‌السلام: «أما ما سألت: هل منع الله عما أمر به؟ فلا يجوز ذلك، و لو جاز ذلك لكان قد منع ابليس من السجود لآدم، و لو منع ابليس لعذره و لم يلعنه. و أما ما سألت: هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك، و لو جاز ذلك لكان حيث ينهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، و لو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتاتيب (و عصى آدم ربه فغوى) و الله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشىء و يريد غيره. و أما ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟! لا يجوز ذلك و جل الله عن أن يعين على قتل الأنبياء و تكذيبهم، و قتل الحسين بن على عليه‌السلام و الفضلاء من ولده، و كيف يعين على ما لم يرد و قد أعد جهنم لمخالفيه، و لعنهم على تكذيبهم لطاعته، و ارتكابهم لمخالفته؟! و لو جاز أن [صفحه ۴۷] يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره و ادعائه أنه رب العالمين، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعى الربوبية؟، يستتاب قائل هذا القول، فان تاب من كذبه على الله، و الا ضربت عنقه» [۵۶] .

العنوان التشريعى

تحرك الامام الكاظم عليه‌السلام على هذا الصعيد، بعد ظهور صيغ استنباطية طارئة و دخيلة على البنية الفقهية و التشريعية الاسلامية، لا تنسجم مع الأصول الاسلامية الأصيلة كالقياس و الاستصحاب و تفسير القرآن بالرأى و غير ذلك، و قد شكل هذا الخط تهديدا حقيقيا لحركة الدين حتى قال عليه‌السلام: «ما لكم و القياس انما هلك من قبلكم بالقياس» [۵۷] ان هذا التشدد الذى يظهره الامام كما يبدو فى حديثه - يعبر عن ادراكه التام لخطورة ذلك المنحى المنحرف فى فهم أحكام الاسلام و تعاليمه و قيمه، و الذى يتضمن مصادر مرفوضة اسلاميا، و لا تشكل أدوات تحليلية صالحة للنمو فى البيئة الاسلامية، أو ناجحة لفهم أحكام الشريعة.

العنوان الروحى و المعنوى

اشاره

عاشت أمتنا الاسلامية - كما أسلفنا - جو الاسترخاء و السكون، و قامت أنظمتها القيادية الحاكمة برفع راية الدعوة الى هذه السياسة (سياسة التعب و الترف) عبر أجهزتها الاعلامية الرسمية، ضمن خطة منظمة و عمل مدروس أرادت، من خلاله، تغيير المعالم الباقية من الصورة النقية و الناصعة للواقع الرسالى الاسلامى [۵۸] ، و تركيز مفاهيم و مضامين اعتقادية و فكرية جديدة على مقاس و حجم أهواء و مصالح السلطات القائمة. [صفحه ۴۸] و قد ظهرت أبعاد و نتائج تلك الممارسات على المستوى الروحى و المعنوى، فى انشداد الناس، نفسيا و ذهنيا، الى الأثقال الأرضية و الملذات الدنيوية على حساب انطفاء الشعور الملتهب بالقيم و الأصول الأخلاقية الرفيعة، و الاحساس العميق بالارتباط بيوم المعاد كمبدأ توازنى دقيق - اذا صح التعبير - بين الأولى و الآخرة. و قد كان للامام موسى عليه‌السلام دور أساسى فى تنمية مشاعر الناس و احساسهم العالى بوجودهم المسؤول على المستوى الروحى، من خلال توعيتهم بضرورة رفع درجة احساسهم بالله تعالى الى مستوى العمل و السلوك و الممارسة اليومية الواعية، و تركيزه العميق على دور الدعاء و العبادة فى انماء شخصية الانسان المسلم، فى تحقيق التوازن العملى بين دنياه و أخراه.

اهتمامه بالحكم و المواعظ و الارشادات العامة

قدم لنا الكاظم عليه‌السلام تراثا ثريا و غنيا من الحكم و المواعظ الأخلاقية العملية حاول، من خلالها، التأثير الايجابى على الناس فى تنمية مداركهم المعنوية، و رفع مستوى ايمانهم العملى، و تحصينه من حالات الذوبان و التميع و الاهتزاز و الانفلات الأخلاقى التى كانت سائدة بكثرة فى ذلك العصر. لقد انطلقت تلك الجمل الوعظية فى صيغ لغوية جميلة هادفة، لها دلالتها اللفظية و أبعادها الحركية المنفتحة على أكثر من صعيد فى الواقع الاجتماعى الرسالى الاسلامى. يقول عليه‌السلام فى وصيته لبعض ولده: «يا بنى عليك بالجد، لا تخرجن نفسك من حد التقصير فى عبادة الله عزوجل و طاعته، فان الله لا يعبد حق عبادته» [۵۹] ، و يقول عليه‌السلام: «ان العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره، و لا يغلب الحرام صبره» [۶۰] . [صفحه ۴۹] ان الميزة الأساسية لهذه المواعظ أنها كانت صادقة قولا- و فعلا- و لم تكن حالة تخديرية، تجمد العقل، و توقف الفكر عن الحركة و العمل و الامتداد، أو تشده الى آخرته فى اطار سلبى، أو تلقى به فى مهلكات الدنيا الملحة بملذاتها و شهواتها [۶۱] ، بل كانت تعبر - فى العمق الفكرى و الدينى - عن بناء و تأسيس ايمانى منفتح، و ترشيد روحى واع و مؤثر تتوازن فيه المسيرة الحياتية فى المسار و الهدف، من خلال طموحات الدنيا و التشويق الى التفاعل مع حركة الآخرة، فتتواصل و تتلاقح فى مستوى الانجاز الأرضى و الأفق الأخروى. يقول عليه‌السلام فى وصيته لهشام [۶۲] : «يا هشام من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، و محا طرائف حكمته بفضول كلامه، و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه».

تزكيزه على الأدعية

اهتم الامام الكاظم بالدعاء كعمل تربوى عبادى هادف، و كمنهج تثقيفى فاعل يستطيع رفع المستوى الروحى للانسان المؤمن الى أعلى درجات اليقين و الايمان. لذلك دعا عليه‌السلام الناس الى ممارسة الدعاء، و حضهم على التزام معانيه العالية، يقول عليه‌السلام: «عليكم بالدعاء فان الدعاء لله و الطلب الى الله يرد البلاء و قد قدر و قضى و لم يبق الا امضاؤه، فاذا دعى الله عزوجل و سئل صرف البلاء صرفه» [۶۳] و يقول أيضا: «ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزوجل الدعاء الا كان كشف ذلك البلاء و شيكا، و ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلا، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء و التفرغ الى الله عزوجل» [۶۴] . [صفحه ۵۰] يركز الامام الكاظم فى كلماته السابقة على ضرورة القيام بعبادة الدعاء كحاجة ثابتة يعبر الانسان، من خلالها، عن آلامه و معاناته، و يبث فيها شكواه، من هموم الحياة، فى مناجاة خالقه العظيم، فهناك ظروف ضاغطة و معقدة يمكن أن يواجه فيها (هذا الانسان) قسوة الواقع و عذاب الحياة و ضغط المشاكل و هموم المجتمع و الأمة، مما قد يحوله الى كتلة مادية جامدة لا قيمة لها، اذا لم يتمكن من ايجاد اطلالة نفسية و روحية للتعبير عن مكنونات ذاته المليئة بتلك المشاكل و الهموم. و هنا يأتى دور الدعاء ليفتح نافذة فى جدار القلق و الاضطراب النفسى يطل عبرها الانسان على مواقع العزة و الرحمة، و آفاق المحبة و جو الوئام و المودة من خلال انفتاح الانسان على خالقه تعالى بقلب مطمئن و روح خفاقة، ليس انفتاح الضعيف الذليل، بل انفتاح القوى العزيز الذى يستمد قوته و عظمته و قيمته من قوة و عظمة الله المطلقة، ليكون الانسان المؤمن الحر الذى لا- يمكن أن تحوله التحديات و المصائب و الهموم، الى مجرد انسان قلق (بالمعنى السلبى) و معقد و منهار لأن وعى الانسان العميق لقيم الله - فى كدحه وارتقائه (و حتى بدعائه) نحو الله - يعطى الانسان الملتزم مؤونة التحدى و طاقة المواجهة مع كل صعوبات الحياة، فالله تعالى هو الممون الحقيقى لطاقة الوجود و العمل و المواجهة المستمرة مع مصاعب و تعقيدات الحياة، يقول عليه‌السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم اعطنى الهدى و ثبتنى عليه، و احشرنى عليه آمنا أمن من لا- خوف عليه و لا- خوف و لا- جزع، انك أهل التقوى و أهل المغفرة» [۶۵] . ليكون الدعاء، من خلال ذلك، أحد الوسائل الأساسية و الضرورية الموصلة الى تحقيق الكمال الانسانى الذى لا يمكن أن يتجسد على أرض الواقع الا بانتاج و صنع أفراد يشعرون بعمق مسؤولياتهم فى حركة الحياة بانفتاحهم على الحياة من خلال انفتاحهم على الله فى عملية نقد ذاتى

موضوعى لأوضاعهم المختلفة، ليحاكم الفرد منهم نفسه، من خلال حركة الدعاء الواعى، بين يدى [صفحه ۵۱] ربه، و ليبتعد عن تضخيم شخصيته و ليحاسبها هو أمام الله، ليكون ذلك انكشافا حقيقيا للذات أمام الخالق، و ليس انكشافا أو افتضاحا لنفسه و شخصيته و أسراره الخاصة أمام المخلوقين. يقول عليه‌السلام فى أحد أدعية: «اللهم بك أساور، و بك أجادل، و بك أنتصر، و بك أموت، و بك أحيا، أسلمت نفسى اليك، و فوضت أمرى اليك، لا حول و لا قوة الا بالله العلى العظيم، اللهم انك خلقتنى و رزقتنى و سررتنى و سترتنى من بين العباد بلطفك و خولتنى، و اذا هربت رددتنى، و اذا عثرت أقلتنى، و اذا مرضت شفيتنى، و اذا دعوتك أجبتنى، سيدى ارض عنى فقد أرضيتنى» [۶۶] . لأن الله تعالى يحفظ سرك و نجواك و يدعوك الى عبادة الدعاء (كرسى الاعتراف) لتعترف بذنوبك أمامه، يقول عليه‌السلام: «عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك» [۶۷] ، لتصل الى النتيجة الصحيحة و تفتح بعدها، صفحة جديدة و عهدا جديدا مع ربك و مع نفسك و الآخرين، لا لتتجمد، بل لكى تتحول الى طاقة مبدعة و متفجرة فى الواقع العملى من خلال ممارستك لدورك و نشاطك الفعال و المنتج فى حركة المجتمع البشرى، تعمل و تتحرك و تندمج بالحياة الانسانية بكل قوة و وعى و ثبات و عزم ايمانى، لأن الاسلام يريد من الانسان المسلم الملتزم بآدابه و قيمه فى العبادة و الدعاة و ما الى ذلك، يريد منه أن يكون نموذجا حيا للانسان الالهى بوعيه و حركيته، أن يدخل، بل و ينخرط، فى عمق الواقع الاجتماعى و يمارس فيه واجباته و مسؤولياته الروحية و العملية مجسدا لارادة الله و كل تعاليمه التى تغدو الأرض معها جنة مصغرة، فتتعلم فيها كيف نمارس نعم الله فى الدنيا قبل أن نعيش معه فى الآخرة، و بذلك نفهم أن يكون الدعاء عملا- و توكلا- لا- سكونا و تواكلا، يقول عليه‌السلام: «توكلت على الحى الذى لا- يموت، و تحصنت بذى العزة و الجبروت، و استعنت بذى الكبرياء و الملكوت، مولاى استسلمت اليك فلا تسلمنى، و توكلت عليك فلا تخذلنى، [صفحه ۵۲] و لجأت الى ظلك البسيط فلا تطرحنى، أنت المطلب، و اليك المهرب، تعلم ما أخفى و ما أعلن، و تعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور، فأمسك عنى الهم و أيدى الظالمين من الجن و الانس أجمعين، و اشفنى يا أرحم الراحمين» [۶۸] .

التأسيس لنموذج القدوة

تعتبر شخصية الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام من أرفع و أعمق و أثرى الشخصيات الانسانية وعيا و نضجا و علما و مكانة، حيث استطاعت أن تساهم مساهمة فعالة - من خلال نموذج القدوة و الأسوة الحسنة كوسيلة ترشيدية متحركة - فى التأسيس الأولى و البناء القاعدى للحضارة الانسانية، و تطوير الحياة العامة، و تغذية الفكر البشرى بأسباب نهوضه، من خلال نشر ثقافة و مكونات الوعى الفكرى الاسلامى فى كل الأنحاء، لقد كانت صفاته الذاتية الرفيعة، و عناصر نفسه النبيلة و المعطاءة - التى نمت و ترعرعت فى ظل محبة الله و الخوف منه و الايمان اليقينى به - من أهم الأسباب التى جعلت من الكاظم عليه‌السلام أنموذجا خلاقا فى الفكر و الأخلاق و السلوك و العمل و الالتزام. لقد كان عليه‌السلام يبكى من خشية الله فى جوف الليل، و يرتجف و يرتعد فى الحضور أمامه حتى لقب بحليف السجدة الطويلة و الدموع الغزيرة [۶۹] (و ما لم ينقلب الداخل نارا لا يبكى الانسان). و لعلنا جميعا سمعنا بقصة بشر الحافى التى ننقلها هنا للدلالة على مصداقية الأسوة الحسنة للامام الكاظم عليه‌السلام. - يروى أنه عليه‌السلام مر يوما فى أحد أزقة بغداد و كانت أصوات العربدة و الآلات الموسيقية و الطنبور و العزف و الرقص تسمع من أحد البيوت، و صادف أن خرج، من المنزل، خادم يريد رمى النفايات قيل أنه كان يريد وضعها فى الخارج كى يأتى مسؤول التنظيفات و يأخذها، فسأله الامام عليه‌السلام عن صاحب [صفحه ۵۳] هذا البيت أحر أم هو عبد، و تعجب الخادم من السؤال، و قال: ألا تعرف من صاحب هذا البيت مع ما هو عليه من الجلالة؟ هذا بيت بشر أحد الرجال الأشراف، أحد الأعيان،ن واضح أنه حر، فقال عليه‌السلام: نعم حر، و لو كان عبدا [۷۰] لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره. التفت بشر الى خادمه الذى خرج ليرمى النفايات و يعود فان خروجه لا يستدعى منه أن يبقى

أكثر من دقيقة مثلا لكنه غاب عدة دقائق. فجاء اليه و سأله: لم هذا التأخير؟ قال: قد أوقفنى رجل للكلام، فسأله: ماذا قال، سألنى سؤالا عجيبا، فقال: ما السؤال؟. قال: سألنى: صاحب هذا البيت حر أم عبد؟ فقلت له: طبعا حر، فقال لى: نعم لو كان عبدا لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره، فسأله عن أوصافه فوصفه له، فعلم أنه موسى بن جعفر، فسأله: أية جهة ذهب، فأشار له الى الجهة التى ذهب منها، فلم يمهل نفسه كى يلبس حذاءه خوفا من أن لا يدرك الامام عليه‌السلام فعدا حافيا (فقد أحدثت تلك الجملة فى نفسه تغييرا) حتى وصل الى الامام عليه‌السلام فسأله عن قوله ماذا قال، فأجابه قلت: كذا، ففهم المقصود، و قال: سيدى أريد من الآن أن أكون عبدا لله، و صدق فى قوله فغدا من تلك الساعة عبدا لله [۷۱] .

ممارسة الاصلاح الاجتماعى و محاولة رفع المعاناة و غائلة الظلم عن الناس

اتفق المؤرخون على أن الامام الكاظم عليه‌السلام كان من أكرم و أجود أهل زمانه [۷۲] ، و قد نذر حياته للدين و خدمة المجتمع و تربية الناس على قيم و مبادىء [صفحه ۵۴] الاسلام الخيرة، و بالنظر الى الحركة الاقتصادية فى عصر الامام عليه‌السلام، فاننا نجد أنها كانت مضطربة و شبه مشلولة بالرغم من مظاهر الترف و الغنى التى كانت مقتصرة، على حد ما يروى المؤرخون، على أفراد السلطة الحاكمة و أعوانهم و حاشيتهم. لقد تفردت الفئة الحاكمة ليس بالسلطة السياسية فحسب، بل و استأثرت أيضا بالانفاق السخى من خزينة الدولة على مظاهر البذخ و الترف، الأمر الذى قسم المجتمع الى مستويات طبقية متعددة بعضها غنى يملك كل شىء، و الآخر فقير لا يملك أى شىء. كما و دخل المجتمع، على أثر ذلك، فى دهاليز مظلمة جديدة من القهر و المعاناة و البؤس و الحرمان. و فى سياق مواجهة هذا الواقع الاقتصادى الظالم و المنحرف؛ عمل الكاظم على زرع روح التربية الاسلامية الصحيحة بين النفوس التى أضناها القلق و التعب و الارهاق النفسى الناتج عن التفكير المتواصل بسد رمق الحياة و العيش البسيط. ان ممارسة الامام عليه‌السلام لهذا النمط من الحراك الاجتماعى يعكس وعيه العميق لأهمية الجانب الاقتصادى و الاجتماعى من مواقع الدعوة و العمل الرسالى، كما و يؤكد - فى الوقت ذاته - مدى حرصه عليه‌السلام على المسلمين كأمة لها وجودها و مشروعها الذى لا تهزه العواصف و لا تسقطه التحديات، لذلك كان عليه‌السلام يعمل باستمرار على بث عوامل الاستقرار فى المجتمع، من أجل تحصين الأمة من عناصر الاهتزاز الداخلى و الخارجى فى ظل هذه الأجواء النفسية الضاغطة على الفرد و الأمة، و ننقل هنا بعض الروايات التى تظهر الحرص الشديد للامام عليه‌السلام على رفع غائلة الظلم الاقتصادى و الاجتماعى عن [صفحه ۵۵] الناس بحسب الامكانيات التى توافرت آنذاك. - روى البغدادى فى تاريخه [۷۳] عن محمد بن عبدالله البكرى، قال: قدمت المدينة أطلب بها دينا فأعيانى، فقلت: لو ذهبت الى أبى‌الحسن موسى بن جعفر و شكوت اليه ذلك، فأتيته فى ضيعته، فابتدأنى بالسؤال عن حاجتى، فذكرت له قصتى، فدخل الى بيته و خرج منه مسرعا، و قال لغلامه: اذهب، فلما ذهب الغلام مد يده و دفع لى صرة فيها ثلاثمائة دينار فركبت دابتى و انصرفت. اننا نلاحظ - فى تحليلنا لحركية الامام الكاظم على هذا المستوى - وجود اتجاه انسانى عميق ممزوج بنفحات عرفانية متألقة [۷۴] ، فى معالجته لبعض الظواهر الاقتصادية يحاول، من خلاله توعيتنا بضرورة الانفتاح على مبادىء الاسلام، ليكون عندنا جيل اسلامى واع و مؤمن برسالته و دورها الحضارى الرائد فى بناء حياة الانسان، فى تعزيز قيمه المعنوية والأخلاقية فى ممارسات و أفعال المسلمين [۷۵] . - قال عيسى بن محمد بن مغيث القرطبى: زرعت بطيخا و قثاء فى موضع بالجوانية على بئر يقال لها (أم عظام) فلما قرب الخير و استوى الزرع بغتنى الجراد فأتى على الزرع كله، و كنت غرمت على الزرع فى ثمن جملين مائة و عشرين دينارا، فبينما أنا جالس اذ طلع موسى بن جعفر بن محمد فسلم ثم قال: «أى شىء حالك؟» فقلت: أصبحت كالصريم، بغتنى الجراد فأكل زرعى، قال: «و كم غرمت فيه»؟ فقلت: مائة و عشرين دينارا مع ثمن الجملين، فقال: «يا عرفة زن لأبى المغيث مائة و خمسين دينارا، فربحك ثلاثون دينارا و الجملان»، فقلت: يا مبارك ادخل و ادع لى فيها بالبركة، فدخل و دعا و حدثنى [صفحه ۵۶] عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال: تمسكوا ببقايا المصائب، ثم علقت عليه الجملين و سقيت، فجعل الله فيها البركة و زكت، فبعت منها بعشرة آلاف

[۷۶] . فى الواقع، اننى لا أجد مانعا من أن أقول: ان تلك المواساة للناس و المشاركة فى مصائبهم، هى دأب الامام الكاظم عليه‌السلام و أخلاقه نهلها من جده اميرالمؤمنين على عليه‌السلام عندما قال: «أأقنع من نفسى بأن يقال اميرالمؤمنين، و لا أشاركهم فى مكاره الدهر؟ أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش» [۷۷] .

مظاهر الخط العلمى التربوى الخاص

يمكن أن نلحظ، فى هذا الاتجاه، حركة منظمة واسعة الأبعاد لتربية الطليعة الواعية و المثقفة التى تبث العافية و السلامة فى أوصال الأمة، نشير، فى ما يلى، الى بعضها:

الشد و الجذب العاطفى العملى

الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الامام الصادق (ع)، (ص: ۲۸۷) مصدر سابق. ركزت تعاليم الاسلام على مسألة الحرارة الرسالية و الشد (الانجذاب) العاطفى بالقائد، بدء من التذكير بالعلاقة الراسخة التى يملكها القائد بالله، منبع الحب و الحنان و الفيض على الأرض، فى قوة يقينه و التزامه بنهجه المتين، و مرورا بالآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة المركزة على حب أهل البيت عليهم‌السلام و مودتهم، و انتهاء بالعطاء الفعلى الذى يلمسه الملتزم و المحب لهذه الشخصيات، و ذلك كأسلوب تربوى فعال يهدف أساسا، الى استلهام الدروس الرسالية فى ساحات الحياة و آفاقها الواسعة [۷۸] . [صفحه ۵۷]

تعميق الاحساس بوجود الله و مراقبته و اليقين به

فى سلوكنا الذاتى و الاجتماعى، بحيث نبقى منضبطين و سائرين على خط الاستقامة و ملتزمين بقيم الله و الاسلام يقول عليه‌السلام: «اياك أن تمنع فى طاعة الله، فتنفق مثليه فى معصية الله» [۷۹] ، و يقول عليه‌السلام لبعض شيعته: أى فلان، اتق الله و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك؛ أى فلان اتق الله ودع الباطل و ان كان فيه نجاتك، فان فيه هلاكك» [۸۰] ، و قوله عليه‌السلام فى سؤال وجهه اليه أحدهم عن اليقين: «يتوكل على الله و يسلم لله و يرضى بقضاء الله و يفوض أمره الى الله» [۸۱] .

التركيز على تحلى الأصحاب بالخصال الأخلاقية الرفيعة

رفضه للكبر و المتكبرين

جاء فى وصيته عليه‌السلام لهشام: «يا هشام اياك و الكبر على أوليائى و الاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك و لا آخرتك، و كن فى الدنيا كساكن دار ليست له، انما ينتظر الرحيل» [۸۲] .

مجالسة أهل الدين و الأخلاق و مشاورة العقلاء

يقول عليه‌السلام: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا و الآخرة، و مشاورة العاقل الناصح يمن و بركة و رشد و توفيق من الله، فاذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك و الخلاف فان فى ذلك العطب» [۸۳] . [صفحه ۵۸]

الصمت الايجابى

يعنى ذلك: توخى الحذر و الدقة و المسؤولية فى اختيار كلمة الدعوة و أسلوبها.. (تخير الكلمة المناسبة للموقف المناسب). يقول عليه‌السلام: «يا هشام، قلة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فانه دعة حسنة و قلة وزر و خفة من الذنوب، فحصنوا باب الحلم، فان بابه الصبر، و ان الله عزوجل يبغض الضحاك من غير عجب و المشاء الى غير أرب» [۸۴] . و يقول عليه‌السلام: «يا هشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: اذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه، فانه يلقى الحكمة، و المؤمن قليل الكلام كثير العمل، و المنافق كثير الكلام قليل العمل» [۸۵] .

ضرورة محاسبة النفس بشكل يومى

يقول عليه‌السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه» [۸۶] .

التربية على الصمود و الصبر و الثبات

الصبر على الحكم الجائر

يقول عليه‌السلام: «اذا كان الامام عادلا كان له الأجر و عليك الشكر، و اذا كان جائرا كان عليه الوزر و عليك الصبر» [۸۷] ، [۸۸] . [صفحه ۵۹]

الصبر على الطاعات

جاء فى وصيته عليه‌السلام لهشام: «يا هشام اصبر على طاعة الله واصبر عن معاصى الله فانما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سرورا و حزنا، و ما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التى أنت فيها فكأنك قد اغتبطت» [۸۹] .

التفقه فى الدين

يقول عليه‌السلام: «تفقهوا فى دين الله فان الفقه مفتاح البصيرة، و تمام العبادة و السبب الى المنازل الرفيعة و الرتب الجليلة فى الدنيا و الدين، و فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، و من لم يتفقه فى دينه لم يرض الله له عملا» [۹۰] . [صفحه ۶۰]

تأملات حول الواقع الحضارى الاسلامى الراهن (تحديات الواقع و آفاق المستقبل)

اشاره

تعرضنا فى بداية هذا الكتاب، و بشىء من التفصيل، لجملة الظروف و التغيرات السياسية و الاجتماعية و الحضارية العامة التى عاصرها الامام موسى الكاظم عليه‌السلام، و تمكن فى خلالها، مع شيعته و تلامذته و أصحابه، من ممارسة دور حضارى نموذجى فى مواجهتها و التصدى لها، و بالتالى الدفاع عن منظومة القيم و التشريعات الحضارية الاسلامية. و يبدو لنا أن تلك الظروف و الأوضاع لا تزال تفعل فعلها فى تمزيق و تشتيت الأمة روحيا و مفاهيميا، متلبسة قوالب و اطارات جديدة فى ذات الاتجاه و ضمن الجوهر و المحتوى نفسه. فنحن نواجه، فى لحظتنا الراهنة، حضارة عملاقة غالبة و قاهرة هى الحضارة الغربية بكل ما فيها من منظومات تفكيرية و أنساق

معرفية، تريد اظهار جدارتها (استعلائيتها) على النماذج الحضارية المستضعفة الأخرى. فى هذا السياق نتساءل: كيف يمكن لمجتمعاتنا العربية و الاسلامية أن تستنهض ذاتها فى ظل الخلافات السياسية و الأزمات الاجتماعية و الثقافية القهرية السائدة التى تحكم العالم من خلال ما اصطلح على تسميته «بالنظام العالمى الجديد»؟! [صفحه ۶۱] ما هو الدور الهام الذى يجب أن تضطلع به ثقافتنا الاسلامية فى مواجهة أزمة القيم الحادة التى بدأت تنشر روائحها عبر أنظمة الاعلام و شبكات الاتصالات الحديثة التى تحاول - و قد نجحت الى حد ما فى محاولتها هذه - تعميم نظام قيم غربى (عصرى) يتخذ من غرائز الانسان و شهواته الدنيئة هدفا له فى حجم الحياة كلها؟!. فى الواقع قدم الغرب [۹۱] ، فى هيئته الجديدة، الى البشرية رؤية و نظرة كونية جديدة للعالم، و نمطا للحياة حديثا، و لقد ظهر ذلك على هيئة مذاهب و تيارات فلسفية و اجتماعية و اقتصادية كالليبرالية و الاشتراكية. لقد حفلت ظروف الغرب و أحواله خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر [۹۲] بالكثير من الصور و التغيرات و المشاهد التى تستحق الوقوف عندها و التأمل بها و دراسة بعض مواقعها التاريخية: ۱- تم التخلص من قيود الكنيسة الدينية و تسلطها الأرعن على حياة الناس الاجتماعية، و بنتيجة ذلك بويع العقل الانسانى كمصدر وحيد لتشخيص المعرفة و القيمة و الحقيقة. ۲- حل العلم التجريبى محل الدين فى أذهان الناس، و بات هو الأساس فى تفكيرهم و حل مشاكلهم المادية و حتى النفسية، فأصبحت اللذة و الترف المادى مصدر السعادة و المنى للانسان و هدفه الأساسى فى هذه الحياة. ۳- و كنتيجة طبيعية لذلك، أصبح الله تعالى فكرة مجردة و خالية من أى معنى فى أذهان الناس و حياتهم، و أصبح التمتع بالملذات الحسية و الثروات [صفحه ۶۲] المادية، من أقصاها الى أقصاها، أهم حافز و باعث للنشاط البشرى. لقد وصل الانسان الى درجة من الاعتقاد هى أنه، و بفضل جهده و اعتماده المطلق على علقه، يستطيع أن يبنى جنة أرضية فيها ما لذ طاب من الرفاه و المتع و اللذات، و من الطبيعى أن تقدم، فى مثل هذه الأجواء النفسية و المادية، الاحتياجات المادية على غيرها، و أن تكون هى الأصل و غيرها الفرع، و بتعبير أدق: أن تصبح رغبات الانسان أساس الأفكار و الأخلاق و القيم فى الغرب الحديث. فى مثل هذا المناخ نشأت فكرة الليبرالية الغربية حيث أتاحت الظروف المادية الجديدة بروز علاقات اجتماعية حديثة كان من أمرها - على حد تعبير أحد الباحثين الغربيين - انتاج فلسفة جديدة أخذت على نفسها مهمة تحسين الدنيا الجديدة، و كانت الليبرالية هى تلك الفلسفة [۹۳] ، التى تحاول الآن - جاهدة - أن يكون لها واقع حضارى فكرى و سياسى عالمى يفرض نفسه بقوة على المجتمعات الاسلامية فى سياستها و ثقافتها و اقتصادها و اعلامها، بما يتعارض - كليا و جوهريا - مع الأصول و المبانى الاعتقادية و الفكرية و القيمية الاسلامية. ان هذا التعارض و التضاد القائم ليس مشكلة بحد ذاته، لكن هناك مجموعة عناصر و عوامل جانبية تعمل على اذكاء الصراع، و تصعيد التضاد، نشير اليها كما يلى: العامل الأول: يتمتع العالم الغربى بنظام فكرى و سياسى عريق و مستحكم البنى و العلائق - كما ذكرنا سابقا - اكتسبها عبر ممارسة تجريبية دقيقة امتدت قرونا طويلة، و تم عرضها و نقدها و اظهارها و اختبارها - بجوانبها المختلفة - من قبل مئات العلماء و المفكرين. العامل الثانى: يعرض النظام الفكرى و القيمى السياسى الغربى بطريقة يساير، من خلالها، الرغبات الأولية للبشر، أى الميول التى تجعل الانسان [صفحه ۶۳] يدافع عنها و يسعى الى تحقيقها بكل قوة و عزيمة، و بخاصة ميل الانسان بطبعه الذاتى نحو «الحرية» التى يزعم الغرب أنها أساس نظامه السياسى و الفكرى، و ما لها من هالة و سحر مقدسين عند أى انسان. و بمقابل ذلك نجد أن الفكر الاسلامى يدعو الناس الى اقامة نظام أساسه الأخلاق و الفضائل التى يحصلها الانسان بالمجاهدة و المثابرة و الكدح الارتقائى نحو الله. بناء على ذلك، فان ما يقترحه الغرب - صاحب القوة الاقتصادية و السياسية و العسكرية و الاعلامية الطاغية - يماشى رغبات و أمانى و طموحات البشر الأولى، و هنا تكمن الأزمة حيث اننا ندعو الى قيمنا و نظامنا الأخلاقى العام - الذى يقوم على الزهد و ضبط النفس و تقوية الملكات الروحية و الأخلاقية عن طريق الجهاد الأكبر (جهاد النفس) - فى ظل أجواء التحلل من الأخلاق و المبادىء و الأصول العامة، يمتلك فيها (فى تلك الأجواء) عدونا القدرة على السيطرة و التحكم بميزان القوى فى كل الأحوال [۹۴] ، الأمر الذى جعلنا نعيش، حضاريا و انسانيا، على هامش الحضارة الغربية التى تريد تعميم ذاتها الحضارية على الشعوب المقهورة و المستضعفة كلها لتمارس، من خلال ذلك، غريزتها «القديمة - الجديدة و هى غريزة

السيطرة و الاستحواذ التى تمظهرت منذ عصر الاكتشافات الكبرى فى عهد البرتغال و الاسبان، و الآن تتمظهر مرة أخرى، بلباس جديد، فى الامبريالية العالمية بشعاراتها الخادعة و المزيفة (رسالة الرجل الأبيض) التى دمرت [۹۵] كل الانجازات الثمينة للفكر الانسانى و للروح الانسانية و للذوق الانسانى، و حتى للبيئة و الطبيعة الأرضية [۹۶] من خلال [صفحه ۶۴] حروبها [۹۷] و جرائمها البشعة التى كشفت عن حقيقة تلك الشعارات و تلك القاعدة التى ترتكز عليها مصالح الغرب و شعاراتها الحضارية و الأخلاقية النفعية. نعم، ان الغرب استعمارى و حاقد [۹۸] و لا- يفهم بغير لغة المصلحة و المنفعة المادية، و لا- مكان للأخلاق و القيم فى قاموسه السياسى و الفكرى، لكن المشكلة، بالدرجة الأولى، ليست فى الغرب، بل عندنا نحن، لماذا؟! لأننا نحن الذين سمحنا، من خلال عقدة النقص فى داخل ذاتنا و نسيجنا الحضارى الراهن، أن يمتد الغرب فى كل أوضاعنا و مواقفنا. صحيح أنه (الغرب) يمتلك امكانات و طاقات هائلة، لكننى لا- أفهم أن نسمح لهم و نمضى على أوراقهم (فى سياستنا و اقتصادنا) فى أن يفرضوا ارادتهم على ارادتنا، أن يقهروا وجودنا و يستغلوا ثرواتنا و ينهبوا خيراتنا. [صفحه ۶۵] نحن قد نفهم أن مصالح الغرب تقضى ببناء و تشييد استثمارات اعمارية و انشائية مختلفة فى بلداننا (فنادق خمس نجوم) لكننى لا يمكن أن أفهم، و لا أوافق أبدا، أن يتحمل المجتمع كل المظاهر السلبية التى تترتب على هذا العمل، لأنهم يريدون أن يجعلوا، من تلك الفنادق و الاستراحات، محطات لهو و ترف لهم. الغرب يلغى لهونا الخاص الذى يعبر عن فكرنا، يلغى موسيقانا الخاصة و أناشيدنا و شعرنا و حتى ألعاب أطفالنا، و يريد تقديم نموذجه لنا، و ليس ذلك أن نكون مثل الغربيين و انما من أجل أن نكون أداة لاستمتاعهم أو لاستثمارهم [۹۹] ، انهم يعممون نموذجهم الذى يلغى الآخر و لا يسمحون للآخر أن ينمو و يمتد من خلال ايجابيات نموذجهم بنفسه، بمقدار ما يدفعون الآخر الى الضمور من خلال سلبيات نموذجهم، و الآن يقوم هذا الغرب، مع بعض (ممثليه؟!) [۱۰۰] فى منطقتنا العربية و الاسلامية، بالتسويق لنغمة «قديمة - جديدة» تقول بأنه لايمكن اللحاق بركب التقدم الغربى الا بالمحاكاة و التماهى، سواء فى الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية. و نحن نرى أن اصرار الغرب على ضرورة محاكاته (دون التماثل معه و عدم الانسياق خلفه فى كل شىء) يعنى أن نقلده و نبقى فى حاجة ماسة له، لأنه لا يريدنا أن نحقق استقلالنا طالما أن التماثل يعنى الاستقلالية، و المحاكاة تفرض التبعية و الاستلحاق، و السؤال المطروح، فى ظل نمو مشاريع السيطرة الاقتصادية و السياسية [مشروع التسوية (السلام المنتظر) و سوق الشرق الأوسط و المتوسط، و ما الى ذلك] [۱۰۱] . [صفحه ۶۶] هو، كيف نحتفظ بذاتنا الحضارية و نستعيد و نطور حقيقتنا الخاصة التى تجعلنا متماثلين و نديين - اذا صح التعبير - فى سلوكنا و وعينا للآخر، فى علاقات المجتمع فى أنظمته السياسية و علاقاته الاقتصادية؟!. انه سؤال اشكالى مركب و ليس بسيطا، نواجهه جميعا كمثقفين و نخبة واعية و ملتزمة، تحتاج، فيما تحتاج، الى مراجعة ذاتها، و تغيير كثير من حساباتها الفكرية و العملية، خاصة و أننا نعيش حالة ضياع و غربة كاملة لأننا خسرنا المشروع التحديثى برمته و بكل مواقعه و تفاصيله، و أفلسنا فيه بالكامل [۱۰۲] ، فى الحقيقة نريد أن نؤكد، بداية على أننا كمسلمين، أصحاب مشروع و أطروحة ربانية، نتطلع الى ممارسة دور حضارى فاعل فى الحياة الانسانية المعاصرة، فى أن نكون منفتحين على الآخر لا لافتراسه أو لاستغلاله و انما للتكامل به و معه، أن نحافظ على هذا و فى الوقت نفسه نعمل على تطوير نموذجنا الخاص فى الاجتماع و الاقتصاد و السياسة فى ذاتنا و فى العلاقة مع الآخرين، حتى مع هؤلاء الذين يحملون هذه النزعة أو الطبيعة الافتراسية الفاوستية. نحن لم (و لن) نسعى - حسب و عينا لحركة الاسلام الروحى و المفاهيمى - الى الاستحواذ على الآخر و الغائه، بل الى الانفتاح عليه و التعاون معه و احترام خصوصيته الحضارية، و الشاهد الحى على ذلك هو بقاء اليهودية و كذلك المسيحية و ازدهارها فى ديارنا الاسلامية، فى مقابل أن الغرب التاريخى [صفحه ۶۷] المعاصر ينظر الى الاسلام نظرة الشك و الريبة و العداء، و يمارس ضده حربا سياسية و اعلامية لا هوادة فيها، ينزع فيها الى ارادة الاستحواذ و غريزة السيطرة و ليس الى ارادة المشاركة و المساهمة و التعاون. اننا و من خلال مراقبتنا و ملاحظتنا لواقع الحال العربى و الاسلامى و العالمى، نقترح - فى اطار حركية الصراع و اللقاء بين الاسلام و الغرب كواقع قائم و أفق يستشرف بعض معالم مستقبل الحوار لا الصراع - نقترح بعض المبادىء العامة لاجراء أى حوار لا حق بين الاسلام و الغرب، مع تشكيكنا - مسبقا - حدوث أى حوار صادق

معه [۱۰۳].

فى المجال السياسى و الاقتصادى

عدم استخدام القوة لفرض الارادة و الرأى السياسى أو الاقتصادى، و السعى باتجاه ايجاد حلول جذرية لقضية فلسطين و القدس، و الغاء الخطاب العدائى و الاستعدائى [۱۰۴] - اذا صح التعبير - الذى يمارسه الغرب اعلاميا و نفسيا [صفحه ۶۸] ضد الاسلام و المسلمين [۱۰۵]، و بناء شراكة عملية فى المجال الاقتصادى و الاستثمارى تقوم على أساس التكافؤ و العدل و الندية و تلغى التبعية و التماهى و الاستلحاق.

فى المجال الحضارى و الثقافى

من المعروف أن الغرب يلتزم ثقافته و نمطه السلوكى الحضارى كمعيار حقيقى فى أى مجال من مجالات العمل و الابداع، و بذلك فهو يلغى دور الثقافات الأخرى و منها الثقافة الاسلامية و لا يفسح لها المجال للانفتاح و التفاعل و التواصل مع الآخر [۱۰۶] بثقافته و نظامه المعرفى على قاعدة التماثل، [صفحه ۶۹] و وفقا لقوانين التكامل الخاصة بحضارة وثقافة الاسلام؛ الأمر الذى يمكن أن يفتح سبلا للتعاون مختلفة - اذا ما أثمرت جهود التفاعل و التلاقح الفكرى - فى مجال تصحيح الوضع الانسانى و الأخلاقى، خاصة و أن الحضارة الغربية تنطلق من جذور مادية فى ثقافتها و ليس من جذور مسيحية، و ذلك بالعودة الى الفطرة الانسانية النقية و الطاهرة فى مسألة الايمان الدينى، فى اعادة الاعتبار للقيم الأخلاقية فى مجال الأسرة و المجتمع و الاقتصاد و العلاقة مع الذات و مع الطبيعة. و لا شك أن هناك صعوبات كبيرة تقف عائقا أمام البدء بحركة حوار حضارى مع الغرب خاصة على الصعيدين التاريخى و الواقعى (العصرى). فعلى الصعيد الأول (التاريخى): نلاحظ أن هناك تاريخا تصادميا مروعا بيننا و بين العالم المسيحى لا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية. حيث نشأت، بعدها، و نمت حالة من الشك و عدم الثقة بين المسيحيين و المسلمين، تحولت عبر الزمن الى ترسبات و كتل جامدة سادت الأذهان فى كلا العالمين (الاسلامى و المسيحى)، ساهم حشد كبير من المستشرقين فى تعميقها و ترسيخها فى حركة الواقع آنذاك. أما المعوق الثانى (العصرى الراهن): فيتمثل - كما ذكرنا - بالاستعمار الجديد نفسه، الذى انطلقت جحافله لتغزو العالم كله، تحقيقا لمصالحها الاقتصادية و السياسية، و لبلوغ ذلك الهدف أباحوا لأنفسهم استخدام كل السبل و الوسائل و الأدوات، و منها اثارة تعقيدات التاريخ فى الأذهان، ليس فقط للابقاء على الخلافات و الأحقاد بين المسلمين، بل أيضا لاثارة هذه الخلافات من زوايا عدة على نطاق واسع ليتمكن المستعمرون، فى ظل الخلافات و النزاعات، من الوصول الى مصالحهم غير المشروعة [۱۰۷]، و لا ننسى، و نحن نتحدث عن معوقات حوار الحضارات، أن نمر على الحرب العالمية التى تقودها دول الاستكبار العالمى - و فى مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية [صفحه ۷۰] و دول أوروبا الغربية - ضد الاسلام الحركى التحررى، حيث تعمل (تلك الدول) على محاصرة معتنقيه فى مواقعهم و مواقفهم بشتى السبل، المباشرة و غير المباشرة، من أجل اضعافهم و تقييد حركتهم و اسقاط مصداقيتهم، و مصادرة حرياتهم و تشويه معالم صورتهم [۱۰۸] بمختلف الأساليب الاعلامية و الأمنية و الثقافية و الدينية. ازاء هذه التحولات السريعة و المتلاحقة فى واقع الحياة المعاصرة، نتساءل: كيف يجب أن يتعامل الفكر العربى و الاسلامى الراهن مع هذا الواقع الموضوعى؟ و ما هى آليات تطويره كى يصبح قادرا على مواكبة و مسايرة قضايا العصر؟! مما لا شك فيه أن العالم يشهد تحولات جذرية بدأت تأخذ، منذ فترة، أبعادها السياسية الواقعية، على صعيد الأسس التى تتحرك من خلالها القضايا و الأمور فى مختلف الدول و خصوصا دول العالم الثالث، و منها بلداننا العربية و الاسلامية. يجب أن نعترف أول الأمر أن واقعنا الحالى هو واقع الهزيمة، و أن آخر تجليات هذه الهزيمة يتجسد فى ما يفرض على الأمة من مسارات تفاوضية استسلامية مع عدوها التاريخى اللدود ضمن موازين قوى ذاتية و اقليمية و دولية تميل لصالح العدو، و ستنتهى حكما الى الاستسلام، و الاذعان لهذا العدو، لا على النحو

الـذى تكون حصـيلته خسارة معركـة واحـدة مع العـدو، ثم ينتهى الأمر «و كفى الله المؤمنين القتال»، بل على النحو الـذى يفتـح مسارا جديـدا و لاـ يتوقف فى تقـديم التنازلاـت و التراجعـات التى سـتمكن هـذا العـدو من التحكم، مسـتقبلا، بكـل موازين القوى الضـامنة لاسـتمرار الخلل فى مشروعه، و بما يضع عقبات و عراقيل حقيقية فى مواجهة أى مشروع نهوض للأمة [۱۰۹] قد ينطلق لمواجهة هذا [صفحه ۷۱] المشـروع و غيره من مشاريع التفتيت و الهيمنة المؤطرة بزخارف الانسانية و حقوق الانسان و الحداثة و التحضـر و العصرنة و الكوننـة و العولمـة الـخ، و طالمـا أننـا نقر جميعـا، كتيـارات و نخب فكريـة و سياسـية متعـددة المشـارب و الانتمـاءات، بوقوع تلك الخسارة، و أننا نعيش الآن فى قلب الهزيمـة الفعليـة، فالسؤال المطروح هو: هل يمثل هـذا الواقع الانهزامى القضاء و القـدر الذى يجب أن نسـلم بنتائجه و انتهى الأمر؟ أى: هل ما يجرى على الصعيد الاقليمى و الدولى من حقائق و متغيرات، و ما انتهت اليه موازين القوى السياسـية الراهنة، قد أغلق علينا باب التغيير التاريخى بعد أن توزعت الأقدار على الشـعوب و الأمم؟! و هل، حقا، أن هذه المصائر التى آلت اليها أمورنا و أوضاعنا قد جاءت كلها من الخارج و من دون ارادة منا، و لا يد أو مسؤولية لنا فى مآلها؟!. نؤكد فى سياق اجابتنا، أن مـا يحصل ليس قضاء و قـدرا مفروضا على أمتنا، اننا نتفق على ذلك مع الجميع. و نتفق أكثر على أن الهزيمـة واقع مفروض، لكن هـذا الاتفاق لا يكفى وحـده لأنه، و من أجل الخروج من وادى الهزيمـة، لابـد أن يكون لـدينا قدر مشترك و ارادة واعية من الاتفاق على عنـاوين رئيسـية تقع فى صـلب الأسـباب التى أدت الى الحـاق الهزيمـة بنـا، سـنختلف، منـذ البدايـة، فى توزيع الاتهامـات و القاء مسؤوليات الهزيمـة على هـذا الطرف أو ذاك، أكثرنا قـد يحمل الأنظمة السياسـية غير الشـرعية القائمة و التابعة للغرب، المسؤولية عن كـل هـذا التفسـخ السياسـى و الاقتصـادى و التاريخى، و بعضـنا الآخر قـد يلقى أسـباب الخسارة أو الهزيمـة على الأمـة نفسـها فى بنية تفكيرها و ارادة شـعوبها. اننا نتحمل جميعا المسؤولية التاريخية عن واقعنا المفكك، و حتى نستطيع امتلاك الارادة القوية الواعية التى تمنحنا الفرصة الأكبر للسير فى عملية التغيير النوعى و النهوض بواقع الأمة، علينا أن نعى الحقائق الثلاث التالية: الحقيقة الأولى: يشكل الاسـلام ببعديه الروحى و المفاهيمى منظومة عقائدية تشـريعية، تلزم المؤمنين بها العمل فى اطار الضوابط و الموازين الشـرعية الربانية، لذلك يجب فهم طبيعة المشاعر الحية للانسان المسـلم، و نفسيته [صفحه ۷۲] العامة، و نسيجه العقائدى الاسلامى و تركيبته التاريخية و المعرفيـة، لأن المقاصـد و الغايات الاصـلاحية للتنوير و النهوض قائمـة، أساسا، فى عقيدة الأمة، و التأسـيس (البناء) العملى على هذه العقيدة أكثر انسـجاما مع الفطرة البشـرية عموما و الهوية الحضارية و الفكرية للأمة خصوصا، و أكثر ضـمانا لتشكيل الشرط الضرورى لحشـد طاقات مثقفى الأمـة و جماهيرها من أجل المساهمـة فى تحمل مسؤوليـة العمل الاستنهاضـى، و كسـر حلقـة التبعية التى لا نزال ندور حولها، و لا تزال تحول دون انجاز الأولويات الضـرورية للتحرر و التقدم و البناء و اطلاق مواهب الابداع الأصـيل و المنفتح لدى الأمة [۱۱۰] و التجربـة الاسـلامية فى ايران خير دليـل على ذلـك على الرغم ممـا تواجهه من تحـديات و مخاطر ممثلـة فى الاسـتكبار الأمريكى الـذى يعمل على فرض الحرب عليها، و آخرها الحرب مع العراق التى دمرت منشآتها الحيوية و كثيرا من مشاريعها التنموية، كـذلك محاولاـت فرض الحصـار الاقتصادى و السياسـى عليها فى ظروف بالغـة القسوة، اسـتفردت فها أمريكا بزعامـة العالم، و باتت القطب الأوحـد المتربع على رأس السـلطة العالميـة - اذا صـح التعبير - لكن ايران لاـ تزال صامـدة، و هى تحـاول - و نحن نعتقـد أنها ستنجح فى ذلك - كسر حلقات التبعية و الاستلاب لانجاز مشروعها الاسلامى الطموح، ليس فقط لأنها تتمتع بخيرات اقتصادية وافرة، و لا لما يمتاز و يتمتع به قادتها من حنكـة و درايـة و مهارات سياسـية فحسب، ولكن لأن النظرة العقائديـة و القيميـة متجذرة فى العمق الواعى للانسان المسـلم هناك، و لأنها تختلف جذريا عن نظرة الخصوم ما يسـمح لها ألا تدخل فى الصراع معهم على المضمار الذى يتفوقون فيه. هـذا شـرط لازم يحتاج الى شـرط كاف ليكتمل البنيان، ربما تكون توجهات الحكومـة الايرانيـة القادمـة [۱۱۱] قد وعته تماما فى ظل [صفحه ۷۳] أجواء التحـدى ورد التحدى. اذا لا يمكن للأمة الاسـلامية أن تحول مخزونها الحضارى و الثقافى المتراكم الى فعل و تأثير فى واقعها المضطرب، و واقع العصر القلق الذى تعيش فيه [۱۱۲] ، بعيدا عن التوازن النفسى و المادى الذى لا يتوفر الا ثمرة لتحقيق الحـد الأدنى من هـذا الكيان، أى بأن يكون كيان الأمة السياسـى و التنظيمى انعكاسا و تجليا لعقيدة التوحيد التى تشـكل

أساس البنيان العقيدى للمسلمين [۱۱۳] . صحيح أن صلة الأمة عموما و المؤمنين بتلك العقيدة خصوصا قد تراخت نسبيا مع الانفتاح على الغرب و مع سيادة أنماط حياته السياسية و التربوية و التنظيمية و الادارية و الحقوقية، الا أن هذه الصلة عادت من جديد التقوى بعدما لمست جماهير الأمة كلها نتائج مسيرتهم الطويلة نسبيا فى هذا المجال، و التى أحالتهم الى مزيد من الخوف و البؤس و الشعور بالضعف و الحرمان فى الحاضر و الاحساس المتزايد بالخوف من المستقبل. الحقيقة الثانية: استكمالا لما ورود فى الحقيقة الأولى، و فى ظل الانشطار الكامل فى البنى المختلفة لمجتمعاتنا العربية و الاسلامية بين ما هو سياسى و ثقافى و مؤسسات قائمة تحكم، و بين ما هى عليه هذه المجتمعات من هوية و معايير مغايرة لواقع الحال السائد. تداعت الأزمات وراء الأزمات، و ضعفت [صفحه ۷۴] روح المبادرة و المقاومة [۱۱۴] و الابداع، و خاضت شعوب المنطقة حروبا متعددة، حيث دفعت، تلك النتائج، الأمة باتجاه المفصل الخطير الراهن المتمثل – كما تحدثنا سابقا – فى مسيرة التسوية المزعومة بهدف ادخال ذلك الكيان فى هيكلية المنطقة، و اعطائه المزيد من الفرص فى الهيمنة و التوسع و النفوذ عبر مشاريع اقتصادية و ثقافية و أمنية فى مقابل الغاء شبه كامل للمنطقة، و تجاهل حتى لهويتها القومية و ما تنشئه هذه الهوية من حقوق فضلا عن هويتها الاسلامية الأصيلة. فى هذه الأجواء الملبدة بالغيوم السوداء، يجب أن يتحمل المثقف العربى مسؤوليته، و يراجع تعبيراته و مشاريعه و التزاماته، فى أن لا ينهمك فى السجال و الميدان السياسى اليومى للحدث فقط، فى ما تكمن الأزمة – جوهريا – فى كيان الأمة الثقافى، اذا على المثقف أن يحول عمله و انتاجه الى قرار و سلوك و عمل و أخلاقيات تعامل، فى ممارسته لسلوكية الحوار الشامل و السجال الموضوعى فى جدية طرحه لأسئلة النهضة، يبرز – أكثر من أى وقت مضى – محتوى و مضمون الهوية الاسلامية للمنطقة بصورة أكثر فاعلية و أصالة و واقعية، و هل الهوية الاسلامية لمجتمعاتنا، فى جوهرها، سوى التطلع الدائم للبناء المستمر و المتواصل للشخصية الثقافية الاسلامية؟!. الحقيقة الثالثة: علينا أن نفهم – فى اطار علاقتنا مع الآخر – أن الغرب بالنسبة الينا هو جزء من العالم، و طرف من أطراف البشرية الأكثر تطورا من الناحية التكنولوجية و الاقتصادية، و حتى الثقافية و العلمية (فى طبيعة التنظيم و النظام القائم و ليس فى البنية و المحتوى و المخزون) و هو الطرف الذى يسيطر – الى حد كبير – على مصير البشرية، ولكن هذا لا يعنى سيطرة أبدية، كما لا يعنى أن هناك فوارق و قطيعة مطلقة بين الغرب و البلدان الأخرى، فنحن جزء من عالم انسانى كبير يشهد تحولات جذرية، و الصراع القائم بين الشرق و الغرب [صفحه ۷۵] على شىء واحد هو الرأسمال الحضارى أى الثروة و التراث الحضارى المعنوى و المادى، و التحدى الحقيقى الذى يواجهنا: هو كيف يمكن لنا أن نسيطر على وسائل هذه الحضارة، و نستوعبها، حتى يكون لنا مكان الى جانب الغرب، لا خاضعين له و لا مسيطرين عليه، و انما نعيش الى جانبه، و أن ننجح بالسيطرة على التكنولوجيا، و أن نكون فاعلين و مبدعين و مساهمين أيضا فى انتاج و صنع هذه الحضارة. كشركاء غير متساوين فى اطار أو بعد أو دائرة حضارية واحدة. [صفحه ۷۶]

الحياة السياسية للامام الكاظم

اشاره

تعد دراسة الجانب السياسى من حياة أية شخصية تاريخية، لها و زنها و ثقلها الروحى و المفاهيمى، من أهم المداخل و المقدمات اللازمة لفهم و عيها و أصول تفكيرها و تحليلها للواقع الذى عايشته بكل أبعاده و امتداداته، خصوصا اذا اتسم ذلك الواقع بالتنوع و التلون فى أدوار و مواقف أحداثه و معطياته الفكرية و السياسية، و هذه هى الصفة العامة التى غلبت على المرحلة التى عاصرها الامام موسى بن جعفر الذى حفلت حياته عليه‌السلام بمواقف و رؤى سياسية و فكرية هامة أعطتنا صورة عملية واقعية عن الطرق و السبل السياسية التى سار عليها فى اطار حركته الدعوتية السياسية و العملية التى كانت تريد اعادة الأمة على طريق التوازن و الاعتدال على مستوى ممارستها لدورها الحضارى الطبيعى فى الحياة الانسانية. و لعلنا لا نغالى اذا ما قلنا بأن هناك تأثيرا سياسيا واضحا لامامنا

الكاظم عليه‌السلام فى مسيرة عصره فى مشاركته الفاعلة فى ضبط معايير التحرك السياسى (الخاص و العام)، و أبرز دليل يساق فى هذا المضمار - على صعيد وجود مهام و ممارسات سياسية هادفة و واعية فى شخصية الكاظم عليه‌السلام - هو فى انزعاج السلاطين و الحكام الذين عاصروه حتى من مجرد وجود حركة علمية و تبليغية دينية مارسها امامنا عليه‌السلام، و اندفاع هؤلاء الحكام فى اتجاه تهديده [صفحه ۷۷] بالقتل و توعده بالتعذيب [۱۱۵] فى البداية، ثم تنفيذ ذلك المخطط- بعد تلك الفترة - حتى قضى عليه‌السلام معظم حياته الشريفة متنقلا من سجن الى آخر. ان القلق و التوتر النفسى و السلوكى الذى عاشته الدولة العباسية على اختلاف زعمائها و ملوكها و جسدته عمليا، من خلال ملاحقة الامام عليه‌السلام و سجنه و تعذيبه و ايذائه حتى مات شهيدا فى أحد سجونها، لا يصلح أن يفسر فى اطار وعيها لخطورة حركة الكاظم عليه‌السلام و جاذبيته الفكرية و النفسية و السلوكية الحركية التى شخصها، أولئك الحكام، على أنها ثورة سياسية، روحية و عقائدية، على الرغم من أن الامام الكاظم لم يكن، أصلا، فى صدد القيام بثورة سياسية، لكنهم شعروا بالخطر المحدق بهم، الذى يهدد مصالحهم و استئثارهم بالسلطة، فلاحقوه و اعتقلوه و سجنوه و من ثم قتلوه. [صفحه ۷۸]

معاصرته لنهاية الدولة الأموية

أدرك الامام موسى عليه‌السلام من حياة أبيه عشرين عاما، شاهد فيها (خاصة فى سن طفولته) ما لحق بآله من ظلم و اضطهاد و قتل و تشريد. لقد قضى عليه‌السلام السنوات الأولى من حياته الشريفة تحت ظل الحكم الأموى فكان شاهدا، و هو طفل، على المآسى و الظلم و الدمار الذى ألحقه بنوأمية بواقع المجتمع الاسلامى، و ذلك عبر اشاعتهم للفوضى الفكرية و الاجتماعية و بث روح العبث و اللامبالاة بين الناس بتغذية الصراع العرقى القبلى كأسلوب دنىء يصرف النظر عن مواقع الخلل، و يشغل الناس عما يعانونه من الظلم و الويلات، من خلال وسائل عديدة أهمها: ۱- استخدام وعاظ السلاطين من المتقدسين المزيفين المتجلببين بعباءة الدين و لباس التقوى و عمامة المهنة لا الرسالة [۱۱۶] ، و تسليط ولاة الجور من المجرمين و الارهابيين المشهورين فى تاريخنا الاسلامى على رقاب الناس كالحجاج بن يوسف الثقفى [۱۱۷] ، المشهور بقساوته و الحاده و كفره و ضلاله و كثرة الدماء البشرية البريئة التى سالت بين يديه و أيدى جلاوزته و أعوانه. ۲- حمل الناس على مناهضة أهل البيت و اعلان بغضهم و عداواتهم و سبهم على المنابر الرسمية و الدينية. [صفحه ۷۹] ۳- نهب ثروات و خيرات البلاد و السيطرة على مقدرات الأمة و بالتالى اشاعة الفقر و الحرمان بين الناس [۱۱۸] . ۴- تحكم المزاجية الذاتية فى ممارسة طقوس السلطة و ادارة الحكم [۱۱۹] ، و الاستهتار بالقيم و المبادىء العليا. اذا، عاين الامام الكاظم عليه‌السلام - و هو لا يزال فى مراحل نشأته و تكون شخصيته الأولى مع أبيه الصادق عليه‌السلام - صنوفا من الجور و الظلم و الضغط و القسر النفسى و السلوكى، ساهمت فى تكوين موقفه العملى الرافض لسلطة الظلم و الاستعباد التى اتبعها حكام «الأمويون» [۱۲۰] و من بعدهم فراعنة العباسيين. [صفحه ۸۰]

الكاظم و عهد العباسيين

اشارة

ذكرنا فى المبحث السابق، أن الكاظم عليه‌السلام قضى عقدين من الزمن بصحبة والده الامام الصادق عليه‌السلام [۱۲۱] ، و قد حدث - خلال هذه الفترة الزمنية غير القصيرة - انتقال غير سلمى للسلطة السياسية و زعامة الدولة من الأمويين الى العباسيين، و هنا نسأل: كيف كانت حالة الأمة و المجتمع الاسلامى تحت ظل الدولة العباسية، و فى أى اتجاه سارت أمور العباد و أحوال البلاد ابان هذا العهد؟. اتجهت أنظار المسلمين، بعد سقوط الدولة الأموية، الى مخلص جديد، فوقفت الأبصار و العقول على الأشراف العلويين

[۱۲۲] الـذين لم يطيقوا الصبر على الظلم و الطغيـان (حيث كـانوا يخرجون بين الحين و الآـخر فرارا بـدمائهم و دفاعـا عن المعـذبين و المستضـعفين) و تجرع مرارة تلك الأحداث القاسية التى قضت على الكثيرين منهم [۱۲۳] و منها مصادرة أموالهم و التنكيل [صـفحه ۸۱] بهم [۱۲۴] وقطع رؤوسهم [۱۲۵] و وضـعها فى اسطوانات مجوفة [۱۲۶] . لقد جهد الخلفاء العباسـيون فى تدعيم سلطانهم [۱۲۷] بـأى شـكل كـان و مهمـا كانت الوسـيلة الى ذلك، فقاموا بنهب ثروات المجتمع و مقـدرات الأمـة، الأمر الـذى أدى الى ركود الحالة العامـة فى المجتمع، و اغلاق المنافذ أمام احداث أى [صـفحه ۸۲] تطور أو تقـدم فى الحالـة الاجتماعية و الاقتصادية [۱۲۸] ، و عدم تحقيق و نشـر الراحـة و السـعة و الرخاء بين الناس على الرغم من تكدس الأموال فى بيت المال، بل عمت المجاعة و انتشـرت الفاقة و العوز [۱۲۹] فى جميع الأرجاء، و قويت شوكة النزعة الاستبدادية و التسلطية لدى حكام ذلك العصر [۱۳۰] و مالوا الى الغدر و الخيانة و عدم الخضوع للقانون [۱۳۱] . فى ظل هذه الأجواء الضاغطة نفسيا و سياسيا، تحرك الامام الكاظم بكل وعى و حذر، حيث استقبل عليه‌السـلام امامته – التى اسـتمرت خمسة و ثلاثين عاما – فى هذا الجو المشحون بالحقد و الكراهية لأهل البيت، ولزم جانب الحيطة و الحـذر، و اعتصم بالكتمان الا عن الخاصة الذين كانوا يقدرون حراجة الموقف ودقته، و يعرفون كيف يدعون اليه، لكن كانت هناك بعض الأحداث التى احتاجت الى مواقف حاسمة كان لا بد فيها من الافصاح عن حقائق الأمور و اظهارها للملأ، و بخاصة فى ما يتعلق برفض اعطاء الحكم العباسـى شـرعية الانتماء، و ذلك على صـعيد قضـية الخلافـة و قيادة الأمـة. و هذا ما نلاحظه فى عدم قبول الامام الكاظم عليه‌السلام لشرعية الوضع السياسى الخاص و العام (لزعماء؟) عصره و منهم هارون (الرشيد؟)، و ننقل هنا احتجاجه عليه‌السلام مع هارون و هو فى مرقـد النبى صـلى الله عليه وآله و سـلم أمام حشـد غفير من الأشـراف و قادة الجيش و كبار الموظفين فى الدولـة، لنبين، من خلاله، موقفه الفكرى و السياسـى العلنى و الصـريح من السـلطان الجائر، و احتجاجه عليه بأنه أحق بالخلافة من غيره و أولى بها من جميع المسـلمين. [صـفحه ۸۳] اذ أقبـل هارون بوجهه على الضـريح المقـدس و سـلم بقوله: «السالم عليك يا ابن‌العم» معتزا و مفتخرا على غيره بصـلته من النبى صـلى الله عليه وآله و سلم و أنه انما نال الخلافة لقربه من الرسول صلى الله عليه وآله و سلم، و كان الامام – آنذاك – حاضرا فسلم على النبى صلى الله عليه وآله و سلم قائلا: «السلام عليك يا أبت». ففقد الرشيد صوابه، و استولت عليه موجـات من الاستيـاء، حيث قـد سـبقه الامام الى ذلك المجـد و الفخر، فقال له بنبرات تقطر غضـبا و حقـدا: «لم قلت انك أقرب الى رسول الله صـلى الله عليه وآله و سـلم منـا؟» أجـاب عليه‌السـلام برد مفحم قائلا: «لم بعث رسول الله صـلى الله عليه وآله و سـلم حيـا و خطب منـك كريمتك هل كنت تجيبه الى ذلك؟» فقال هارون: سـبحان الله و كنت أفتخر بـذلك على العرب و العجم، فانبرى الامام عليه‌السـلام قائلا: «لكنه لا يخطب منى و لا أزوجه لأنه و الـدنا لا والـدكم فلذلك نحن أقرب اليه منكم» [۱۳۲] و اضطر هارون بعدما أعياه الدليل الى منطق العجز، فأمر باعتقال الامام عليه‌السلام وزجه فى السجن [۱۳۳] . [صفحه ۸۴]

موقفه المبدئى من حكام الجور و زعماء (الملك العضوض)

اشاره

عاصر الامام موسى بن جعفر عدة خلفاء عباسيين، فقد عايش عليه‌السلام أربع سنوات و نصف السنة من عهد عبدالله بن محمد بن على الملقب بالسـفاح، و بقى تسع سنوات و أشهرا فى عهد المنصور الدوانيقى حيث كانت وفاة الامام الصادق عليه‌السلام، و عاش بعد أبيه خمسـة و ثلاثين عاما مـدة امامته قضـى منها مع المنصور، بعـد أبيه، نحوا من عشـر سـنوات، و مع ولـده محمد الملقب بالمهدى عشـر سنين، و مع ولده موسـى الهادى سنة واحدة، و مع أخيه هارون نحوا من خمسة عشر عاما. و سنستعرض هنا، بشىء من التفصيل، بعض مواقفه الثابتـة من أولئـك الحكـام، و رؤيته الفكريـة و السياسـية للنهـج السياسـى و الاجتمـاعى الـذى اتبعوه و سـاروا عليه فى ادارتهم لشؤون الدولة و المجتمع.

فى عهد المنصور الدوانيقى

تؤكد المرويات الكثيرة [۱۳۴] أن الامام موسى عليه‌السلام تعرض، هو و أصحابه و شيعته، خلال الفترة التى أعقبت وفاة أبيه الصادق عليه‌السلام الى رقابة شديدة من قبل الحكام [۱۳۵] ، لكن يبدو، من خلال تتبع المراحل التاريخية التى مر بها فى [صفحه ۸۵] عهد المنصور، أنه لم يلتق معه و لم يطلب حضوره اليه فى بغداد كما كان يستدعى والده، ويتهدده بالنفى و القتل، و لم يتعرض عليه‌السلام فى عهده (عهد المنصور) للحبس أو القمع بالدرجة التى تعرض لها فى عهود أولاده و أحفاده، فى حين أنه كان (المنصور) أشد ايذاء و تعذيبا و فتكا بالعلويين و شيعة أهل البيت عليهم‌السلام فى عهد الصادق عليه‌السلام، و لعل من أكثر الحوادث دلالة على سوء سريرته و خبث نواياه و حقده على البيت العلوى و كل من يتصل به بالولاء و الانتماء، حديث الخزانة المشهور [۱۳۶] التى سلم مفاتيحها الى (ريطة) زوجة ابنه (المهدى) و أوصاها بأن لا تفتحها الا بعد وفاته و بحضور خليفته، و فى الخزانة أكثر من مائة قتيل من العلويين و الى جانب كل قتيل رقعة باسمه و نسبه، و لم تكن تعلم بذلك لا هى و لا زوجها و لا أحد من الناس، و ظنت و هو يوصيها و يؤكد عليها بالكتمان و عدم فتحها الا بعد وفاته، أن فيها من الأموال و المجوهرات و التحف ما لا يمكن تقديره بثمن [۱۳۷] ، و المنصور هذا هو الذى كان يضع العلويين فى الاسطوانات و يسمرهم فى الحيطان - كما نص على ذلك اليعقوبى و غيره - و يتركهم يموتون فى المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الكريهة، حتى لم يكن لهم مكان يخرجون اليه لازالة الضرورة، و كان يموت أحدهم، فيترك معهم حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا و هم فى أغلالهم [۱۳۸] . [صفحه ۸۶] ازاء هذا الوضع المعقد و الظرف الدقيق، كيف تصرف الامام الكاظم؟ و ما هو موقفه و فعله؟ و من ثم ما هو الدور السياسى العام الذى لعبه فى المجتمع الاسلامى على صعيد ضرورة تحصينه و توعيته و صيانته من العبث و الانحراف خاصة بعد سقوط التجربة الصحيحة؟!. فى الواقع، كان الامام واعيا و مقدرا للظروف السياسية القاسية التى كانت تحيط به، و تضغط على وجوده و وجود أصحابه و المقربين منه فى ذلك العهد، لذلك اعتصم فى بيته وانكمش حتى عن شيعته و لم يظهر الا- للخواص منهم، ضمن حدود معينة، و كانوا اذا اطمأنوا الى شخص و أدخلوه عليه يوصيه بالكتمان الشديد و يخدره من العواقب الوخيمة التى قد تنجم جراء الاعلان عنه [۱۳۹] ، مما يوحى بأن المنصور كان، فى تلك الفترة، يتحرى بكل وسائله، و من الجائز أنه كان لا يستطيع الاهتداء اليه أو معرفة مكانه بتلك السهولة، و حتى لو عرفه و أيقن بأنه الخليفة الشرعى لأبيه [۱۴۰] ، فما دام معتزلا الناس و منقطعا عنهم فلا يضره ذلك و لا يراه خطيرا على عرشه [۱۴۱] ، اذا كان الامام موسى عليه‌السلام، كما يتضح من تاريخ عهده الأول، منكمشا حتى عن أصحابه، و قد اكتفى المنصور بمحاربته - من خلال اعتماده أساليب و وسائل عديدة [۱۴۲] . [صفحه ۸۷] من حبسه و التنكيل به، لقد كان عليه‌السلام يريد من انكماشه و ابتعاده عن الواقع، نسبيا، أن يحافظ على فكر و نهج أهل البيت عليهم‌السلام من الاغتيال الثقافى و السياسى، خصوصا و أن المنصور (و غيره من فراعنة العباسيين) كانوا جادين تماما فى محق آثار و معارف آل البيت عليهم‌السلام و اجتثاث جذورهم الفكرية و الحضارية القابعة فى ذهنية الأمة و فى وعى و روحية أبنائها [۱۴۳] ، لذلك كان الأمر الأولى بالنسبة اليه هو فى الحفاظ الكامل على تراث و أطروحة أهل البيت عليهم‌السلام، من خلال السعى باتجاه مواقع أكثر سلامة للأفراد و الأشخاص الحاملين لتلك المعارف و الثقافة، لأن الواقع ملبد بالغيوم السوداء و لا يحتمل أية دعوة فكرية أو سياسية، بل المطلوب أولا حماية المفردات الرئيسية للدعوة و التجربة الحقيقية. و لعلنا نستوحى من هذا الموقف الذى اتخذه الامام الكاظم فى السنين الأولى من امامته - التى كانت فيها مساحة العمل و الحركة ضيقة و حتى مسدودة فى كثير من الحالات - نستوحى منه ضرورة دراسة الواقع الذى يعيشه العمل الاسلامى السياسى فيما هى الحركة، و فيما هو الرد، و فيما هى المرحلة، و ذلك للتعرف على المساحة الحرة، التى يملك فيها الخط الاسلامى حرية الحركة فيها، فقد تكون المساحة - كما ذكرنا - ضيقة المستوى بحيث لا يكون هناك أى مجال فيها الا للثقافة و العبادة و التربية، و فى هذه الحال، لا بد من توفير كل الوسائل الثقافية والروحية و التربوية، و الاستغراق فيها من أجل تكوين قاعدة اسلامية قوية من حيث الوعى الفكرى و الصفاء الروحى و التوازن التربوى، للبدء بعد ذلك بمرحلة جديدة، للانطلاق فى العمل السياسى، بعد

استكمال شروطه الموضوعية، فيما يمكن أن يكون حقيقة فى توسيع القاعدة، و تحرير الساحة فى حدودها الضيقة. [صفحه ۸۸]

فى عهد المهدى

بقى الامام الكاظم طيلة حكم الخليفة المهدى تحت الرقابة الصارمة، من قبل أجهزة النظام الحاكم، و قد قام باستدعائه عليه‌السلام الى بغداد أكثر من مرة [۱۴۴] و هو حاقد عليه، فحبسه و أساء معاملته ثم قام باطلاق سراحه لرؤية رآها [۱۴۵] ، جاء فى تذكرة الخواص لابن الجوزى: أن أهل الشعر قالوا: لقد كان مقام موسى بن جعفر بالمدينة فاستدعاه المهدى الى بغداد و حبسه بها ثم رده الى المدينة لطيف رآه. و مضى يقول: و روى الخطيب فى تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال: لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى، فى بعض الليالى، على بن أبى‌طالب عليه‌السلام فى نومه، فقال له: يا محمد (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم)، [محمد: ۲۲] قال الربيع: فأرسل الى المهدى ليلا- فراعنى ذلك مجيئه، و اذا هو يقرأ الآية، و كان أحسن الناس صوتا، فقال لى: على بموسى بن جعفر، فلما جئته به قام اليه و عانقه و أجلسه الى جانبه و قال: يا أباالحسن رأيت الساعة اميرالمؤمنين و هو يقرأ على هذه الآية، أفتؤمننى أن لا تخرج على و لا على أحد من ولدى، فقال: و الله ما فعلت ذلك أبدا و لا هو من شيمتى، فقال: صدقت، ثم قال: يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله، قال الربيع: فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا و هو فى الطريق الى المدينة مخافة العوائق. [صفحه ۸۹]

فى عهد الهادى

لم يمارس هذا الخليفة - على حسب ما وقع بين أيدينا من مصادر تاريخية - أى نوع من الضغوط أو الاساءة الى الامام الكاظم عليه‌السلام، و لم يحدثنا التاريخ أنه قد استدعاه الى بغداد على الرغم من اتصافه بالقسوة و الشدة [۱۴۶] ، و لعل المدة الزمنية القصيرة التى قضاها الهادى على كرسى الخلافة العباسية لم تسمح له بممارسة أساليب جده و أبيه مع الامام عليه‌السلام.

فى عهد هارون (الملقب بالرشيد؟)

اشاره

لقد كانت السنوات التى مرت على الامام الكاظم عليه‌السلام، و على شيعته [۱۴۷] ، تحت ظل حكم هارون الرشيد من أسوأ و أفظع المراحل التاريخية التى قضاها فى حياته، فقد كانت المهمة الأولى لجهاز الحكم (الرشيدى) تكمن فى المراقبة المستمرة للامام، خوفا منه و من مجرد وجوده فى الحياة، و هذا ما صرح به هارون - بشكل غير مباشر - عندما كان يعتقل الامام و يحضره الى مجلسه، حتى أن الامام قد سأله، أكثر من مرة، عن سبب اعتقاله و سجنه، و هو لما يفعل شيئا [صفحه ۹۰] يسىء الى الدولة و لم يهدد أمن المجتمع و استقراره، فلماذا الحبس و الاعتقال؟. أما جواب هارون فكان السكوت، لأنه لا يملك أى دليل ضده. نحن لا نستغرب هذا الأمر اطلاقا عندما نقرأ عن هارون الرشيد [۱۴۸] أنه كان مستعدا لقتل نجله من أجل الملك و الخلافة، جاء فى رواية [۱۴۹] : أن المأمون (ولد هارون) استغرب تكرار عمليات استدعاء الامام الى بغداد و حبسه ثم اطلاق سراحه فسأل والده الرشيد، بعد أن انفرد به، عن سبب تقديره و اجلاله للكاظم عليه‌السلام، على الرغم من حبسه له أكثر من مرة، فقال له هارون: يا بنى أنه صاحب الحق. فقال له المأمون: اذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه، فقال: «انه الملك، و الله لو نازعتنى فيه لأخذت الذى فيه عيناك» [۱۵۰] . [صفحه ۹۱] تنقل الامام الكاظم فى السجون العباسية واحدا تلو الآخر، و لم يبق فى سجن واحد، لقد كان الحاكم يأمر بنقله من سجن لآخر، و ذلك لأنهم عندما كانوا يضعونه فى أحد السجون يرون، بعد مضى فترة زمنية قصيرة، أن السجانين و عمال السجن قد أصبحوا من

عشاقه و محبيه عليه‌السلام، يقبلون عليه و يتباركون به. و روى فى هذا المجال الشىء الكثير، نذكر من ذلك أنه أخذ عليه‌السلام ذات مرة الى سجن و كان و الى البصرة عيسى بن جعفر بن أبى‌جعفر المنصور (حفيد المنصور الدوانيقى)، و كان معروفا بحبه للشراب و الرقص و الغناء، أى أنه كان من أهل الفسق و الفجور، حول امامنا الكاظم اليه، و على حد قول أحدهم: جاؤوا برجل عابد يعرف الله و يخشاه الى مكان يسمع فيه أشياء لم يسمعها فى حياته، جاؤوا بالامام الى سجن البصرة فى (٧) ذى الحجة من سنة (١٧٨) للهجرة، و كان عيد الأضحى على الأبواب فكانت أيام احتفالات و سرور، أخذ عليه‌السلام بشكل مهين (معنويا) و بقى مدة فى السجن، و رويدا رويدا بدأ عيسى بن جعفر (الرجل العابث و اللاهى) يتعلق بالامام عليه‌السلام و صار يقبل عليه، كان عيسى يظن أن موسى بن جعفر عليه‌السلام هو واقعا - كما بلغ جهاز الحكم ضده - رجل متمرد و خارج على القانون، لا شغل له الا ادعاء الخلافة أى أن حب الرئاسة ملأ رأسه، فرأى عكس ذلك، رآه رجل الروحانية و التقوى [صفحه ۹۲] و العبادة، و ان كان يطرح مسألة الخلافة فلجهتها المعنوية لا لأجل أنه رجل طالب دنيا، هنا تغيرت أوضاع الامام حيث أمر عيسى أن يجعل تحت تصرف الامام عليه‌السلام غرفة ممتازة و أعلن رسميا عن ضيافة الامام عليه‌السلام، فأرسل هارون رسالة سرية أن حطم مكر هذا السجين، فأرسل اليه: أننى لن أفعل، و أخيرا كتب للخليفة أن أعط أمرا بنقله من عندى، و الا فاننى سأحرره بنفسى فاننى لا أستطيع حفظ هذا الرجل عندى كسجين، و حيث انه كان ابن عم الخليفة و حفيد المنصور فكلامه مسموع [۱۵۱] . يتضح - من سياق تلك الرواية، و مثيلاتها من الروايات حول الموضوع نفسه [۱۵۲] - خوف و فزع الحاكم من جاذبية الكاظم عليه‌السلام، و قوة تأثيره، و انشداد الناس اليه، حتى أصبح عليه‌السلام، خلال ذلك العهد، حديث العدو و الصديق الأمر الذى رأى فيه الحاكم وضعا مقلقا و خطيرا يهدد ملكه و زعامة بيته. انها، و لا شك، الهيمنة المعنوية الارادية، و النفوذ النفسى الكبير الذى تمتع به الامام الكاظم و غيره من أئمة أهل البيت عليهم‌السلام، لقد كان ذلك سلاحهم الوحيد، فى وقت لم يمتلكوا فيه سلاحا و لا- اعلاما و لا مركز قوة لكنهم ملكوا القلوب و العقول حتى كان، من بين أقرب الناس الى هارون، شيعة [۱۵۳] ، لقد كان هارون يخشى الى درجة الفزع و الرعب [۱۵۴] ، جاذبية دعوة الحق و الحقيقة [صفحه ۹۳] الموجودة بوجود الامام الكاظم عليه‌السلام، دعوة العمل و السلوك، فالتبليغ الرسالى لا يتحرك دائما بالكلام و الأقوال و التصريحات فقط. بل أيضا بالعمل المنظم و المدروس و الهادف. لقد كان كل من يلتقى الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام أو أحد آبائه أو أبنائه الكرام الطاهرين و يبقى معهم مدة فانه تتجلى له الحقيقة فى وجودهم عليهم‌السلام و يرى أنهم يعرفون الله معرفة واقعية و يخشونه خشية واقعية، و أنهم، فى الواقع، محبو الله، و ما يعملونه فانما هو لأجل الله و الحقيقة [۱۵۵] . فى اطار مواجهة هذا الوضع المضطرب المليء بالفوضى و المواقف الضاغطة و الوقائع القسرية و الاكراهية، اتخذ امامنا الكاظم عليه‌السلام موقفا سلبيا تجاه الحكم القائم، ظهر جليا فى بعض أخباره و أحاديثه، فقد دخل الامام عليه‌السلام على هارون فى بعض قصوره المشيدة الجميلة التى لم ير مثلها فى بغداد و لا فى غيرها، فانبرى اليه هارون و قد أسكرته نشوة الحكم قائلا [۱۵۶] : ما هذه الدار؟ فأجابه الامام غير مكترث بسلطانه و جبروته قائلا له: «هذه دار الفاسقين»، قال الله تعالى: (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق، و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها و ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا و ان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا)، [الأعراف: ۱۴۶] و مشت الرعدة فى جسم هارون و استولت عليه موجة من الاستياء فقال للامام: دار من هى؟. - «هى لشيعتنا فترة و لغيرهم فتنة». - ما بال صاحب الدار لا يأخذها. - «أخذت منه عامرة و لا يأخذها الا معمورة». [صفحه ۹۴] - أين شيعتك؟. - فتلا الامام عليه‌السلام قوله تعالى: (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار) [ابراهيم: ۲۸]. و هكذا فقد كان الامام يرى هارون غاصبا لمنصب الخلافة و الحكم و السلطة، و مختلسا للأموال، و معتديا على ثروة الناس، مما أثار غضب هارون عليه و أغلظ فى كلامه على الامام عليه‌السلام، بعد أن سمعه يتحداه بموقف لا هوادة فيه.

السبب الرئيسى لاعتقال الامام

عندما خطط هارون لجعل ولاية العهد و خلافة الدولة وراثية لولده الأمين و من ثم المأمون، و من بعدهما للمؤتمن، كان يفكر، بينه و بين أعوانه، عن أهم العقبات التى يمكن أن تظهر فى وجه تحقيق هذه الرغبة، و تساءل عن المانع من تنفيذ تلك الخطة، و يبدو أنه لم يطل فى تفكيره طويلا حتى قادته شهوة السيطرة و الملك الى اعتبار [۱۵۷] الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام هو المانع، فأعطى أمرا باعتقاله فور وصوله الى المدينة، و قد كان يحيى البرمكى قال لبعضهم: أعتقد أن الخليفة سيأمر، خلال اليوم و الغد، باعتقال موسى بن جعفر، قال: كيف؟ قال: كنت فى رفقته عندما ذهبنا لزيارة الرسول فى مسجد النبى، و عندما سلم [صفحه ۹۵] على النبى بقوله: السلام عليك يا ابن العم يا رسول الله، قال: «أعتذر اليك [۱۵۸] فأنا مضطر لتوقيف ابنك موسى بن جعفر، فان المصالح تقتضى ذلك، و ان لم أفعل تكن فتنة فى بلادى، فلمنع هذه الفتنة، و لأجل مصالح البلاد العليا [۱۵۹] ، اضطر للقيام بهذا العمل، يا رسول الله أعتذر اليك» [۱۶۰] .

من معالم و اتجاهات الفكر السياسى الاسلامى عند الامام الكاظم

اشاره

نجد من خلال استقرائنا لمسار الحركة التاريخية فى ذلك العهد، أن هناك ظروفا موضوعية، ذات ثوابت كمية و كيفية، حكمت التوجه السياسى العام عند امامنا الكاظم عليه‌السلام، و أثرت على مجمل تحركه السياسى (على الرغم من أنه لم يتحرك سياسيا بالمفهوم الذاتى للكلمة، كمدلول سياسى ثورى بالمعنى الواقعى) فى خط الدعوة الى بناء الوعى الاسلامى المتيقظ و الملتزم. فهو عليه‌السلام لم يدخل اطلاقا الى مستنقع الخلافات و الخصومات و النزاعات الذاتية فى دائرة المعترك السياسى و الأمنى مع أولئك المجرمين، بالرغم من أن السلطات الحاكمة كانت تعتبره الخطر الأكبر على مصالحها و منافعها، طبعا عدم دخوله الى ذلك الواقع لا يعنى، بحال من الأحوال، أنه كان ضد ممارسة السياسة و الحكم، أو أنه عليه‌السلام قد اعتزل النشاط السياسى بوعى و تسليم و خضوع لسلطة (الحكم) الآخر، بل كان يقف، ضد ذلك، آنيا [صفحه ۹۶] و وقتيا، أى تحت ظل ذلك العهد البائد الظالم فقط، فالظروف الضاغطة العامة، كما أسلفنا، اقتضيت التوقف عن الدعوة سياسيا بالمعنى الواقعى للكلمة، لذلك كان عليه‌السلام يرى ضرورة ملحة فى البدء بعملية دعوة تبليغية صامتة «التقية السياسية» [۱۶۱] ذات بعد داخلى و خارجى، لأنها تشكل أقرب الطرق و أيسرها للوصول الى عملية تغيير الواقع القائم، و قربها من استلام زمام الحكم و ممارسة العمل السياسى و لو بعد فترة طويلة، انها مرحلة التخطيط لبناء التصورات الأولى للكتلة الملتزمة، و لتربية سلوكها و تنمية وعيها و حماية وجودها و توسيع قاعدتها الشعبية، و بالتالى اعطائها اطارها العام و معالمها و خصائصها الفكرية و الاجتماعية فى كل الواقع الاسلامى، و هذا ما حدث فعلا، فالبرغم من حالة التضييق و الحصار و فرض الاقامة الجبرية، بدأ الكاظم - كما يؤكد الرواة - حملة علمية واسعة [۱۶۲] ، و اتسعت شهرته فى الحجاز و العراق و جميع المناطق، و قصده العلماء و طلاب العلم، و رجع الى القول بامامته أولئك الذين أنحرفوا عنه بالأمس، و التف حوله الشيعة يجبون خمس أموالهم و زكاتهم، كل ذلك من أجل السعى - كما ذكرنا - لبناء المعالم الفكرية و الاجتماعية للقاعدة الشيعية المنتمية الى أهل البيت عليهم‌السلام. [صفحه ۹۷]

نموذج من أسلوب و عمل الكاظم فى الخط الاصلاحى والتغييرى

اشاره

نقصد به التصورات و المفاهيم الموضوعية لمجموعة النشاطات و مجالات العمل الروحية و الفكرية التى باشر بتنفيذها امامنا الكاظم

فى اطار الحياة الاسلامية، فى الاتجاه الذى ينقل الناس من مستوى المتغيرات الذاتية المتحركة فى الخط المضاد للاسلام، الى مستوى الثوابت الموضوعية المتحركة فى خط تغيير مفاهيم الناس و أفكارهم تغييرا جذريا فى ضوء معايير و قيم الاسلام و مفاهيمه العامة. فى هذا النسق، كان عمل الامام عليه‌السلام يتحرك فى مسارين أحدهما سرى و الآخرى علنى:

العمل السرى

فى اطار العمل السرى [۱۶۳] المنظم و المحدد بدقة من قبل الامام نفسه، سلكت مقاومته عليه‌السلام، للأوضاع القائمة، الطريقة السلبية التى تمحورت حول تحريم التعاون مع السلطة القائمة، و ضرورة مقاطعة الحاكم الظالم و التبرم منه و تجنب أية معاملة معه على أى صعيد أو مستوى، و قد ظهر هذا الموقف جليا [صفحه ۹۸] فى حواره [۱۶۴] عليه‌السلام مع أحد أصحابه (صفوان)، عندما قال له الامام عليه‌السلام: «يا صفوان، كل شىء منك حسن جميل ما عدا شيئا واحدا». - جعلت فداك أى شىء؟. - كراؤك جمالك من هذه الطاغية - يعنى هارون -. - و الله ما أكريته أشرا، و لا بطرا، و لا للصيد و لا للهو ولكن أكريته لهذا الطريق - يعنى طريق مكة - و لا أتولاه بنفسى، ولكن أبعث معه غلمانى. - فقال له الامام عليه‌السلام: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟. - نعم جعلت فداك. أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟. - نعم فقال عليه‌السلام: «من أحب بقاءهم فهو منهم، و من كان منهم كان واردا للنار» بعد ذلك قام صفوان ببيع جماله دفعة واحدة، و تخلى عن هذا العمل ثم ذهب الى الذى عقد معه عقد الاجارة على الجمال لهارون، و قال له: انى أفسخ العقد لأننى لا أريد أن أقوم بهذا العمل بعد الآن، و حاول أن يأتى بأعذار شتى، وصل الخبر الى هارون فطلبه، و عندما حضر سأله: ما الأمر، قال: قد عجزت و لم يعد هذا العمل ملائما لى فرأيت أن أختار عملا غيره، طبعا هارون كان قد علم بحقيقة الخبر مسبقا، فقال له: أصدقنى الخبر لماذا بعت؟ قال: ما قلته هو الصدق، قال: لا، أنا أعلم ما القضية، علم موسى بن جعفر أنك أجرتنى و قال لك: هذا خلاف الشائع - لا تنكر - و أقسم بالله لو لا ما لدينا من سوابق كثيرة خلال هذه السنين الطويلة مع عائلتك لأمرت أن تعدم ها هنا. نستنتج من خلال الحديث الذى دار بين الامام عليه‌السلام و صفوان الجمال أنه عليه‌السلام كان يؤكد حقه فى الحكم، و يعمل على صيانة و رعاية أصحابه و قواعده من الاندماج فى الوضع الظالم و الفاسد، و الاشراف عليهم مباشرة، [صفحه ۹۹] و التخطيط لسلوكهم و انضاج و عيهم و امدادهم بكل أساليب الصمود، و الارتفاع بهم الى مستوى الطليعة الواعية المتفهمة لدورها و رسالتها [۱۶۵] ، و بذلك نفهم أن المعارضة السلبية التى قام بها امامنا الكاظم عليه‌السلام كانت تختزن، فى جوهرها، قيمة ايجابية اذ أنها عكست الوجه المشرق و النقى للرسالة، فى الوقت الذى كانت الممارسات المنحرفة لحكام ذلك العصر تعكس الوجه المشوه لها، لذلك استطاعت المعارضة أن تخرج الاسلام سليما و معافى على الصعيد النظرى - على الأقل - و ان تشوهت و انحرفت معالم تطبيقه على أرض الواقع، طبعا لم تكن تلك المعارضة السلبية مطلقة، بل كانت هناك حالات استثنائية سمح من خلالها الامام الكاظم، لبعض شيعته أن يعملوا داخل جهاز سلطة هارون لتوفير الحماية للعناصر المؤمنة، و انجاز بعض المهام التى تخدم أهداف الخط الأصيل، و هذا ما حدث - كما ذكرنا فى حديث سابق - مع على بن يقطين [۱۶۶] الذى تسلم مسؤولية الوزارة الأولى فى عهد هارون، و قد استطاع تقديم خدمات كثيرة للامام و شيعته، و قد حدث ذلك مع غيره أيضا، ممن خدموا الامام و أحبوه حبا شديدا و كانوا منشدين اليه بقلوبهم و عقولهم، لكنهم لم يكونوا يجرأون على الاتصال به، و هنا ننقل الحادثة [۱۶۷] التالية للدلالة على الموضوع اياه. عن بعضهم أنه قال: ولى علينا بعض كتاب يحيى بن خالد، و كان على بقايا يطالبنى بها، و خفت من الزامى اياها خروجا عن نعمتى، و قيل لى: انه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضى اليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب، فاجتمع رأيى على أنى هربت الى الله تعالى و حججت و لقيت مولاى الصابر - يعنى موسى بن جعفر عليه‌السلام - فشكوت حالى اليه فأصحبنى مكتوبا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن لله تحت عرشه ظلا لا يسكنه الا من أسدى الى أخيه معروفا أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سرورا، و هذا أخوك والسلام. [صفحه ۱۰۰] قال: فعدت من الحج الى بلدى، و مضيت الى الرجل ليلا، و استأذنت عليه و قلت:

رسول الصابر عليه‌السلام فخرج الى حافيا ماشيا، ففتح لى بابه، و قبلنى و ضمنى اليه، و جعل يقبل بين عينى، و يكرر ذلك كلما سألنى عن رؤيته عليه‌السلام و كلما أخبرته بسلامته، و صلاح أحواله، استبشر، و شكر الله، ثم أدخلنى داره و صدرنى فى مجلسه و جلس بين يدى، فأخرجت اليه كتابه عليه‌السلام فقبله قائما و قرأه ثم استدعى بماله و ثيابه، فقاسمنى دينارا دينارا، و درهما درهما، و ثوبا ثوبا، و أعطانى قيمة ما لم يمكن قسمته، و فى كل شىء من ذلك يقول: يا أخى هل سررتك؟ فأقول: اى والله، وزدت على السرور، ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمى و أعطانى براءة مما يتوجه على منه، وودعته، و انصرفت عنه. فقلت: لا أقدر على مكافاة هذا الرجل الا- بأن أحج فى قابل و أدعو له و ألقى الصابر عليه‌السلام و أعرفه فعله، ففعلت و لقيت مولاى الصابر عليه‌السلام و جعلت أحدثه و وجهه يتهلل فرحا، فقلت: يا مولاى هل سرك ذلك؟ فقال: اى و الله لقد سرنى و سر اميرالمؤمنين، و الله لقد سر جدى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و لقد سر الله تعالى. اننا نستلهم من هذه المسألة - و نحن نعيش فى واقع متنوع و متعدد الاختلافات، ضرورة المرونة و الحكمة فى التعامل مع الشعارات المطروحة (مقاومة الظلم و الاستعباد و غيرها)، فقد يفرض الموقف المرحلى الضاغط أن يدخل الانسان فى تحالف خارجى متغير و يقيم علاقة جيدة مع هؤلاء الظالمين المنحرفين من أجل الحفاظ على بعض مواقع التقدم على طريق تحقيق الهدف الأعلى، من جهة، و كذلك تغطية هذا الموقف العملى المتقدم من جهة أخرى. اذا اننا نؤكد هنا على النظرة الواقعية [۱۶۸] للساحة و للقوى و للظروف من [صفحه ۱۰۱] أجل اتخاذ القرارات و المواقف المدروسة و الواعية، على أساس مصالح الاسلام و المسلمين، لكى نميز، من خلال ذلك، بين ما نستطيع التخلص منه، و بين ما لا نستطيع فى الحاضر أو فى المستقبل المنظور، لأن فقدان النظرة الموضوعية و المتوازنة للأمور قد يوقع التحرك فى مهاوى الضياع و التهور، و يسقطه فى بدايته مانعا اياه من التقدم خطوة واحدة الى الأمام فى عملية الاصلاح و التغيير، و بالتالى تضيع الفرص المتاحة أمامه فى ظرف معين. كيف تمثلت الطريقة السرية فى عمل الكاظم عليه‌السلام؟. لقد تمثلت الممارسة السرية عند الامام عليه‌السلام من خلال جانبين اثنين: الجانب الأول: اسناده و تأييده للثورات المخلصة التى قادها رجال مخلصون فى انتمائهم للامام عليه‌السلام، كما رأينا فى عدة تصريحات صدرت عنه عليه‌السلام تؤيد و تدعم حركة الحسين بن على بن الحسن - صاحب فخ - الذى ثار فى المدينة المنورة ضد الخليفة موسى الهادى، و توجه الى مكة المكرمة سنة ۲۶۹ ه، و استشهد فى «فخ» بالقرب من مكة، و من تلك التصريحات: أ - قوله عليه‌السلام للحسين لما عزم الخروج و الثورة «انك مقتول فأحد الضراب، فان القوم فى العراق يظهرون ايمانا و يضمرون نفاقا و شركا، فانا لله و انا اليه راجعون و عند الله احتسبكم من عصبته» [۱۶۹] . ب - و لما سمع الامام الكاظم عليه‌السلام بمقتل الحسين (رض) بكاه و أبنه بهذه الكلمات: «انا لله و انا اليه راجعون، مضى و الله مسلما صالحا، صواما [صفحه ۱۰۲] قواما، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ما كان فى أهل بيته مثله» [۱۷۰] ، ان دعم الامام لأمثال تلك يؤكد حرصه على الاحتفاظ بالضمير الاسلامى الواعى و الارادة الاسلامية، بدرجة من القوة و الصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها و كرامتها لأولئك الحكام المنحرفين، كما و يبقى ذلك الرفض الايجابى حيا فى نفوس أصحابه و شيعته تجاه الحكومات الجائرة و الظالمة عبر التاريخ. الجانب الثانى: ممارسة الدور التوجيهى [۱۷۱] و الاشرافى المباشر - اذا صح التعبير - على شؤون قاعدته الشعبية و الاضطلاع بمهمة قيادتها عقائديا و فكريا و سلوكيا، و ذلك بهدف ترشيد الأمة فى تعاطيها الحى المسؤول مع جملة الأفكار و المفاهيم الاسلامية لمدرسة أهل البيت عليهم‌السلام، و تجنب اللجوء الى الأجهزة الادارية و القضائية الخاضعة لسلطة النظام الحاكم و المعتمدة من قبل أعوانه و جلاوزته؛ الأمر الذى سيدفع الامام، اذا ما دخلت كتلته المميزة فى أجهزة النظام الظالم، الى الايفاء بالتزامات و قيود معينة، تجاه هذا النظام، لا تنسجم مع رسالته و خطه، خاصة و أن المجال هنا غير مفتوح لممارسة النقد و الاحتجاج و التوجيه و الكشف عن مواقع الخلل و النقص فى ظل أجواء القمع و الارهاب النفسى و العملى [۱۷۲] ، طبعا هذا الأمر لا يعنى - كما سلف و حللنا - [صفحه ۱۰۳] السلبية المطلقة فى عدم المشاركة فى الحكم، لكن مع وجود ضوابط و ضمانات معينة كان يحددها هو عليه‌السلام فى هذا المضمار.

العمل العلنى

دافع الامام الكاظم عليه‌السلام عن الاسلام الصحيح و باشر فى ايجاد علاج فورى لحالة جهل الأمة باسلامها و عقيدتها، ورد - فى أجوبته و محاججاته و مناظراته العلمية العلنية - على الشبهات التى كانت تثيرها التيارات الدهرية و الالحادية المنتشرة بكثرة فى ذلك الوقت، و التى أنتجتها حالة الاتصال غير المتوازن مع حضارات و ثقافات أجنبية غريبة، نتيجة حركة الفتوحات الاسلامية. لقد أتاح العمل العلنى لامامنا الكاظم عليه‌السلام فرصة المباشرة بحركة علمية [۱۷۳] واسعة النطاق، و القيام بمناظرات احتجاجية مع أئمة المذاهب الاسلامية الأخرى للتدليل على أطروحة و نهج و خط أهل البيت عليهم‌السلام، و قد كانت، تلك الحلقات العلمية، تعقد فى أجواء علنية (فى الأماكن العامة) و كان يقوم بها كل من هشام بن الحكم، و هشام بن سالم، و مؤمن الطاق، مما أدى الى انتشار الفكر الاسلامى الشيعى، و ذيوع أفكاره و قيمه بين المسلمين بفضل تلك الحجج القوية و البراهين الواضحة التى كان يسوقها أولئك العلماء الأعلام، و التى كانت تقوم على المنطق العقلى و البحث العلمى المجرد [۱۷۴] ، حتى [صفحه ۱۰۴] نعتهم (كرادى فوا) [۱۷۵] بأنهم أصحاب الفكر الحر [۱۷۶] . - روى [۱۷۷] أنه دخل أبوحنيفة المدينة و معه عبدالله بن مسلم فقال له: يا أباحنيفة أن ها هنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد فاذهب بنا اليه نقتبس منه علما، فلما أتيا، اذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، بينما هو كذلك اذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له، فالتفت أبوحنيفة فقال: يا بن مسلم من هذا؟. قال: موسى ابنه. قال: و الله لأخجلنه بين يدى شيعته، قال له: لن تقدر على ذلك. قال: و الله لأفعلنه، ثم التفت الى موسى فقال: يا غلام أين يضع الغريب فى بلدتكم هذه. قال: «يتوارى خلف الجدار، و يتوقى أعين الجار، و شطوط الأنهار و مسقط الثمار، و لا يستقبل القبلة و لا يستدبرها. فحينئذ يضع حيث يشاء». ثم قال: يا غلام ممن المعصية؟ قال: «يا شيخ لا تخلو من ثلاث: اما أن تكون من الله و ليس من العبد شىء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، و اما أن تكون من العبد و من الله، و الله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، و اما أن تكون من العبد و ليس من الله شىء، فان شاء عاقب». قال: فأصابت أباحنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر. قال: فقلت له: ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و فى ذلك يقول الشاعر: لم تخل أفعالنا اللاتى نذم بها احدى ثلاث معان حين نأتيها [صفحه ۱۰۵] اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا اللوم من لائم فيها أو لم يكن لالهى فى جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها

الحفاظ على المفهوم النقى للقيادة السياسية و تثقيف الأمة به

حاول الامام الكاظم - بعد أن تم تجميد، أطروحة أهل البيت عليه‌السلام، بل و حتى تغييبها بشكل مقصود عن ساحة الواقع التاريخى الاسلامى - حاول هو و الأئمة عليهم‌السلام من بعده، اعادة الاعتبار لتلك الصيغة و ابقاءها حية فى ذهنية الأمة و لو على المستوى النظرى، لأن غيابها أو تغييبها من ذاكرة الأمة، يعنى الغاء و مصادرة كل القيم و المفاهيم و التصورات التى ترتبط معها فى داخل منظومة الأفكار المتحركة فى واقع الصيغة الاسلامية. لقد كان الحكم القائم جادا فى مسح مفهوم الولاية و الامامة من وعى الأمة، و تأكيد المفاهيم الأخرى التى تشكل النقيض المطروح على صعيد المنظور القيادى فى حركة الأمة، و رغم أن دور الامام الكاظم (و الأئمة بشكل عام) كانت تواجهه تعقيدات حادة، و مخاطرات صعبة، و ظروف خانقة و شاقة بفعل الواقع الفكرى و السياسى المضاد، الا أنهم عليهم‌السلام مارسوا دورا كبيرا فاعلا فى الحفاظ على هذا المبدأ، باعتباره يعبر عن الصيغة الأساسية لمفهوم القيادة السياسية فى الاسلام [۱۷۸] ، و يمكن أن نعطى هنا شاهدا فكريا تاريخيا، يعبر عن دور الامام الكاظم فى الحفاظ على المفهوم النقى للقيادة السياسية. - سأل هارون الرشيد الامام الكاظم عليه‌السلام عن فدك وحدودها لكى يرجعها اليه، فأبى الامام أن يأخذها الا بحدودها، فقال الرشيد: ما حدودها؟ فقال الامام: ان حددتها لم تردها، فأصر الرشيد عليه أن يبينها له، فقال له الامام: [صفحه ۱۰۶] أما الحد

الأول: فعدن. و الحد الثانى: سمرقند. و الحد الثالث: أفريقيا. و الحد الرابع: فسيف البحر مما يلى الجزر و أرمينية. فثار الرشيد قائلا: لم يبق لنا شيء. فقال الامام: قد علمت أنك لا تردها [۱۷۹] . نلاحظ من خلال هذا الحوار، أن الامام عليه‌السلام يحاول أن يؤكد الرؤية السياسية التى تتبناها مدرسة أهل البيت حول «مفهوم الولاية و الخلافة»، و قد استثمر الامام عليه‌السلام فرصة وجدها ملائمة ليطرح هذه الرؤية التى حرص الأئمة باستمرار على تأصيلها فى وعى الأمة و تثبيتها فى ذاكرة الأجيال، و ان كانت هذه المواقف قد كلفت الأئمة عليهم‌السلام ثمنا باهظا، حيث واجهت أنظمة الحكم المتسلطة هذه الرؤى والمواقف بأساليب شرسة و وسائل قاسية [۱۸۰] .

العمل على اعادة الصيغة السياسية الأصيلة الى واقع الحياة الاسلامية

وقفت الظروف السياسية و الأمنية، التى انطلقت فى حياة المسلمين الأولى، فى وجه الامام الكاظم عليه‌السلام و منعته من القيام بعملية التحريك الايجابى الفعال لصيغة أهل البيت عليهم‌السلام، و ايصالها الى مواقع الحكم والقيادة داخل الهيكلية التنظيمية للأمة، لأن ذلك كان يتطلب وجود ظروف موضوعية أكثر راحة و برودا - اذا صح التعبير - على عكس ما كان عليه الحال، اضافة الى أن استلام زمام الحكم و ادارة البلاد يفترض، من حيث المبدأ، وجود قيادات سياسية واعية و مؤهلة لقيادة الأمة، و هذا ما لم يكن متوافرا آنذاك أيضا، لذلك [صفحه ۱۰۷] عمل الكاظم عليه‌السلام - فى هذا الاتجاه - على اعداد و تأهيل هذا النمط الحى الواعى من القياديين القادرين على استلام مراكز المسؤولية و الحكم، فى تقديم أطروحة أهل البيت كصيغة اجتماعية و سياسية ذات بنى و خصائص نوعية فريدة، و كبناء اعتقادى متين بديل عن الحكم القائم الظالم و المنحرف، و يمكننا فهم هذا المعطى من خلال الأمور التالية: ۱- كان امامنا الكاظم عليه‌السلام يرى أن القيادة العامة، بكل مظاهرها و أشكالها، تمثل حقا مشروعا و طبيعيا للامام المعصوم المنصوص عليه فى القرآن و السنة، و هذا ما لاحظناه فى حديث أوردناه سابقا حول فدك و رؤية الكاظم الموضوعية لهذه القضية، اذا اعتبر عليه‌السلام أن فدك تمثل، فى وعى أهل البيت جميعا، رمزا و عنوانا للولاية المغتصبة، لا مجرد بقعة جغرافية محدودة. ۲- اعتبر الامام الكاظم أن الانحراف الموجود فى البنية النفسية الداخلية للطبقة السياسية الحاكمة، فى أسلوب ممارستها لقضايا السلطة و الحكم، يعبر عن صيغة ذاتية جاهلية و سلطوية جامدة، لم تكن تمارس دورها الطبيعى فى الجانب القيادى الجماهيرى الواسع بدلالاته الحضارية و الانسانية، الأمر الذى قاد الصيغة الى طريق الجمود و التغييب و التعتيم نتيجة الاجراءات المضادة التى قام بها الجهاز الحاكم و أعوانه، و هذا ما يمكن أن نستوحيه من خلال الموقف الحاسم الذى اتخذه الكاظم عليه‌السلام فى رفضه الدخول [۱۸۱] الى الواقع الذاتى و الموضوعى لبنية السلطات الحاكمة، باعتبار أن ذلك يعطيها شرعية الوجود و الامتداد، كما و يقدم لها - من موقع قيادى و زعامة [۱۸۲] جماهيرية هى زعامة و امامة أهل البيت - صك غفران لممارساتها و أفعالها اللاانسانية بحق الناس و المجتمع. [صفحه ۱۰۸] ۳- عمل الامام الكاظم على تأهيل عناصر القيادة على المستوى العقائدى و الفقهى و السياسى، كى يكونوا جاهزين لسد الثغرات الحاصلة فى الواقع الاسلامى عموما، و بالتالى السعى الدؤوب باتجاه ايجاد كيان سياسى [۱۸۳] له قاعدته الجماهيرية المؤمنة و المتماسكة، و يكون قادرا على تجسيد الصيغة الاسلامية الواعية لأهل البيت عليه‌السلام بمقوماتها و عناصرها الاساسية المعروفة. طبعا كان الامام الكاظم مدركا و مستوعبا للظروف و الأحداث التى عاصرها فى اطار تحركاته و فعالياته، خصوصا على صعيد اعتقاده باستحالة اقامة و ايجاد «كيان سياسى» للأمة الاسلامية، ينفتح بوعى على أطروحة و قيادة و مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام فى الفكر و الفقه و العقيدة و السياسة، فى تلك الظروف الضاغطة أمنيا و سياسيا و حتى علميا و ثقافيا. ولكن هذا لا يعنى عدم ممارسة أساليب مختلفة فى العمل الدعوتى الحضارى تحافظ على الطرح السياسى الاسلامى المتقدم لأهل البيت عليهم‌السلام و لو على الصعيد النظرى، مع ايمان كامل بوجود امكانيات و ظروف أفضل فى مستقبل الدعوة قد تنفتح أمامها، بحيث تمكن القواعد الشعبية و كتلتها المميزة - التى كان الامام عليه‌السلام، كما ذكرنا، يعمل على تثقيفها و توجيهها و توعيتها برسالة و قيم الاسلام المحمدى الأصيل - من تسلم زمام الحكم و ممارسة العمل السياسى، فى المستقبل، بأقصى أبعاد الوعى و روح المبادرة الفعالة العالية فى مستواها الفكرى

و العقيدى. و فى هذا المجال، أود أن أؤكد على نقطة هامة يمكن استلهامها من سيرة و حياة الكاظم عليه‌السلام فى الجانب السياسى، و هى: أننا نحن أبناء الجيل الحالى، الذين ننتمى الى الدائرة الاسلامية الكبرى نحتاج، فى ظروف [صفحه ۱۰۹] و تعقيدات عصرنا الحالى، الى عمل فكرى ابداعى دؤوب و صادق من أجل اعداد و صياغة مشروع حضارى متكامل، اسلامى الطرح و الهوية و الانتماء، انسانى الوجود و الهدف و الامتداد، يكون قادرا على انتاج و صياغة برنامج عمل اسلامى لعموم المجتمع و الأمة، و ذلك باظهار تشريعات الاسلام الانسانية و تقديم أحكامه الحضارية، و تبيان طرحه كبديل حقيقى فاعل لفلسفات الوجود الوضعية القائمة، يصون الأمة و يمدها بوقود النهوض و الحركة على المستوى السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى لأننا نستطيع، من خلال هذا العمل، أن ننجز و نحقق واقعية الطرح الاسلامى المعاصر [۱۸۴] ، و شموليته و عقلانيته و انسانيته على صعيد التطبيق العملى الحى و الواعى لمضامين و معايير الرسالة بمستوياتها العقائدية و الروحية و الاجتماعية و السياسية و الحقوقية، و لا نريد لهذا الفعل التجديدى أن يكون ردة فعل سلبية على تحديات الواقع المعاش لمجرد الرغبة النفسية الجامحة فى جدة الجديد، بل أن تكون حركة التجديد مدروسة و متوازنة و من صلب النواة الفكرية و العقيدية للرسالة الاسلامية، أى أن يكون هذا الفعل دعما و استجابة للاسلام نفسه، قبل أن يكون استجابة محدودة لمتغيرات الحياة المستجدة.

مخططات الحركة التغييرية و أسس صياغة برامجها الشاملة

بناء و تأسيس الوعى الثورى بالاسلام من خلال الحدث الكربلائى

اشاره

اتجهت بعض جهود الامام الكاظم عليه‌السلام الى تبنى صيغة واقعية للعمل التغييرى، اتسمت بالحكمة و الهدوء و الصبر فى الدعوة و العمل تبعا لضرورات تفرضها طبيعة الدعوة الثورية فى مواقعها و مراحلها المختلفة، و قد [صفحه ۱۱۰] استفاد عليه‌السلام من الثورة الحسينية الكربلائية لتأصيل المخزون الثورى لأهل البيت عليه‌السلام فى ذهنية الأمة عاطفيا و وجدانيا، و ترشيد دعوته الجهادية فى اطار رعاية بواعثها و منطلقاتها، لذلك دعا عليه‌السلام الى زيارة الامام الحسين، و القيام بكل مراسيم و شعائر كربلاء من أجل ترسيخ الحالة التواصلية - اذا صح التعبير - مع ثورة الحسين عليه‌السلام ضمن خطة واعية و صيغة متوازنة هدفت الى استمرار الحضور النوعى الغنى لقيم و مبادىء كربلاء فى عمق الواقع النفسى و الفكرى للأمة المؤمنة بخط الثورة الحسينية و أهدافها السامية [۱۸۵] . قال عليه‌السلام: «أدنى ما يثاب به زائر الحسين عليه‌السلام بشط الفرات اذا عرف حقه و حرمته و ولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر» [۱۸۶] . يؤكد الكاظم عليه‌السلام فى هذا الحديث على النقاط التالية: ۱- ضرورة معرفة حق و حرمة و ولاية الامام الحسين عليه‌السلام، أى دراسة تاريخه و تحليل واقعه الذى عاش فيه، و اظهار الهدف من تحركه. ۲- الارتباط الروحى و العاطفى بقضيته عليه‌السلام، التى هى قضية الأئمة جميعا، و وعى أهدافهم و نهجهم، و اشاعة الثقافة و الوعى العلمى و الاسلامى بهذه المسألة فى مختلف البلدان الاسلامية، و بث مفاهيم التربية الأخلاقية الفاضلة بين الناس، و الدعوة الى ترسيخ علاقات التعاون و التكامل الاسلامى بين المؤمنين (الترابط الوجدانى و العاطفى). ۳- وعى ولايته و فهم دلالاتها و أبعادها الحركية، من خلال اظهار الرؤية السياسية و الدينية الشرعية الصحيحة لقضايا الحكم و جملة الأحداث السياسية الواقعة التى يمكن أن تعترض حركة الأمة السياسية و الانسانية فى قضايا العدل و الظلم و الحرية و ما شاكل ذلك، و هذا العمل يمثل أطروحة الهية لتوعية الأمة الاسلامية، و ابقاء الحدث الحسينى فاعلا و مؤثرا فى وجدانها و فكرها، لأن أحد [صفحه ۱۱۱] الأهداف الرئيسية لهذه الثورة هو هز هذا الضمير- ضمير الانسان المسلم - و احياؤه و تحريكه عندما يتعرض الى الموت أو الخدر الحضارى، أو يقع تحت تأثير الضغوط النفسية أو أساليب الارهاب، بحيث

ينتهى الانسان الى فقدان الارادة مع ادراكه للحقيقة [۱۸۷] . لكن يبدو أن هذه الأوضاع لم تعجب السلطات الحاكمة و أنظمة الجور على مر التاريخ - و ليس فقط فى عهد العباسيين - فعمدت الى اجراءات حاولت، من خلالها، تطويق و تجميد ممارسة الأئمة و شيعتهم لهذا النوع من الاحياء العاشورائى، و ذلك من خلال فرض حركة اعلامية مضادة تشوش صورة المناسبة، و تشكك فى أهدافها حتى وصل الأمر، بالظلمة و أعوانهم، الى حد القيام بأعمال قمعية ضد كل حالات التعامل و التواصل مع المناسبة الكربلائية بشخوصها و رموزها و عناوينها، الأمر الذى يدل على الدور الفعال لتلك الطقوس و المراسيم، و ما ينتج عنها من مواقف و أفعال فى توعية و تعريف الأمة - من خلال كربلاء - بالأحداث التى كانت تمر بها، و اظهار المواقف الصحيحة منها و من طبيعة النظم السياسية القائمة على صعيد تعميق القدرة لدى الناس «خاصة الكتلة المؤمنة» على التمييز بين الصحيح و الخطأ، أى بين الممارسة الشرعية و غير الشرعية لهذا الحاكم أو ذاك السلطان [۱۸۸] ، و القدرة على تمييز الخطوط الحمراء من الخضراء التى تعطى سلبية أو ايجابية التعامل مع الأوضاع المستجدة رعاية للمصلحة الاسلامية العليا.

مناسبة كربلاء بين الاستغراق فى التاريخ و تحريك قيم التاريخ فى الواقع

تنطلق شعائر الحدث الكربلائى سنويا فى مختلف البقاع و الأمصار الاسلامية لتحيى ذكرى استشهاد الامام الحسين و كوكبة من أهل بيته و أنصاره، [صفحه ۱۱۲] فكيف يتم التعامل مع ثورة بهذا الحجم و المستوى؟. و هل تمارس الشعائر الاسلامية، خلال هذه الذكرى، بطريقة حضارية تنسجم مع مهمة الاحياء الاسلامى؟. ثم ما هى الآفاق التى يمكن أن تفتحها أمامنا هذه الحادثة و نحن نعيش على أبواب القرن الحادى و العشرين؟. هل استطعنا توظيف مناسبة عاشوراء فى البعد الاعلامى الدولى فى خط الدعوة و الاعلام؟ و هل أعطينا كربلاء احساس الواقع و نبض الحياة؟ و هل استثمرنا الطاقة الاحيائية الكامنة فى الذات الكربلائية كما ينبغى؟. اننا نعلم جميعا أهمية هذه المناسبة العظيمة، التى يمكن أن تقدم لنا دروسا مختلفة لا تنتهى فى الواقع الانسانى المعاصر، يمكن عرضها كما يلى: ۱- نجد - بداية - أن الامام الحسين عليه‌السلام حمل مشروع وحدة و رسالة توحيد عادلة لكل المسلمين، كانسان يمثل القيمة الروحية الانسانية الرائعة التى انفتحت على الله، و عاشت عمق الاسلام و فى المقابل الذين قاتلوا الحسين حملوا لواء الدعوة الى الفتنة و مشروع الدولة الفئوية الظالمة المستكبرة التى مثلها يزيد فى صورته التاريخية كرجل فاسق فاجر لا يملك أى التزام فى المحرمات الشرعية، و لا يملك أى قيمة روحية و أخلاقية و لا حتى سياسية، و بهذا فاننا نستطيع أن نستوحى، فى واقعنا المعاصر، شخصية الامام الحسين مقارنة بشخصية يزيد فى كل النماذج التى تلتقى بهاتين الشخصيتين فى الواقع، كما أننا نستطيع أن نجرى مقارنة بين المجتمع الاسلامى فى انحرافاته التصورية هناك، و بين مجتمعاتنا هنا للاستفادة منها فى مواجهة المرحلة. و لننطلق فى الخط القيادى الذى يفكر به المسلمون فى «كيف يكون القائد؟» و فى الخط الحركى فى مسألة الثورة على القائد الظالم المنحل و المنحرف، كما أن امتزاج هذه العناوين بدماء أهل البيت عليهم‌السلام، يعطى [صفحه ۱۱۳] القضية بعدا مأساويا، بحيث تشكل، لدى اثارتها سنويا، ثورة ضد كل صانعى المأساة فى الحاضر [۱۸۹] ، و فى المستقبل. ۲- خطاب عاشوراء و الحسين عليه‌السلام كان خطاب المقاومة و الممانعة لثقافة الكسل و الاسترخاء التى روج لها حكام بنى‌أمية، و هى نفسها أيضا ممانعة شعبنا العربى المسلم فى لبنان لمشروع التفتيت الصهيونى، هذه المقاومة التى اتخذت من ثقافة و رسالة كربلاء الاسلام عنوانا أساسيا لها فى كل وجودها و حركيتها و امتدادها، و جسدته فى تضحياتها و بطولاتها و ملاحمها التى لا تزال تسطر على أرض الجنوب اللبنانى الشريف و الطاهر، حيث نسمع و نشاهد جميعا أقصى درجات البطولة و الفداء و التضحية فى مواجهة أشرس و أخطر عدو عرفته الانسانية فى تاريخها، و أعنى به العدو الصهيونى المجرم الذى استطاعت المقاومة الباسلة فى لبنان أن تهز كيانه و تربك خططه و معادلاته و تحقق الانتصارات تلو الأخرى عليه، كما انتصرت عاشوراء الدم على سيف الظلم و البغى. ۳- كذلك نقرأ فى عاشوراء موقف الرفض و الممانعة لاغراءات المال و الترف و الانحلال الخلقى و البغضاء و العرقية و الابتذال. ان المساهمة فى تكوين نظام و قناعات صلبة لدى الناشئة و الشبيبة،

كان فى أساس وظيفة المجلس الحسينى السياسية و الأخلاقية أن ينصب أمام الناس، جيلا بعد جيل، لونا و مستوى من الأخلاق التى تجسدت فى أنصار الحسين فى كربلاء، رجالا و نساء، فكربلاء مظهر للممارسة الأخلاقية العالية فى مواجهة الاغراءات و الانحطاط الأخلاقى و النفعية، و أسلوب الاغراء لايجاد جيل منحل يهتم فقط بالساعة (الحاضرة) [۱۹۰] ، جيل مفسد بالمال و المنافع، جيل خائف من القمع و الملاحقة، هذا الأسلوب كان على الدوام وسيلة الاستعمار و الطغيان الداخلى و الخارجى، و مشاريع الاستحواذ و التسلط، و من هنا فان أخطر ما يواجه الأجيال الصاعدة هو التزييف الأخلاقى فى المجتمع المترف الاستهلاكى، [صفحه ۱۱۴] الخاضع لقيم الحضارة الغربية، و ظهور ملامح أولية لتفكيك البنى الأسرية و الروابط الانسانية بين الناس، و ايجاد أخلاق مجتمع مترف و ثقافة قشور تجعل من الهوى واللذة و الكسب الرخيص المبتذل هدفا أسمى لها. و هذا ما نلاحظه حاليا من الميل و الانحدار الشديد، فى كل وسائل اعلامنا المقروءة و المسموعة و المرئية، باتجاه ايجاد بيئة و مناخ ثقافى يعمل على اسقاط القيم و المعايير فى نفوس الجيل الجديد، و هدم المناعة الأخلاقية لديه، و من ثم تدمير الارادة السياسية و الوعى السياسى للأدوار و الأهداف و الأحداث للشعب و الأمة. لذلك اننا نعتقد أنه بامكاننا الاستفادة من عاشوراء، فى هذا المجال، فى تعبئة الأجيال الناشئة بمختلف الوسائل و السبل التى تنسجم مع ثقافة القيم الاسلامية، و جعلهم ينفتحون على خط الممانعة و المقاومة لسلطة المال و الترف و مواجهة المشروع الصهيونى الخبيث فى المنطق، الذى ندعو كل القوى الحية فى المجتمعات العربية و الاسلامية الى بلورة مشروع مواجهته و الوقوف فى وجهه. الآن و بعد أن وقفنا على أهم الدروس المعاصرة التى حاولنا قراءتها فى مناسبة كربلاء، سنحاول الاجابة على التساؤلات التى طرحناها فى بداية هذا الحديث، و التى تتمحور، فى مجملها، حول أهمية توظيف و استثمار الحدث الحسينى الكربلائى فى الواقع الحاضر و فى المستقبل؟. اننا نجد – من خلال استقرائنا لحركة الواقع النخبوى و الشعبى فى طريقة تعاطيها مع الشعائر الحسينية و قضية كربلاء – أن هناك سلوكية غير متوازنة لا- تزال تتحكم بمسارات و توجهات كثير من معالم و خصائص الحدث الحسينى، و هنا نقول – انصافا للحق و العدالة –: انه توجد مواقع مضيئة و نيرة، و ومضات مشرقة تتحرك فى هذا السياق، لا نريد أن نبخسها حقها، تحاول أن تقدم كربلاء بأبهى حلة و أنصع عنوان، لنأخذ منها أفضل العبر و الدورس [۱۹۱] ، لكن التوجه [صفحه ۱۱۵] الغالب على فهم قضية و ثورة عاشوراء ينحصر فى اطار ممارسة طقوس و تقاليد تعطى صورة سلبية عن واقع و حقيقة كربلاء، فى الوقت الذى يحتاج فيه الاسلام الى حشد كل طاقات أبنائه و قدراته و امكانياته فى خط العمل على بناء مشروع يقدم (هذا الاسلام)، من خلاله، كطرح حضارى انسانى قادر على حمل لواء و مشروع العالمية الجديدة بعد فشل المشروع الغربى [۱۹۲] . اذا نحن نريد تجريد الممارسات العاشورائية [۱۹۳] من بعض أساليب الاحياء القديمة غير المناسبة على الصعيد التاريخى و التعبوى و التمثيلى، و الاستفادة القصوى من حجم الامكانات التقنية الهائلة التى توفرها وسائل الاعلام و الاتصالات الحديثة [۱۹۴] فى حقل الدعاية و التبليغ الاسلامى من أجل تقديم صورة كربلاء الحية الى العالم غير المسلم، فضلا عن العالم غير الشيعى طبعا، [صفحه ۱۱۶] على أساس أنها ثورة اسلامية الهوية و الطرح و الانتماء و لا تخص الشيعة وحدهم [۱۹۵] ، و بالتالى مواجهة الدعاية الغربية – و غير الغربية – المضادة التى تؤكد على أن الممارسات الشعائرية الاسلامية الشيعية، بخصوص كربلاء، و هى لون من ألوان و ممارسات العصور المظلمة. اننا نريد أن نؤكد – أخيرا– على أن الامام الحسين عليه‌السلام رمز و ثورة من أجل الانسان المستضعف فى كل زمان و مكان مع كونه اماما معصوما مفترض الطاعة، لذلك من الضرورى العمل على تقديمه للعالم، و كما هو فى واقعه الأصلى، بأروع صورة و أنصع بيان كأعلى الرموز الثورية التحررية الاسلامية فى التاريخ، و فى عقيدتى أن هذا الأمر لن ينال حظا حقيقيا فى الواقع الا اذا بادرنا الى نفض الغبار عن عاداتنا فى هذا المجال، و انطلقنا الى تحديد مستويات ايجابية و مناهج دقيقة تبرز لنا محددات و آليات عمل فى واقع الفعل و الممارسة المنظمة و الهادفة.

عمل الامام الكاظم فى مجال التوعية السياسية و العقائدية

يمكن دراسة هذه النقطة من خلال منحيين اثنين: المنحى الأول: مدى وعى حالة الانتماء السياسى. المنحى الثانى: الفعالية الفكرية فى خط تركيز التثقيف العقائدى و السياسى. المنحى الأول: ركز الامام الكاظم عليه‌السلام، من خلال مواقفه و بعض تصريحاته السرية، على أهمية تعميق مبدأ «الانتماء السياسى» الى الخط القيادى الشرعى لأهل البيت عليهم‌السلام، و هذا ما لا حظناه من خلال امامته و تمثيله الشرعى [۱۹۶] لقيادة [صفحه ۱۱۷] متأصلة فى الاسلام لها جذورها و شرعيتها فى جسم الأمة، و ذلك فى مساهمته و مشاركته فى حل بعض تحديات و أزمات الواقع الخطيرة، و رجوع الأمة اليه فى أكثر من محطة تاريخية هامة فى حياتها و على أكثر من صعيد، و قد ظهرت معالم هذا التوجه فى حياة بقية الأئمة عليهم‌السلام الذين مارسوا هذا الجانب السياسى بدقة و تنظيم كبيرين فى طبيعة الاشراف على الحالة الانتمائية التى أوجدوها فى داخل الساحة و من معالم هذا الاسلوب التنظيمى [۱۹۷] : أ- السرية فى العمل «مبدأ التقية». ب - نظام الوكلاء الذى اعتمده الأئمة عليهم‌السلام فى تنسيق و ادارة و توجيه الحالة الانتمائية. ج - تصنيف الفعاليات و الاختصاصات فى عهد الكاظم عليه‌السلام. - فعاليات السياسة: كعلى بن يقطين الذى كان وزيرا لهارون بامضاء و موافقة الامام الكاظم عليه‌السلام ليمارس دوره فى خدمة الحالة الانتمائية. - فعاليات الفقه و الحديث: يونس بن عبدالرحمن. - فعاليات الكلام و المناظرة: هشام بن سالم. لقد ساهمت هذه الحالة الانتمائية الواعية فى ايجاد مواقف سياسية بارزة من قضية الفصل فى الكيانات و الأنظمة الطاغونية القائمة، من خلال تحريم الامام الكاظم اللجوء الى هذه السلطات، و تحريم التعامل معها من أجل تأكيد حالة الرفض المعنوى و النفسى للكيانات الجائرة اللاشرعية، لأن ذلك يصب فى خدمة هذا الكيان و يعطيه - كما ذكرنا - شرعية الوجود فى اغتصابه للحكم و ظلمه للعباد و هدره لثروات و مقدرات البلاد، و بالتالى هو سلب لكل عمل اصلاحى من الامام نفسه. [صفحه ۱۱۸] لقد كان هذا العمل الترشيدى و التوعوى - اذا صح التعبير - يهدف الى لفت نظر الناس الى المفاهيم و التصورات البنائية الأساسية لمدرسة أهل البيت عليهم‌السلام، و تجنب اللجوء الى الأجهزة الادارية و القضائية الخاضعة لسلطة النظام و المعتمدة من قبل أعوانه و جلاوزته [۱۹۸] . - قال الامام الكاظم عليه‌السلام لزياد بن أبى‌سلمة: «يا زياد انك لتعمل عمل السلطة»؟. قال زياد: أنا رجل لى مروة و على عيال و ليس وراء ظهرى شىء. فقال الامام: «يا زياد لئن أسقط من شاهق [۱۹۹] فأتقطع قطعة قطعة أحب الى من أن أتولى لأحد منهم عملا- أو أطأ بساط رجل منهم الا، لماذا»؟ فقال زياد: لا أدرى جعلت فداك، قال عليه‌السلام: «الا لتفريج كربة مؤمن أو فك أسره، أو قضاء دينه، يا زياد ان أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سرادق من نار الى أن يفرغ الله من حساب الخلائق، يا زياد فان وليت شيئا من أعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة و الله من وراء ذلك» [۲۰۰] . المنحى الثانى: مارس الامام الكاظم عليه‌السلام على هذا المسار دورا تثقيفيا هاما فى المجال السياسى العام و الخاص، فعلى الخط السياسى العام عمل عليه‌السلام على تحريك ضمير الأمة، بعناوينه الكبيرة فى الدائرة الاسلامية الواسعة، نحو أهدافها الكبيرة فى خط الترشيد العام فى حركة الأمة و مساراتها الرسالية العالية، فيما [صفحه ۱۱۹] لاحظناه من التعريف الشامل بالثورة الحسينية، و الحث على زيارة الحضرة المقدسة لصاحبها الامام الحسين عليه‌السلام، و الدفاع عن أصالة أهدافها و قيمها الرفيعة، و التفاعل مع معطياتها الحضارية و الانسانية و دعوة الناس الى تعميق صلتهم الروحية و الفكرية مع نهج و خط هذه الثورة [۲۰۱] ، و قد ركز امامنا عليه‌السلام، فى هذا السياق، على ضرورة الانفتاح على الله فى كل مواقع الحياة لأنه أساس أى عمل تغييرى يقوم به الانسان، انها التقوى (الجهاد الأكبر) [۲۰۲] . يقول عليه‌السلام فى وصيته لبعض ولده [۲۰۳] : «يا بنى اياك أن يراك الله فى معصية نهاك عنها و اياك أن يفقدك عند طاعة أمرك بها و لا تخرجن نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته فان الله لا يعبد حق عبادته». أما على صعيد «المجال السياسى الخاص» فقد انطلق الامام عليه‌السلام فى حملة توجيهية داخل الدائرة الانتمائية الخاصة بكتلته الشيعية المؤمنة، بما تتمايز، عن غيرها، ببعض الخصائص و السمات الموضوعية فى طبيعة انتمائها و وعيها فى البعد الحركى، فى تركيزه عليه‌السلام المكثف على البعد الفكرى السياسى الذى يجب أن يكون واضحا فى الرؤى و المفاهيم لمرحلة ما بعد التغيير، و هذا ما نقرأه فى توجيهاته و وصاياه و حكمه التى كان عليه‌السلام يصدرها و يطلقها تباعا على شيعته و أصحابه، جاء فى وصيته لهشام بن الحكم: «يا هشام عليك بالرفق فان الرفق يمن و

الخرق شؤم، و ان الرفق و البر و حسن الخلق يعمر [صفحه ۱۲۰] الديار و يزيد فى الرزق، من صنع اليك المعروف فعليك أن تكافئه» [۲۰۴] و قال عليه‌السلام لعلى بن يقطين محذرا اياه من سلبيات العمل عند السلطان الجائر، و ما هى كفارة هذا النوع من الأعمال؟: «كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان، و كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم فى البلاء ما لم يكونوا يعدون» [۲۰۵] . و فى اطار حديثنا عن دور الامام الكاظم فى توجيه و توعية و تثقيف المجتمع الاسلامى فى الدائرة الاسلامية الشيعية الخاصة و الاسلامية العامة، و تركيزه عليه‌السلام على أهمية البناء الداخلى للانسانية فى عملية انتقال المجتمع من مستوى الى آخر، نتساءل: ما هو دور الانسان فى حركة التاريخ؟ هل دوره سلبى أم ايجابى؟ و هل هناك علاقة بين فكر الانسان و ارادته و وعيه و أساسه (و محتواه) الداخلى و بين عملية التغيير الاجتماعى؟ تتميز حركة التاريخ - عن كل الحركات الأخرى - بأنها ذات غاية و هدف، أى حركة غائية تتطلع الى المستقبل الذى يقوم بعملية جذب و شد و تحرك أى نشاط تاريخى من خلال الوجود الذهنى الذى يحتويه و يتمثل فيه هذا المستقبل، و بذلك تكون أسباب الحركة التاريخية مرهونة للوجود الذهنى [۲۰۶] أى لفكره و ارادته. ان هذين الأمرين (الفكر والارادة) هما فى الحقيقة المحتوى الشعورى للانسان، اذا المحتوى الداخلى للانسان هو الذى يصنع هذه الغايات، و يجسد هذه الأهداف من خلال مزجه [۲۰۷] بين فكرة ما و ارادة معينة [۲۰۸] ، و بذلك صح [صفحه ۱۲۱] القول بأن المحتوى الداخلى للانسان هو أساس حركة التاريخ، و هذا ما تشير اليه، صراحة، الآية الكريمة: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ۱] لذلك عندما انطلقت جهود امامنا الكاظم عليه‌السلام، فى اطار دعوته أصحابه و شيعته الى بناء النفس و تقوية الروح و تغذيتها بالقيم الالهية، أى التركيز و الاهتمام بالمحتوى الداخلى لهم، فان ذلك يعنى أنه كان مدركا، تماما، لأهمية دور ارادة الانسان فى عملية احداث التغيير و الثورة فى مجتمع الفراعنة و الطواغيت، لذلك انطلق عليه‌السلام - من خلال وعيه العميق لتلك المعطيات - موجها و ناصحا و مشرفا على أصحابه و شيعته، يدعوهم الى الالتزام العميق بقيم و مبادىء الاسلام، كما يظهر ذلك فى كل وصاياه و ارشاداته الخالصة و العامة التى تتصل بالتربية الاسلامية الصحيحة فى العقيدة و التشريع و الأخلاق و المنهج العملى فى حركة العلاقات العامة و الخاصة، و فى النظرة الى الواقع و الى الناس من حوله لأن بناء و تنمية الداخل الانسانى (الجهاد الأكبر) [۲۰۹] هو الأساس فى عملية التغيير الخارجى (الجهاد الأصغر) [۲۱۰] ، يقول عليه‌السلام: «و جاهد نفسك لتردها عن هواها، فانه واجب عليه كجهاد عدوك» [۲۱۱] ، و بالتالى اذا فصل الجهاد الأصغر عن الجهاد الأكبر فقد الانسان مضمونه و جوهره الداخلى، و شلت ارادته، و فقد قدرته على التغيير الحقيقى على الساحة التاريخية و الاجتماعية. من هنا يتطلب التغيير الاجتماعى الحقيقى توازنا مدروسا بين الجهادين الأكبر و الأصغر، و عدم الفصل أو التفريق بينهما، و الواضح أن الحركة الاسلامية المعاصرة (و بعض نخبها وقادتها ممن اصطلح على تسميتهم خطأ، بالمعتدلين) قد وقعت فى شرك الفصل بين هذين الجهادين، اذا اعتبرت بعضها أن الأولوية، فى عملية التغيير، يجب أن تعطى و تمنح للجهاد الأكبر - فرديا و اجتماعيا - و ذلك بالعمل على تصعيد الحركة و تركيزها فقط على الجانب الثقافى و التربوى [صفحه ۱۲۲] فى المجتمع مع اهمال الجوانب الأخرى التى تتصل بحركة الجهاد الأكبر فى اعتقاد منهم أن تكثيف الدعوة التربوية و التوجيهية هو عمل فعال قد يتيح المجال للاسلام فى استلامه الحكم بطريقة طبيعية هادئة، لكن من الواضح أن هذا النمط التفكيرى يعبر عن وعى ساذج بطبيعة الواقع الفكرى و السياسى و الاجتماعى المعقد الذى تعيشه مجتمعاتنا العربية و الاسلامية بشكل عام، اذ تتغافل (هذه الشخصيات المثقفة صاحبة تلك الدعوة) عن عنصر الاجراء المضاد الذى يمكن أن تلعبه و تتخذه السلطات الحاكمة فى قمع و ارهاب تلك الدعوة السلمية، و ذلك من خلال محاصرتها بمختلف الأساليب الاعلامية و السياسية و الأمنية و بالتالى عزل نخبتها السياسية، و ابعادها عن ساحة التأثير فى الحياة أو على الأقل تحجيم دورها الاجتماعى. أما بالنسبة للاتجاه الثانى الذى يدعو الى اعطاء الجهاد الأصغر الأولوية فى عملية التغيير (ممن أسمتهم وسائل الاعلام و الاستخبارات الغربية بالمتطرفين) فقد أثبتت التجربة أنه مارس أساليب قمعية و اكراهية وحشية فى عمله الدعوتى بعيدة كل البعد عن المواقف الشرعية الاسلامية، كان سببها عدم الالتزام بجهاد النفس و ممارسة التقوى و الوعى للقيم الاسلامية، لذلك وضع (هؤلاء) أنفسهم فى طريق الانحراف السياسى

و العقائـدى، و شوهوا صورة الاسـلام فى الخارج العالمى (الذى يعمل جاهدا على تشويه و مسخ صورة الاسـلام حتى من دون أدلة و اثباتات). ان هؤلاء قد غفلوا عن قاعدة اسـلامية هامة و هى أن الركيزة الأساسية فى عملية التغيير السياسى و الاجتماعى يجب أن تنطلق من الالتزام النفسـى و السلوكى و الفكرى بالاسلام كقاعدة للفكر و الحياة، و أن أى قفز فوق هذه القاعدة قد يؤدى الى تخريب جزئى أو كلى لقيم و مبادىء الاسـلام. ان الـدعوة الاسـلامية الحقيقيـة الصادقـة، فى ممارسة عملية التغيير، يجب أن ينطلق فيها الجهاد الأكبر جنبا الى جنب مع الجهاد الأصـغر، و هذا هو الموقف الاسلامى الدقيق الذى يجمع بين الجهادين و لا يفرق بينهما و لا يفضل أحدهما على الآخر، من أجل المساهمـة فى صنع شخصـية اسـلامية هادئة، و واسـعة الصدر، و منفتحة على الآخرين، و عقلانية فى تفكيرها، و موضوعية فى [صـفحه ۱۲۳] نظرتها الى الأشـياء، و حليمـة فى مواجهتها للتحـديات الاجتماعية [۲۱۲] . اسـتنتاج هـام: دلالات و أبعاد حركة المقاطعة أو المشاركة فى الحكم السياسـى: ما هى طبيعة العلاقة التى يجب أن تقوم بنى الحاكم، الذى يمثل وجودا غير شرعى، و المحكومين المستضـعفين فى أجواء الضـغط و القهر السياسـى و الأمنى؟ هل تنعزل عن أى ارتباط أو أيـة مساعـدة له؟ و هل يساعد ذلك على تقوية الحق و اضـعاف الباطل؟ ثم ما هى المكاسب التى يمكن تحقيقها عند التعاون مع الأنظمة الجائرة؟ فى الواقع، تتداول الأوساط الثقافية و السياسـية، بشكل عام، فكرة لا تزال موجودة، حتى الآن فى الأجواء الثقافية لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام، و متجـذرة فى وجـدانهم الفكرى، مفادهـا ضـرورة الامتنـاع المطلق (أى الرفض المطلق) عن مساعـدة أى حكم مـا دام غير شـرعى، و لا يستند فى وجوده و امتـداده الى بعـد قانونى اسـلامى، و قـد انطلقت هـذه الذهنية فى حركة الواقع السياسـى الاسـلامى لتعزل كل هذا الواقع التاريخى عن أى نشاط أو عمل فاعل فى هـذا الموقع أو ذاك، مما أدى الى اضـعاف الحركـة الرسالية المنطلقة فى أجواء الحق من جهـة، و ساعد على تقوية حركة الباطل من جهة ثانية، لأن واقع الحق – فى حالة العزل – سيضـعف على حساب اهتزاز الارتباط، و بالتالى سـتعمل مصالح أهل الباطل على أضعاف أهل الحق لأن مصالحهم سوف تسقط و لأن واقعهم [صفحه ۱۲۴] سوف يضعف، و لأن الآخرين سوف يطبقون و يضـغطون عليهم و ربما يؤدى بهم الأمر الى أن يحركوهم فى أجواء الانحراف من خلال الضـغط الـذى يتحرك هنـا و هنـاك. فى ظـل هـذا الفهم نطرح السؤال التـالى: كيف يمكن توعيـة الأمـة على مـا يمكن تسـميته «بثقافـة التعـاون مع الحاكم»؟. نفرق هنا بين مسألتين، الأولى: الجانب الثقافى فى الرفض، و الثانيـة: الجانب الواقعى فى التعاون. أقصد بالأولى، وجود ثقافة سياسـية كاملة تقوم بتنمية روح الرفض النفسـى، فى ذهنية الانسان المستضـعف، تجاه ظلم السـلطة القائمة فى عدم التعاون أو التحالف معهـا. بمعنى آخر: تثقيف النـاس كما ثقف الكاظم عليه‌السـلام (صـفوان الجمال) عنـدما قال له: «من أحب بقاءهم فهو منهم»، أى أن ينزع المرء من قلبه، عنـد التعـاون معهم، كل عاطفـة أو احساس تجاههم. و يبقى فى داخله كل التصورات و الانطباعات السـلبية عنهم، أى أن تعتمد الطريقة الكاظمية، فى الجانب الثقافى من هذه المسألة، على أن ينزع الانسان المؤمن من قلبه كل فكر و عاطفة يمكن أن تتحول الى شرعية لهذا الظالم أو ذاك. و أقصد بالمسألة الثانية (الجانب الواقعى فى التعاون): الدخول فى جهاز الحكم القائم من أجل حمايـة الحركـة الفكريـة و السياسـية و الحفاظ على القضايا و المصالـح العامـة للمستضـعفين الـذين قـد لا يكون لهم صوت أو موقع، فيكون التعـاون مع النظـام الجـائر و الـدخول فى صـلب نظـام الفكر و الطغيان، فى هـذه الحالـة، ضـرورة ملحـة من أجل حمايـة الواقع الاسـلامى، لكن يجب أن يكون هـذا الـدخول مدروسا و محسوبا بدقة، و حتى اذا أردنا أن نمارس الرفض الايجابى، فيجب أن يكون رفضا واعيا، يحقق مصـلحة اسـلامية عليا لا مجرد مصالح فردية متناثرة هنا و هناك. و فى هذا المجال نؤكد على أهمية التجربة الرائدة للحركة الاسـلامية فى لبنان فى دخولها المنظم و المدروس الى واقع النظام القائم هناك – فى اطار [صـفحه ۱۲۵] عمليها «السياسى – العسـكرى» – بـالحوار و اقامـة العلاقـات، و الانفتـاح على الآـخرين و المشاركـة فى الحيـاة السياسـية من موقع المعارضـة الفاعلـة التى تحكمها عناوين اسلامية دقيقة (أعنى بها المصالح [۲۱۳] و المفاسد و الاضطرار) تعطيها شرعية الحركة فى هذا المضمار أو ذاك مما قد يحقق للاسـلام و المسـلمين قفزة نوعية على صعيدها الثقافى و السياسى. ان التجربة الاسلامية فى لبنان و مشاركة أفرادها فى صلب الواقع السياسى و الثقافى و الاجتماعى تنطلق من فكرة أساسية هى أنه عند عدم القدرة على احداث تغيير شامل. ان ذلك لا يلغى قطعا

مسؤولية الفرد و الجماعة فى مرحلة الحركة باتجاه التغيير لأن الظروف الضاغطة قد تكون آنية و مؤقته، و يمكن تفكيك عناصرها بشكل علمى مدروس و حكيم، و ذلك بالاستفادة من طبيعة اللعبة الديمقراطية [۲۱۴] كموقع متقدم من مواقع الاعلام و التحرك لمصلحة الاسلام فى مواقعه التشريعية و السياسية على أكثر من صعيد. اذا، طالما أن هناك أهدافا سياسية و اجتماعية و فكرية تغييرية عامة تسعى الحركة الاسلامية (و حتى أى حركة باحثة عن موقع قوى لها فى ساحة الحياة) [صفحه ۱۲۶] الى تجسيدها و تحقيقها و غرسها فى اطار الواقع الذى نمت فيه، فان توفير امكانات الوصول الى تلك الأهداف العالية و الطموحة لا يتحقق بالانغلاق على الذات و الركون فى زوايا الحياة المهملة كعنصر من عناصر الاختناق و السقوط و الموت، بل يحتاج ذلك الى عملية انفتاح واعية على الآفاق الواسعة التى تطل بها على ساحات الآخرين لتستفيد من تجاربهم و خبراتهم فى مواقع قوة الحركة لا ضعفها. اننا نلاحظ – فى هذا السياق – أن هناك مشكلة أساسية تسيطر حاليا على ذهنية كثير من الدعاة و النخب الاسلامية، و تتحكم فى مسيرة بعض الحركات الاسلامية، و هى التفكير بالطريقة الحدية، اما نعم بالمطلق، أو لا بالمطلق، على طريقة (السامرى) الذى كان يرفع شعار (لا مساس). اننا نقول لهؤلاء و لغيرهم: اذهبوا و ادرسوا تجربة اليهود، طالما أن الكثيرين منكم غير قادرين و لا يمتلكون الارادة الكافية لدراسة تجارب الواقع الاسلامى فى الماضى و الحاضر. نعم، اليهود و لا نرى عيبا فى ذلك، فالانسان يستفيد و يأخذ الدروس و العبر حتى من ألد أعدائه، اذا كان ذلك يحقق له امتدادا و تجذرا فى ساحة الحياة الانسانية، و ينجز له كثيرا من تطلعاته و أهدافه، و يعطيه الأسلحة الضرورية لمواجهة عدوه. أقول: ان هؤلاء اليهود الذين لا يشكلون أكثر من ثلاثين مليون نسمة، تجاه أكثر من مليار انسان مسلم، باتوا يسيطرون اليوم على مفاصل السياسة و الاقتصاد فى العالم، فاليهود الموجودون فى عمق الادارة السياسية الأمريكية يبلغون حوالى ۸۰ بالمئة، أما ال ۲۰ بالمئة الباقية فهى غير اليهود الذين يعيشون تحت تأثير الضغط الاعلامى و الابتزاز السياسى اليهودى، أما على الصعيد الاعلامى فلا مجال للشك فى الاستحواذ العالمى لليهود على أكثر و أهم وسائل الاعلام و محطات التلفزة العالمية، حتى شكلوا اخطبوطا اعلاميا بات يسيطر على معظم وكالات الاعلام المسموعة و المقروءة فى شتى بقاع المعمورة، يدعون الى قيمهم و مشروعهم العنصرى التلمودى، و يضخون فى [صفحه ۱۲۷] وسائل اعلامهم كما هائلا من المعلومات و الأخبار التى تنسجم مع تطلعات و أهداف، ذلك المشروع، فى السيطرة و التحكم و الاستحواذ. هؤلاء اليهود لم ينعزلوا عن الواقع بالرغم من الرفض النفسى و العملى الذى كان يمارسه ضدهم الأمريكان قبل غيرهم، حيث كانت المطاعم الأمريكية تضع لافتة مكتوب عليها ممنوع دخول الكلاب و اليهودى، لكنهم دخلوا الى الواقع بكل قوة، و واجهوا ظروف الرفض حتى أصبح الأمريكان (و غير الأمريكان) عبيدا عنهم، و نتسائل (لنستفيد و نعتبر): كيف حصل ذلك؟ و نجيب بالقول: لقد حدث ذلك بأساليب و طرق شتى غير انسانية و لا علاقة لها بالقيم و المبادىء و الأصول الأخلاقية العامة. و أنا هنا، بالمناسبة، لا أدعو أن نسلك هذه السبل نفسها، هذه السبل لكن أن نفهم الخطوط العريضة العامة. اذا خطط اليهود للدخول و النفوذ الى جسم العالم. و هم، فى طبيعة الصراع الوجودى الذى نعيشه ضدهم راهنا و مستقبلا، فكروا و يفكرون للدخول الى مفاصل الاقتصاد الاسلامى و العربى، لذلك تراهم يسعون فى كل حدب وصوب، بقوة و من دون كلل أو ملل، لعقد المؤتمرات الاقتصادية هنا و هناك، كما حصل فى قمم (القاهرة و الدار البيضاء و عمان و الدوحة) الاقتصادية، مع أنهم لم يقدموا شيئا فى عملية «التسوية!»، كل ذلك يندرج تحت هدف واحد هو السيطرة و التحكم بمفاصل اقتصاد العرب و المسلمين لممارسة الضغط على الواقع السياسى و الأمنى للمنطقة تحقيقا لهدفهم التوراتى الخبيث «حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل». نستنتج – من خلال التحليل السابق الذى وجدت أن هناك ضرورة ملحة فى عرضه، فى سياق حديثى عن امامنا الكاظم عليه‌السلام الذى عاش حياته من موقع التخطيط و الهدفية و المرحلية من أجل الوصول الى أهداف الاسلام و تحقيق قيمه الرسالية الأصيلة [۲۱۵] – نستنتج أنه بات واجبا علينا، فى خضم [صفحه ۱۲۸] تحدياتنا و أزماتنا و انكساراتنا و هزائمنا، أن نبدأ العمل و الحركة باتجاه الأفق المطلوب بكل امتداداته فى الواقع المعاصر، لأن قيمة الفكرة أو المبدأ الذى نلتزمه، نظريا، هى فى أن يتحول الى كائن حى يتحرك فى الخط العملى الانسانى و ذلك فى وعيه و الايمان به، و من ثم التزام مفرداته التى ترتبط، فى الأساس، بحركية

الهدف الكبير و الطموح، فى امتداد الوجود و رحابة الحياة. لذلك و طالما أن الهدف هو تحقيق مشروعنا و فكرنا فى العمل و الدعوة و الهداية، فلا بد أن نعمل - بوعى و ضمن خطة مرحلية حكيمة - على أن ندخل الى عقول و أفئدة الناس، و أن نعيش جميعا «كدعاة رساليين» تجربة و حس الواقع العملى، و نبض عصرنا و أسلوبه، أى أن يفهم الداعية لغة عصره و ثقافة زمنه الراهن [۲۱۶] ، أن يفهم لغته و لغة الآخرين، لا أن يسقط تحت تأثير قيم عصره و يتحجم (و يتحجر) فى ممارسته لقيمه، ولكن أن يفهم عصره جيدا، أن يفهم حساسيته و ذهنيته و نقاط ضعفه و نقاط قوته، حتى يكلم الناس بلغتهم بعيدا عن التصنع و المغالاة و التكلف، فالذهنية لغة و الجو لغة، لذلك نقول: نحن مسلمون، خطابنا اسلامى، و مشروعنا حضارى منفتح، ولكن علينا أن نطور هذا الخطاب (المشروع) بحيث نبقى له مضمونه الاسلامى الذى يطل على القضايا المعاصرة من دون اسقاط أو تشويه لمعالمه و خصائصه. و بالمقابل، و من دون أن نبتعد عن لغة العصر و عن أسلوب العصر، نحاور الانسان، نعيش فى قلب الساحة و الصراع و نطلق خطابنا و مشروعنا الثقافى و السياسى التغييرى العام فى كل قضايا الصراع من دون أن نفقد أى شىء من اسلامنا و من طهارتنا و من نقائنا بشرط أن نكون المسلمين الواعين الذين يعيشون - فى واقع التحدى ورد التحدى المعاصر - حالة طوارىء فى فكرهم و فى أسلوبهم و فى وعيهم للواقع، و فى حركتهم من أجل الواقع. [صفحه ۱۳۱]

الامام كاظم نبراس حضارى و رؤية معاصرة

اضواء على شخصية الامام الكاظم و صفاته الأخلاقية الرفيعة

خصاله النفسية العالية

اشاره

درس الباحثون و كتاب التاريخ و التراجم سيرة و حياة أئمة أهل البيت عليهم‌السلام و أوسعوها شرحا و تحليلا و استعراضا لخصائصهم النفسية و قيمهم الخلقية العالية، ولكنها قلة تلك البحوث التى تناولت درس حياة الامام الكاظم و عرض خصاله و فضائله الأخلاقية الرفيعة، من علم و أدب و كرم و تضحية و ايثار و مروءة و شجاعة و محبة، شكلت تراثا نفسيا و سلوكيا عاما تميزت بها شخصية الكاظم عليه‌السلام كانسان عاش و استشهد مدافعا عن القيم الاسلامية النقية و الطاهرة التى عاشها فى عمق وعيه و عاطفته و سلوكه المتميز. لذلك سنحاول، خلال هذا البحث، اعطاء لمحات من العناصر النفسية الخاصة بامامنا عليه‌السلام فى مجال الممارسة الاجتماعية الراقية. اتفق الباحثون [۲۱۷] فى مجال التاريخ الاسلامى أنه عليه‌السلام كان أعبد أهل [صفحه ۱۳۲] زمانه و أزهدهم فى الدنيا حيث شهدت له ألقابه بعبادته، فمن زين المجتهدين الى العبد الصالح و النفس الزكية، و الصابر، و الكاظم [۲۱۸] ، الى غير ذلك من الألقاب المشيرة الى صفاته المقدسة، و عبادته المتواصلة حتى أنه كان يصلى نوافل الليل اذا دخل ثلثه الأخير، و يستمر فى الصلاة الى طلوع الفجر، فاذا جاء وقت صلاة الصبح صلاها ثم يشرع فى الدعاء و البكاء من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع و يغشى عليه أحيانا لخشوعه و بكائه [۲۱۹] . و ننقل هنا بعض مناقبه و فضائله الكثيرة:

سمو أخلاقه وسعة صدره

يروى الرواة عنه أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه، و يشتم عليا عليه‌السلام فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهى و زجرهم أشد الزجر، و سأل عن العمرى فى بعض الأيام فقيل له: انه يزرع بناحية من نواحى المدينة، فركب اليه فى مزرعته فوجده فيها فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمرى: لا تطأ زرعنا فاستمر فى طريقه حتى انتهى اليه

فنزل و جلس عنده و جعل يضاحكه، ثم قال له: كم غرمت فى زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب منه؟ قال: انا لا نعلم الغيب، فقال له الامام: انما قلت لك كم ترجو أن يجيئك منه، قال: أرجو أن يجيئنى مائتا دينار فأعطاه ثلاثمائة دينار، و قال: هذا زرعك على حاله، فقام العمرى و قبل رأسه و انصرف، فذهب الامام الى المسجد فوجد العمرى جالسا فلما نظر اليه قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، فوثب أصحابه و قالو له: ما قصتك لقد [صفحه ۱۳۳] كنت تقول خلاف هذا، فخاصمهم و شاتمهم و جعل يدعو لأبى الحسن موسى بن جعفر عليه‌السلام كلما دخل و خرج، و قال أبوالحسن لحاشيته الذين أرادوا قتل العمرى:أيما كان خيرا ما أردتم أو ما أردت أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار [۲۲۰] .

كرمه و سخاؤه و زهده فى الدنيا و مغرياتها

جاء فى كتاب تاريخ بغداد فى رواية بسنده الى ادريس بن أبى رافع عن محمد بن موسى أنه قال: خرجت مع أبى الى ضياعه «بسابة» فأصبحنا فى غداة باردة و قد وفدنا منها و أصبحنا على عين من عيون «سابة» فخرج الينا من تلك الضياع عبد «زنجى فصيح مستزنر بخرقة، على رأسه قدر فخار يفور، فوقف على الغلمان و قال: أين سيدكم؟ فقالوا: هو ذاك، فقال: أبو من؟ فقالوا له: أبوالحسن، فوقف عليه و قال: يا سيدى يا أباالحسن هذه عصيدة أهديتها اليك، فقال له: ضعها عند الغلمان، فأكلوا منها، ثم ذهب و رجع و على رأسه حزمة حطب، فقال له: يا سيدى هذا حطب أهديته اليك قال: ضعه عند الغلمان و هب لنا نارا، فذهب و جاء بالنار، و كتب أبوالحسن اسمه و اسم مولاه و دفعه الى و قال: يا بنى احتفظ بهذه الرقعة حتى أسألك عنها، فوردنا الى ضياعه و أقام بها ما طاب له، ثم قال: امضوا بنا الى زيارة البيت فخرجنا حتى وردنا مكة، فلما قضى أبوالحسن عمرته دعا صاعدا و قال: اذهب و اطلب لى هذا الرجل فاذا علمت بموضعه فأعلمنى حتى أمشى اليه فانى أكره أن أدعوه و الحاجة لى، قال صاعد: فذهبت حتى وقفت على الرجل، فلما رآنى عرفنى و كنت أعرفه و كان تشيع فسلم على و قال: أبوالحسن قدم، قلت: لا، قال: فأى شىء أقدامك؟ قلت: حوائج، و قد كان علم مكانه بسابة، فتبعنى و جعلت أتقصى منه و يلحقنى، فلما رأيت أنى لا أتفلت منه مضيت الى مولاى و مضى معى حتى أتيته فقال لى: ألم أقل لك لا تعلمه، فقلت: جعلت فداك، لم أعلمه. [صفحه ۱۳۴] ثم قال له الامام عليه‌السلام: أتبيعنى غلامك فلان؟ فقال له: جعلت فداك الغلام و الضيعة و جميع ما أملك أقدمه لك، فقال: أما الضيعة فلا أجد أن أسلبكها، و قد حدثنى أبى عن جدى أن بائع الضيعة ممحوق و مشتريها مرزوق، و أصر الرجل على تقديمها له، و أخيرا اشترى منه الضيعة و الغلام بألف دينار، ثم أعتق العبد و ووهب له الضيعة. - و جاء فى مقاتل الطالبيين بسنده عن يحيى بن الحسن أنه قال: كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير و كانت صراره ما بين ثلاثمائة الى المائتين و يضرب بها المثل.

عبادته و تقواه

كان الامام الكاظم عليه‌السلام كثير الصلاة و التهجد و المواظبة على الطاعات و العبادات [۲۲۱] يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متصدقا و صائما، حتى أن كثيرا من حوادث اعتقاله تمت و هو يؤدى طاعة أو عبادة. مرة أصدر هارون أمره باعتقال الكاظم عليه‌السلام فذهب جلادوه الى الامام عليه‌السلام فصادف أن الامام عليه‌السلام لم يكن فى المنزل، أين كان؟ كان فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله و سلم، حيث كان عليه‌السلام مشتغلا بالصلاة فلم يمهلوه حتى يتم صلاته بل أخذوه و هو فى الصلاة، و جروه جرا من مسجد النبى صلى الله عليه وآله و سلم، فنظر عليه‌السلام الى قبر الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و قال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا جداه انظر الى أمتك ماذا تفعل بأبنائك؟» [۲۲۲] . - قالت أخت السندى: و قد سجن الامام عليه‌السلام فى بيت أخيها - كان اذا صلى العتمة حمد الله و مجده و دعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فاذا زال الليل قام يصلى حتى الصبح، ثم يذكر قليلا حتى تطلع الشمس، ثم يقعد [صفحه ۱۳۵] الى ارتفاع الضحى، ثم يتهيا و يستاك و يأكل، ثم يرقد الى قبل الزوال، ثم

يتوضأ و يصلى العصر، ثم يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب، ثم يصلى ما بين المغرب و العتمة فكان هذا دأبه. و كانت أخت السندى اذا نظرت اليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل [۲۲۳] . [صفحه ۱۳۶]

نماذج منتقاة من جوامع كلمه و درر حكمه

اشاره

عاش الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه‌السلام فى دائرة الرسالة و مهبط الوحى و تربى على نهج القرآن الكريم و آداب و خلق الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم‌السلام، لذلك كان من الطبيعى أن يتميز بأخلاق رفيعة و قيم نبيلة سامية تمظهرت، ليس فقط فى أقواله و حكمه و وصاياه، بل أيضا فى سلوكه و أفعاله. و قد أراد عليه‌السلام من خلال هذا التراث الارشادى و الوعظى أن ينتصر لقيم و مبادىء المجتمع الاسلامى الفاضل، و يهذب نفوس الناس من دنس الخطايا و الرذائل، و يحملهم على التزام الفضائل و الخصال الحميدة العليا [۲۲۴] . و فى ما يلى يمكن أن نعطى لمحة عامة و سريعة عن بعض كلمه الطيب عليه‌السلام فى مجال الممارسة الاجتماعية الواعية و ندرس - على ضوء ذلك، و فى جانب معين - فلسفة القيم فى الاسلام: ۱- التقوى و العمل الصالح. ۲- محاسبة النفس (النقد الذاتى). ۳- العلم و المعرفة. ۴- الرفق و اللين.

التقوى و العمل الصالح

اشاره

يقول الامام الكاظم عليه‌السلام فى تعريفه للتقوى: «يا بنى اياك أن يراك الله [صفحه ۱۳۷] فى معصية نهاك عنها، و اياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، و عليك بالجد، و لا تخرجن نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته، فان الله لا يعبد حق عبادته» [۲۲۵] . تمثل التقوى روح الانضباط و الالتزام أمام الله، لأن علاقة المؤمن بربه ليست علاقة مجردة أو مفصولة عن أصل وجود الانسان فى الحياة فى حاضره و فى مستقبله، بل هى علاقة أصيلة تتصل بكل وجود و امتداد هذا الانسان، الذى خلق بارادة الله تعالى و تحرك فى الحياة فى كل ما أودعه فى جسمه من شروط الحياة و ما أعطاه من النعم المحيطة بكل حياته من كل عناصر الحياة، بحيث يعيش فى نفسه حالة الهيبة و الاجلال لربه، و تلك هى التقوى فى جوانبها الثلاثة [۲۲۶] .

تقوى الفكر (الخط الفكرى)

أن يكون فكرك تقيا يعنى أن تلتزم المبدأ و القيمة التى تقودك الى الخير، و أن تبتعد عن الطرق و الأساليب التى يمكن أن تحرك فكرك و موقفك نحو الشر و الظلم.

تقوى القلب (الخط العاطفى)

و هى أن تجعل قلبك خالصا لوجه الله، كله لله فلا تحب أحدا الا من خلال الله و لا تبغض أحدا الا من خلال الله، أى أن تكون عاطفتك و وجدانك و احساسك تحت امرة الله (و الذين آمنوا أشد حبا لله) [البقرة: ۱۶۵]، ان حركة التقوى القلبية يجب أن تختزن فى عمقها الانسانى معنى التولى: فى الالتزام بالله و التزام أوليائه، و معنى التبرى: فى الابتعاد عن الشيطان و عن أوليائه، أى أن لا ندخل

أحدا الى حرم القلب الا من خلال الله سبحانه و تعالى. [صفحه ۱۳۸]

تقوى الحركة (الخط الحركى)

و هى تعنى أن لا تقدم رجلا فى أى طريق تريد أن تتحرك عليها و لا تؤخر أخرى حتى تعلم أن ذلك لله رضا، و بهذا المعنى نفهم أن على الانسان المسلم أن يتعلم دينه و يعيش ثقافة اسلامه، و أن يعرف ربه، ماذا أراد منه؟ و ما صنع به؟ لأنه اذا تغاضى عن ذلك السبيل، و أحجم عن معرفة ربه، و كان جاهلا لنعمه و فضله و كل ما يتصل بحركته فى الحياة، فانه لن يتمكن أبدا من الوصول الى الطريق المستقيم ليسير عليها، بل سيكون كما قال ذلك الشاعر: اذا الريح مالت مال حيث تميل و لا بد، فى هذا المجال، للانسان الملتزم من أن يعمل على رعاية و حفظ امتداد تقواه فى الحياة بأن يحمى اسلامه من كل ما يمكن أن يضعفه، و من كل ما يمكن أن ينحرف به عن الخط و الصراط المستقيم، بحيث يكون واعيا لكل مفردات اسلامه و واعيا لحركة هذه المفردات فى الواقع و فى مواقفه عندما يؤيد و يرفض، و يثنى و يهجو، فى قوله و فعله. و فى ضوء هذه الرؤيا العامة يريدنا الامام الكاظم عليه‌السلام أن نعيش حاله طوارىء تقوائية - اذا صح التعبير - فى الفكر التقى، و العاطفة التقية، و الحركة التقية، و العلاقات التقية و الأوضاع التقية، (و تزودوا فان خير الزاد التقوى) [البقرة: ۱۹۷] بخاصة و نحن نعيش فى واقع مضطرب فى كل مواقعه و أوضاعه، لأن التقوى - كمفردة نفسية و سلوكية تنطلق من ذات الانسان، من ارادته و وعيه و التزامه الأولى بميثاق الفطرة و خط الله تعالى فى الحياة - تدفعك، و أنت الانسان الملتزم، الى أن تواظب دائما على مراجعة و مراقبة نفسك و قلبك و سلوكك و فكرك حتى تصنع من نفسك نموذجا متكاملا للانسان الالهى المسؤول و الواعى (انسان قيم الله المثقف دينيا) المنفتح على الله و الذائب فى قيمه و صفاته العالية، و الفاهم للغة زمانه، و معارف عصره، و أوضاع مجتمعه، و المواكب لتحولات حياته المعاصرة، متعهدا بقضايا و مصائر اخوته فى [صفحه ۱۳۹] الانسانية على مستوى عقله و حريته و شعوره بالمسؤولية الكبيرة تجاه انجازاته الحضارية الطموحة [۲۲۷].

محاسبة النفس (النقد الذاتى)

اشاره

يقول عليه‌السلام فى وصيته لهشام: «يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه» [۲۲۸]، و يقول عليه‌السلام: «يا هشام، أصلح أيامك، الذى هو أمامك، فانظر أى يوم هو و أعد له الجواب، فانك موقوف و مسؤول، و خذ موعظتك من الدهر و أهله، فان الدهر طويلة قصيرة» [۲۲۹] تعتبر قضية النقد الذاتى - نقد الانسان لنفسه أو نقد الانسان لغيره - من القضايا الأساسية التى يؤكدها الاسلام على مستوى حياة الانسان الفردية و الاجتماعية ضمن مسؤوليته فى صعيد خط الدنيا و خط الآخرة، لأنه اذا كان هدف التشريع الاسلامى بناء الانسان المسلم السوى الغنى، اسلاميا، فى وعيه و سلوكه، فان مسيرة الانسان و كدحه الارتقائى نحو تلك الأهداف، تخالطها سلبيات و أخطأ كثيرة بعضها محسوبة و بعضها الآخر غير محسوب، لذلك يكون النقد الذاتى محطة مراجعة للنفس لدراسة المواقع السلبية و العمل على معالجتها و محاولة تلافيها فى المستقبل و يكون، فى الوقت نفسه، أيضا محطة لتأصيل الممارسة الايجابية فى الواقع اليومى، لأن قضية الانسان هى قضية فكره و عاطفته و حركته، و قد يخطىء الانسان فيها و قد يصيب، و قد يخطىء الناس و قد يصيبون، و لعل من مميزات الاسلام أن لا يحمل الانسان مسؤولية نفسه فقط، ولكنه يحمله مسؤولية كل السلبيات الاجتماعية بالمستوى الذى يستطيع فه أن يخفف منها أو يزيلها، أى أن الاسلام يعطى الانسان فرصة لممارسة النقد و الحساب الذاتى لسلوكه و فكره و انتمائه و حركته. [صفحه ۱۴۰] و فى ضوء هذا الخط

العام يجب على الانسان أن يكون معنيا بنقد نفسه و من ثم بنقد الناس من حوله، و هذا ما اختصره القرآن الكريم فى الجانب المتصل بحياة الانسان الفردية سواء منها ما يتصل بالدنيا أو بالآخرة، و ذلك فى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) [الحشر: ۱۸]. من هنا يكون النقد للنفس بحثا موضوعيا عن المناطق الخفية السلبية فى داخل الذات، من أجل تعزيز بنيانها و ارادتها بتقوى الله، فى الفكر و العاطفة و الوجدان و الحركة، لأن مسألة «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوها قبل أن توزنوا» هى مسألة تعنى أن نجاهد أنفسنا، أن نحاكمها، و الخطر الأكبر يأتى من: ۱- تزكية المرء لنفسه، و رضاه عنها، و تضخيمه لها، و جعلها فى منأى من النقد و المصارحة، و القرآن يقول: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [النجم: ۳۲]. و الكاظم عليه‌السلام يقول: «من تعظم فى نفسه لعنته ملائكة السماء و ملائكة الأرض» [۲۳۰] ، كذلك يأتى الخطر، فى المجال نفسه، من تضخيم الآخرين لك، يقول الكاظم عليه‌السلام لتلميذه هشام بن الحكم: «لو كان فى يدك لؤلؤة و قال الناس انها جوزة و أنت تعلم أنها لؤلؤة ما ضرك، و لو كان فى يدك جوزة و قال الناس انها لؤلؤة ما نفعك» [۲۳۱] أى لو أتى الناس اليك مجتمعين، و ضخموا لك شخصيتك و رفعوا من شأنك ذاتيا، و قالوا: أنت العظيم الذى ليس أحد مثله، و أنت تعرف بواطن الأمور و خفايا الكلام، فى أن علمك مثلا أو موقعك يمثل عشرة أو عشرين بالمئة، فلا تنخدع بكلام الناس و لا تؤخذ بأقوالهم لأنك اذا خدعت ستسقط لا محالة، من هنا يدعونا الكاظم عليه‌السلام - فى وعينا لمسألة النقد - أن نفهم أنفسنا، و نعرف مواهبها و قدراتها كما هى بعيدا عن كلام [صفحه ۱۴۱] الآخرين، فاذا فهم الانسان نفسه و رأى فيها خيرا و صدقا، و أنها ترضخ لعملية الحساب و النقد، و رأى الناس غير ذلك، فان هذا لا يضره و لا يسقطه و لو شتموه أو سبوه، لأنه يعلم حقيقة ذاته فى شعوره بأصالته و قوته و صلابته، و اذا رأى فى نفسه غير ذلك و مدحه الناس و هو ليس بمستوى المدح فانه لا يعظم شخصيته أبدا. ۲- نقد الآخرين و تجريحهم قبل نقد الذات، و هذه هى مشكلتنا فى كل ما نعيشه من مواقع و مسؤوليات، أننا نعرف الناس أكثر من معرفتنا لأنفسنا، بحيث اننا نستطيع أن نحصى، بدقة، سلبيات و أخطاء الآخرين، و نقدم بذلك تقارير و بيانات مفصلة عن عيوب الناس و ثغراتهم ولكننا نعجز أو، بالأحرى، لا نملك الارادة و العزيمة التى يمكن أن تمنحنا فرصة فى أن نجلس مع أنفسنا جلسة مصارحة و صدق لنسأل: ما هى عيوبنا نحن؟ و ما هى أفكارنا؟! و ما هو خطنا السياسى؟ و ما هو خطنا الاجتماعى؟، فهل نستطيع أن نجيب الا بطريقة مبهمة و ضبابية و بلغة غير مفهومة؟ لذلك نقول دائما: ان فهمك لنفسك و محاسبتك لها هو مدعاة لفهم الآخرين لك، كما يعبر الامام على عليه‌السلام عن ذلك فى قوله المشهور: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك» أى أن تنفتح على الآخرين من موقع و عيك لمعالم ذاتك و خصائصها، أن تقمع أصل الشرور فى داخلها، ثم تطل على الآخرين من موقع الوعى و المحاورة الايجابية قبل أن توجه اتهاماتك اليهم بأنهم هم المسؤولون عن الشرور و الأخطاء. اذا علينا جميعا أن نبدأ بحركة نحو داخلنا فى أن نفهم أنفسنا و واقعنا، ذاتيا و موضوعيا «من عرف نفسه عرف ربه» أن نعرف خطوطنا الفكرية، و خطوطنا العاطفية و أيضا الحركية، حتى نعرف أن نمشى على الدرب الطويل، فكيف يمكن لك أن تستقيم على الطريق قبل أن تعرف هذه الطريق؟. فى الواقع نحن نعتبر أنفسنا، للأسف، فوق ميزان النقد، بل قد نصل الى مرحلة نفكر فيها بأن نكون نحن المقياس فى أية عملية نقدية هذه، حقيقة، درجة خطيرة من الشعور بالأنانية و التضخم الذاتى، وصلنا اليها فى كثير من [صفحه ۱۴۲] مواقع حياتنا، و يبدو أن هذا الجيل (جيل السرعة و الفضاء و الخيال) بدأ يتحرك منذ فترة على الطريقة نفسها، لكننا نقول بأنه مهما كانت ظروف العمل و الدعوة صعبة، يجب علينا جميعا، كمثقفين و دعاة، ألا نيأس من ممارسة سبل الدعوة و النقد الموضوعى المتوازن، حتى لو رفضت ساحة المجتمع خطابنا و دعوتنا الفكرية، صحيح أن خطابنا الدينى يعانى، بشكل عام، كثيرا من الخلل و الارتباك، حيث لا يزال يعيش، فى مفرداته و أسلوبه، المفردات القديمة التاريخية، لكن الأمر الذى يلقى علينا مسؤوليات جديدة هو فى أن نطور صيغ ذلك الخطاب، خاصة الخطاب الدينى الموجه للشباب، بحيث يرى فيه الشباب تطلعاتهم و آمالهم و يرى فيه الانسان، كل انسان، الخطاب الذى يلامس عقله و روحه و قلبه و حياته، طبعا أنا لا أقول: أن نسقط تحت تأثير مفاهيم و صيغ العصر الراهن المنحرفة و المبتذلة، لكن لا بد أن نعمل على أن نصوغ الخطاب الاسلامى

بأساليبه و مفرداته فى اطار الواقع الذى يعيشه الناس من أجل أن يستجيب لتطلعات المرحلة و الواقع. لأن المسألة هى أن نمتلك الارادة و الاصرار و المثابرة و الصبر على الدعوة فى خطها لايجابى و السلبى، فى أن نلاحق الناس لنثير اهتماماتهم بالدين من خلال من يمكن أن نقدمه من المفاهيم المضيئة و المشرقة للدين حتى يحاوروا فيه و يقتنعوا به فى نهاية المطاف، و علينا أن لا نتعقد من وجود مجتمع لا ـ ينفتح على النقد الايجابى فى وعيه لمسألة الدين، و لا ـ يتحرك نحو الدين و المسجد، و لا ـ يستمع الى موعظة الواعظين و نقد الناقدين لأن الله أمرنا أن نقول الحق من ربنا فى كل ساحاته (و من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر). ان نقد المجتمع لبعضه على المستوى الفردى، و نقد المجتمع لبعضه على المستوى الجماعى، أى القيام بمسؤولية الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، هو واجب و ضمانة حقيقية لسلامة المجتمع بكل آفاقه و مواقعه. انه النقد الذى يمكن أن يتحرك بالنظرة أو بالكلمة، من هنا يجعلنا النقد الواعى و البناء – فى هذا المجال – نكتشف واقعنا و واقع الآخرين، و ذلك بالوسائل [صفحه ۱۴۳] الحضارية التى أشار اليها الله تعالى فى قوله: (و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم) [فصلت: ۳۴]. و هنا نتساءل: كيف نمارس النقد؟! و ما هو النقد المرفوض و النقد المقبول؟.

النقد الذاتى المرفوض

اشارة

ينطلق النقد للآخرين من خلال الشعور العالى بالمسؤولية عن هذا الآخر، لا لنتصيد عيوبه، و نلتقط نقاط ضعفه لنستغلها و نبتزه من خلالها فيما بعد، ولكن نقوم بذلك النقد بقصد الاصلاح و البناء و التغيير نحو الأفضل، ان الاسلام يرفض هذا النمط من النقد فى العلاقة بين المؤمن و المؤمن، أى النقد من أجل أن تعير أو من أجل أن تعنف أو من أجل أن تسقط أخاك، لأنه نقد غيابى قائم على أساس اطلاع الآخرين على عيوب أخيك و حديثك عنها أمام الملأ، حيث أن الغيبة هى ذكرك أخاك بعيب مستور لا يرضى بكشفه و لا يقبل باظهاره، و العيوب الخفية هى المنطقة المحرمة التى لا يريد الاسلام لك أن تكشفها للآخرين (و لا يغتب بعضكم بعضا) [الحجرات: ۱۲].

النقد الذاتى الموضوعى المقبول

اشاره

و هو النقد الذى يبنى على التقوى فى طبيعة الاطلاع على خطأ معين فى فكر الآخر (المؤمن مثلا) أو اكتشاف عيب فى خلقه أو سلبية فى حركته، هنا يكون من الواجب عليك – كانسان رسالى تعيش عمق التقوى لله – أن تقبل على أخيك بالكلمة الطيبة و الحلوة وفق المبدأ القرآنى المعروف: (و قل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) [الاسراء: ۵۳] فلا تضغط عليه و لا ترهقه بالكلمة الثقيلة الحادة، قلها خفيفة على قلبه، قوية فى عقله، مؤثرة فى سلوكه و فعله، قلها سرا و لا تقلها علانية «من وعظ أخاه سرا فقد زانه من وعظه علانية أمام [صفحه ۱۴۴] الناس فقد شانه» [۲۳۲] عليك، اذا، أن تنقد أخاك من أجل أن تصلح أمره، و تحسن وضعه و حاله، لتنقله من مستوى الضيق الى مستوى الانفتاح و السعة. و هذا هو الخط الذى يريدنا الامام الكاظم عليه‌السلام أن نتحرك عليه، و هو أن الذى يهدى اليك عيبك الذى تعيش معه، فانه يفتح لك الطريق من خلال اكتشاف عيبك الذى لم تكتشفه أنت لتصلح نفسك و تقوم مسارك و حركتك، فتبقى بلا ـ عيب من خلال ذلك. على هذا الصعيد يجب أن يمتاز الانسان الناقد بميزة هامة كما يعبر عن ذلك الامام

الكاظم عليه‌السلام فى قوله: «أبلغ خيرا و قل خيرا و لا تكن أمعة، قلت: و ما الأمعة قال: لا تقل أنا مع الناس و أنا كواحد من الناس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قال: يا أيها الناس انما هما نجدان: نجد خير و نجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير» [۲۳۳] أى أنه لا داعى للانسان الناضج و الواثق بفكره أن يستعير ثقته من الآخرين، بل عليه أن يدرس نفسه، و يعرف رصيده، فى علمه و فقهه و وعيه و مواقفه، و بمعنى مماثل يجب على الانسان الذى يعيش فى مجتمع الأسرة أو القرية أو المدينة- عندما ينطلق فى عملية الابلاغ و النقد - عليه ألا يسقط تحت تأثير مفاهيم و قيم المجتمع، من دون دراستها و عرضها على محكمة العقل و التفكير السليم. هل هى مفاهيم خيرة بذاتها أم شريرة؟ هل تنسجم مع الخط الاسلامى أم لا؟. فالكثير من الناس يحبون دائما أن يعيشوا تحت ظل تراثهم المحيط بهم، و يلازموا مفاهيم عوائلهم و عشائرهم و قراهم و الناس من حولهم، من هنا جاءت كلمة الكاظم عليه‌السلام: «أبلغ خيرا»، عندما تريد أن تتحدث، أو تبلغ أو تنقد، تحدث بالخير «و قل خيرا» ليكن كلامك و ابلاغك فى الخير «و لا تكن أمعة» و الأمعة هو الذى يسأل عن رأيه فى أية قضية من القضايا، فيقول: أنا مع الناس، و الامام عليه‌السلام ينهى هنا عن أن يكون الانسان من دون شخصية و موقف، لأنه لايريد للانسان المسلم أن يسقط مواقفه، فكما للناس الآخرين عقل، فله عقل، و كما لهم موازينهم فله موازينه، و كما أن لديهم طرقهم فى ممارسة النقد و محاسبة [صفحه ۱۴۵] النفس، فهو أيضا له طرقه و أساليبه فى هذا المجال لأنه يتحمل مسؤولية كلمته و موقفه و نقده فى الدنيا و الآخرة، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «انما هما نجدان، نجد خير و نجد شر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير». فالحياة طريقان: اما خير أو شر، و لذا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم الانسان المسلم بأن يفكر فى الخير - حتى فى تحمله لمسؤولية النقد - فى الموقف العقيدى و الشرعى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى و الأمنى - و فكر، أيها المسلم، بالخير فاتبعه حتى و لو وقف الناس كلهم ضدك لأنك عندما تتحمل مسؤولية وجودك و انتمائك، فانك تتحمل مسؤولية مواقفك و قراراتك و خياراتك التى سيحاسبك عنها الله تعالى فى يوم القيامة فى كل كلمة نقدية قلتها، و كل موقف ناقد اتخذته، (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) [النحل: ۱۱].

تساؤل و استنتاج نقدى

كيف يمكن أن تمارس الحركة الاسلامية المعاصرة عملية النقد الذاتى الحضارى؟!. دخلت الحركة الاسلامية المعاصرة - فى بداية عقد التسعينات - فى مرحلة جديدة على صعيد مكوناتها الذاتية و الموضوعية، و ممارساتها الحركية فى ميدان الواقع فى عصر شهد تحولات و تغيرات سياسية و فكرية ذات تعابير و خصوصيات دقيقة و متنوعة. شكلت، بمجملها، مفصلا هاما فى واقع العالم الحديث الذى يعبر، حاليا منعطفا تارخيا جديدا فى مسيرة حركة التقدم البشرى [۲۳۴] . [صفحه ۱۴۶] و كانت فترة الثمانيات قد شهدت تحقيق بعض المكاسب و الانتصارات لمسيرة العمل الاسلامى و فى مقدمة تلك التحولات و المكاسب وصول الحركة الاسلامية الى الحكم السياسى فى ايران، و دخول الحركة الاسلامية فى لبنان فى حرب مواجهة عسكرية و أمنية حقيقية ضد الكيان الصهيونى، و تقدم [۲۳۵] الجهاد الاسلامى فى أفغانستان، و تطور مستوى الكفاح و النضال عند الاسلاميين فى بعض مواقع العمل فى الوطن العربى و الاسلامى، و تنامى الصحوة الاسلامية التى كانت علامة فارقة على تسييس الشارع الاسلامى، و يجب ألا ننسى، فى هذا المجال، الحدث الانتفاضى الكبير - اذا صح التعبير - الذى تمثل بالانتفاضة الشعبية العارمة فى الضفة و القطاع فى الأرض المحتلة و التى كان لها أعمق الأثر على طبيعة موازين حركة الواقع العربى و الاسلامى. ازاء كل هذه التحولات السريعة على مستوى العمل الحركى الاسلامى العالمى يمكن أن نتساءل: الى أى مدى نجحت الحركة الاسلامية فى وعى الواقع و استيعاب الأحداث و مراجعة الخيارات و الحسابات المطروحة أمامها؟ و الى أين وصلت تنظيراتها الفكرية و السياسية، و كيف تخطط للعقد القادم الملىء بالأحداث و المفاجآت؟ بمعنى آخر: كيف تنظر هذه الحركة، من خلال سياساتها و استراتيجياتها، الى مواقع العمل و الدعوة العالمية الراهنة؟ هل [

صفحه ۱۴۷] عملت، تلك الحركة، على دراسة تجربتها و تجارب الحركات الأخرى السابقة؟ أين هى الايجابيات و مواقع الاشراق؟ و بالمقابل أين هى السلبيات و مواقع الظلمة؟ و لعل السؤال الأخطر بين كل تلك الأسئلة هو: ما هو موقع النقد و النقد الذاتى و محاسبة النفس و الذات الاسلامية - اذا صح التعبير - من أفكار و مبادىء الحركة الاسلامية المعاصرة؟!. خلال الفترة الماضية، تفاعلت الحركة الاسلامية بصورة مباشرة، مع الواقع اليومى و مارست فيه نشاطات و فعاليات مختلفة و انخرطت، بشكل أو بآخر، فى اطار تطورات الواقع السياسية و الاجتماعية حتى باتت طرفا فاعلا و مؤثرا فى بنيته و مكوناته و مجرياته و أحداثه؛ الأمر الذى جعل أفكار و نظريات الاسلاميين أكثر احتكاكا و تواصلا و قربا من مجريات التطبيق الواقعى، و بالتالى أصبح بالامكان انضاج «و تشذيب» تلك المبادىء و الطروحات، خاصة بعد أن تعاظمت تحديات و متغيرات العصر الراهن. اننا نستطيع أن نقول - بعد النظر الى مسيرة الاسلامية المستنيرة حاليا -: ان عقلها الاسلامى قد أصبح أكثر وعيا و انفتاحا واتساعا، حتى أنه قد أنضج مفهوم النقد و النقد الذاتى، و ان كان ذلك الأمر لايزال، على مستوى السلوك و الممارسة، بحاجة ماسة الى ترشيد موضوعى سياسى و اجتماعى و أخلاقى. اننا نعتقد أن المرحلة الحاضرة هى فى أشد الحاجة الى بناء عملية النقد و النقد الذاتى بطريقة حضارية تتسع للجميع، و فى الوقت نفسه هى بحاجة أيضا - و كما ذكرنا - الى توعية و ترشيد سلوكى منظم فى تكوين ممارسة نقدية فاعلة و قادرة على الاستجابة لتحديات الحضارة الحديثة. فالأولى الآن نقد الذات، أى نقد الفكر و نقد النقد، كرهان ايجابى للخروج من المأزق الذى نعيشه راهنا، و لا حاجة بنا الى التكرار بأن النقد ليس مجرد دحض للمقولات القائمة، أو اضفاء لبعض المفاهيم السائدة، أو تفكيك الآليات المعرفية الاسلامية القائمة أو اضفاء و نقد محدداتها العامة، و لا هو اقصاء للرموز و الأسماء و الشخصيات بالعكس: ان النقد هو البحث و التقصى الدائب عن امكانات و فضاءات عامة [صفحه ۱۴۸] للتغيير و الحركة، انه محاولة توليد امكانات جديدة للقول و الممارسة و العمل. بالدخول الى كل ما يخرج عن نطاق التفكير من المناطق المجهولة المستبعدة أو المطموسة فى ذاكرتنا و وعينا و حتى فى حضارتنا اننا نحتاج، من خلال النقد، الى اعادة صياغة حضارية لعلاقتنا مع الوجود و العالم عبر قراءة الواقع و تشخيصه و خلق لغة فعالة تنتج تصورات و مفاهيم عملية جديدة يمكن أن تساهم فى تشخيص الواقع و اجتراح القدرات أو ابتكار الحول و فتح الآفاق المسدودة، من هنا تكون احدى أهم وظائف و مهام المثقف الناقد و المراجع انخراطه النوعى الفعال فى الزمن الحاضر [۲۳۶] ، بحثا و استقصاء عن مواقع جديدة للتأثير فى طبيعة الأحداث الراهنة فى تغيير بعض معالم الفكر السائد، و ذلك لاعادة تنظيم و رسم خارطة القوة و علاقات السيطرة الموجودة، و المشكلة الكبرى التى تقف أمام تقدم هذا العمل هو عدم الجمع بين الأصول العقيدية الاسلامية و العلوم الاجتماعية، أى ربط العقيدة بواقع المجتمع و الحياة المعاصرة من أجل احداث تلك التغييرات الكمية و الكيفية التى تتوقف على وجود رؤية فكرية واضحة المعالم لتحقيق المثل الأعلى، فمثلا التوحيد - كأصل عقيدى - ينطوى على الايمان بالله تعالى كهدف أعلى و نموذج أرقى للمسيرة الحضارية و التكاملية البشرية، أما الرؤية الاجتماعية للعبد التوحيدى فانها توحد و تماهى بين العقيدة التوحيدية، و دافع الحياة الفردى و الاجتماعى، بين المثل و الطموح و الهدف، و بين التطلعات البشرية، و تجعلها تحت ظل هذا [صفحه ۱۴۹] المثل الأعلى الذى هو علم و قدرة كله، عدل و رحمة كله، و انتقام من الجبارين كلهم. ان عقيدة التوحيد تقدم لنا المثل الأعلى (الله تعالى) الذى تتوحد فيه كل الغايات و الطموحات، بينما الرؤية أو النظرة التطبيقية الاجتماعية لعقيدة التوحيد تعلمنا أن نتعامل مع صفات الله، و أخلاق الله، لا بوصفها حقائق عينية منفصلة عنا، كما تعامل معها فلاسفة الاغريق [۲۳۷] ، و انما نتعامل مع هذه الصفات و الأخلاق بوصفها رائدا عمليا و هدفا لمسيرتنا العملية، و بوصفها مؤشرات على الطريق الطويل للانسان نحو الله سبحانه و تعالى: (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) [الانشقاق: ۶]. و هكذا بالنسبة لبقية الأصول العقائدية الاسلامية التى يجب أن نقيم، من خلال فهمنا لها و للأصول الاجتماعية الأخرى، ارتباطا عمليا بين عقائد التوحيد من جهة و بين ما يترتب عليها من التزامات و تعهدات و اجراءات عملية على أرض الواقع، على هيئة استعدادات و تهيئات مسبقة من جهة أخرى، بناء على ذلك نجد ضرورة قصوى فى أن ينصب النقد [۲۳۸] حاليا على الجوانب الحضارية فى الحركة الاسلامية المعاصرة خاصة الجوانب التى ذكرناها آنفا، و هو - فى الواقع

- تحد كبير يهدف، أساسا، الى ايضاح و ابراز - و من ثم نقد - معالم المشروع و المركب الحضارى الاسلامى الذى يعبر عن مضمون حضارة الاسلام و رؤيتها الكونية فى الحياة و الوجود و الانسان و الواقع الراهن كتجل لروح الاسلام و عقيدته التوحيدية بصورة قانونية و تشريعية فعالة فى كافة أوصال و أبعاد و اتجاهات الحياة و المجتمع السياسية و الفكرية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية و التربوية، و يبقى السؤال المطروح فى ظل الوقائع و الظروف العامة الحافلة [صفحه ۱۵۰] بالكثير من المتناقضات هل ننجح أم نفشل؟! نقول فى اجابتنا كخلاصة عامة لما تقدم: ان الحركة الاسلامية التى تمر اليوم بهذه التحولات و التقلبات الكثيرة ذات المعالم و السمات الكونية، هى بأمس الحاجة الى صياغة ذاتها و تحسين و ضعها الحضارى بين الأمم و الحضارات الأخرى، و ذلك على أسس و خصائص جديدة تطور من مشروعها و من وعيها لأبنيتها الداخلية فى علاقتها مع نفسها و مع الآخر فى الاتجاه الواقعى الحضارى، و لعل من أهم وسائل تحقيق ذلك: التزام النقد و المحاسبة الحضارية المنتجة و الفاعلة التى لها دور حاسم فى تغيير طريقة تفكير البشر و الارتفاع بنوعية ممارساتهم العقلية، أى بوعيهم، و بالتالى فى تحسين قدرتهم (تنمية ارادتهم) على المبادرة التاريخية و الارتفاع بمستوى سلوكهم العملى الفردى و الجماعى، و أى مسعى للخروج من الأزمة الحالية (بما فيها أزمة عدم وجود نقد موضوعى هادف) لا بد و أن يبدأ باصلاح واقعنا السياسى، و نظرتنا الى السياسة بحد ذاتها، أى بتطوير الممارسة الجماعية و توفير فرص المبادرة و المساهمة المشتركة لجميع الناس فى المشروع الكبير لاعادة اكتشاف الانسان فى ثقافتنا الدينية و الدنيوية الحضارية و من ورائه اعادة انتاج و اختراع الحداثة. حداثة الانسان و الحداثة المؤنسنة، و جوهر الجهد فى اصلاح السياسة لا يكمن فى الغاء أى عقيدة أو الدعوة الى تأويل أى نص دينى مقدس أو مدنى (بالمعطى السلبى) ولكن فى تغيير و تجديد قواعد التعامل بين مختلف الأطراف و السلطات الفردية و الجمعية الدينية و المدنية، أى فى تغيير شروط الممارسة الفكرية و العملية داخل النظام الاجتماعى، فهو الذى يسمح بتغيير التوازنات بين القوى و العناصر و التيارات و الرؤى المختلفة، و يساعد على نمو الأفكار و القيم و السلوكيات الجديدة، (خاصة النقدية منها).

العلم و المعرفة

يقول الامام الكاظم عليه‌السلام: «يا هشام، تعلم من العلم ما جهلت، و علم الجاهل مما علمت، عظم العالم لعلمه و دع منازعته، و صغر الجاهل لجهله و لا [صفحه ۱۵۱] تطرده ولكن قربه و علمه» [۲۳۹] ، و يقول عليه‌السلام: «وجدت علم الناس قد اجتمع فى أربع: أن تعرف ربك، و أن تعرف ما صنع بك فى آياته (سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم)، [فصلت: ۵۳]، و أن تعرف دينك، و أن تعرف ما يخرجك من دينك» [۲۴۰] لا شك بأن العلم من المقومات الحضارية الرفيعة المستوى، و هو لا يقل فى أهميته وجوهريته، بالنسبة الى الحضارة الانسانية، عن القيم الدينية و الأخلاقية. خاصة و أننا نعيش فى عصر لا يملك فيه الانسان - عندما يريد أن يفتح آفاقا واسعة الى فكره و التزاماته العملية - الا أن يكون عالما بلغة عصره فى السياسة و الثقافة و الاجتماع و الاقتصاد و الأمن و ما الى ذلك، بمعنى أنه لا بد للانسان أن يسعى لنيل درجات العلم و المعرفة فى شتى مجالات الحياة، و أن يطلع على حركة الفكر فى عصره و على اتجاهات الواقع فى كل شؤونه و شجونه السياسية و العملية لأن فهم لغة العصر هو شرط أساسى للدخول اليه و محاورة أهله، فعندما يكون علمك و فكرك علم و فكر الناس الذين كانوا يعيشون قبل مئات السنين فأنت من جيل مضى و رحل لا تستطيع أن تحاوره الآن، لأنه مات و انقضى، أما الجيل الذى يعيش معك و يعاصر قضايا الحياة فى تنوعاتها و امتدادتها المختلفة، و أنت لم تعش فكره و لا تطلعاته و لا اتجاهات العلم فيه، فكيف يمكن أن تتفاهم معه و تدعوه الى فكرك و قناعاتك؟! لذلك عليك أن تتعلم و تعرف - و أنت ابن العصر الحاضر - كل القوى و الاتجاهات التى تحاول أن تتحدى دينك فكرا و شريعة و منهجا و حركة. على ضوء ذلك يؤكد الدين الاسلامى على المعرفة و العلم كقيمة أساسية فى الحياة [۲۴۱] تدفع الانسان اليها و تحمل الانسان المسؤولية من خلالها، و تجعل الانسان يعيش فى نفسه الشعور بأن الجهل لا يمثل عذرا للجاهل عندما يدفعه الجهل الى السير فى

المواقع التى تنحرف به عن خط المسؤولية الا اذا كان [صفحه ۱۵۲] الجهل مشكلة واقعية تنطلق من خلال العناصر التى تطوقه من كل جانب فتمنعه من أن يجد أية نافذة تطل به على العلم [۲۴۲] ، و بذلك يعتبر الاسلام العلم مسؤولية الانسان الجاهل الذى عليه أن يتعلم فى كل ما أوكل اليه من المسؤوليات فى المستوى الخاص و فى المستوى العام، و هذا ما يشير اليه حديث الامام الكاظم الذى أوردناه فى بداية حديثنا عن مسألة العلم، فى قوله عليه‌السلام: «تعلم من العلم ما جهلت و علم الجاهل مما علمت». و هكذا نجد - كما يؤكد الكاظم عليه‌السلام - أن العلم مسؤولية العالم فى أن يعلم الآخرين، تماما كما هى مسؤولية الجاهل فى أن يتعلم لأن الجميع مسؤول عن التخطيط و العمل الدؤوب لبناء واقع الحياة الحضارية وفق مفاهيم و تصورات الاسلام، لذلك يجب أن ننطلق من موقع العلم فى نظرتنا الى أى مجال من مجالات الحياة و الوجود فى حركة مسؤوليتنا تجاه هذه الحياة، و من أجل أن نبنى حضارتنا على أساس العلم من حيث ما يمثله العلم من مسؤولية شاملة تنطلق بالانسان من معرفته لنفسه و معرفته لما حوله و معرفته لربه و معرفته لمسؤوليته عن كل مواقع الحياة، مما يجعل العلم يتحرك فى كل جانب من جوانب الحياة التى يطل عليها الاسلام بحيث لا يرضى (الاسلام) لأى جانب من جوانب الحياة - ذاتيا على صعيد الفرد و موضوعيا على صعيد المجتمع و الأمة - أن يبقى غامضا فى نطاق الجهل فمسؤولية الانسان هى أن يفتح كل النوافذ على حضارة المعرفة و أن يستنفر كل طاقاته و قدراته من أجل المعرفة و العلم لتكون المعادلة: ان معنى أن تكون انسانا، أن تكون عالما، و معنى أن تكون مؤمنا أن تكون متحركا فى آفاق العلم، و معنى أن تكون مسؤولا أن تكون الانسان الذى يفتش عن المعرفة فى كل موقع من مواقع المسؤولية فى اطار بحثه للمنهج العلمى الرصين الذى يحكم حركته، و يخطط لكيفية الاستفادة من مساحات العمل و الابداع فيه، و الاسلام يؤكد - فى مقابل المنهج العلمى فى حركة التفكير [صفحه ۱۵۳] و العلم [۲۴۳] - على ضرورة اعتماد المنهج العقلى أيضا كأساس أولى للمعرفة، الذى يمكن أن يفتح أمام العلم و التجربة الكثير من الآفاق التى تطلق التجربة المحدودة فى نطاق الحس الى نظرية شاملة عامة تتجاوز مواقعها لتحرك الفكرة من الخاص الى العام. لقد فتح المنهج العلمى و العقلى فى الاسلام طرقا و سبلا لا حصر لها أمام الحضارة الاسلامية فاستطاعت، من خلال ذلك، أن تشارك فى صنع العلم و ابداع النظريات العلمية و تطبيقاتها التقانية منذ بداية نشوئها، حيث تعهدت الدولة الاسلامية و أجهزتها الرسمية آنذاك - و بتشجيع من المجتمع ودعم من هيئاته كافة - العلماء بالرعاية و أنشأت لهم دور العلم الكبرى. الى ذلك، فاننا نتساءل - فى هذا المجال -: اذا كان هذا هو حال العلم و العلماء فى عصر الحضارة الاسلامية الكبرى، فما هى الأسباب التى أدت الى توقف هذا الابداع العلمى؟ من الطبيعى أن نقول - فى اجابتنا - بأن هناك أسبابا سياسية و اقتصادية و اجتماعية [۲۴۴] و كذلك [صفحه ۱۵۴] فكرية [۲۴۵] ، لكننا نجد أن السبب الأساسى - فيما يبدو و يظهر من خلال متابعتنا و استقرائنا لحركة الواقع العلمى التاريخى عند العرب و المسلمين - لكل هذا التخلف العلمى الذى نعيشه حاليا، قد ارتبط منذ ذلك العهد بابتعادنا عن الاجتهاد فى فهم حركة الدين الذى يشكل أحد القوى الدافعة و المحركة للابداع فى عالمنا الاسلامى، حيث أدى اغلاق باب الاجتهاد الى ضعف و انحطاط علمى و فكرى كبيرين ما جعل العلماء، فى بقية التخصصات، تتخاذل عن البحث و العمل، اذ أن ازدهار علوم العقل كل لا يتجزأ، فالتخلف عن ركب التقدم العلمى فى أى علم من العلوم دينية كانت أو رياضية أو طبيعية أو اجتماعية أو انسانية يشير الى اختلال منظومة التقدم الحضارى ككل، و ليس أدل على صحة ما نقول الا النظر فى تاريخ الحضارات قديمها و حديثها، فسنجد أن مظاهر التقدم تتكامل كلها حينما تتوافر لها البيئة و المناخ الملائمان [۲۴۶] لعل من أهمها - كما ذكرنا - ضرورة توفير المناخ السياسى الملائم للابداع و الحداثة العلمية و الاقتصادية، باطلاق حريات الأفراد و توفير امكانيات المشاركة الفعلية أمامهم، سواء كانوا من العلماء النظريين أو من الفنيين، أو من العمال، أو من [صفحه ۱۵۵] المتلقين و عامة الشعب، فملاحم التقدم فى تاريخ البشرية ترتبط حلقاتها و تتسع لجهود الجميع، حكاما و محكومين، فى مناخ من المساواة و الحرية و الأمان الجماعى و الحس الوطنى الواعى [۲۴۷] و لعلنا نجد أن تخلفنا و اعاقة تقدمنا و تطورنا فى ابداع و صنع حداثتنا، يعود - بالدرجة الأولى - الى و هن استراتيجيات التحديث، و عدم فاعليتها، و عدم اتساقها، لأن الأصل فى التطور و الحداثة بناء استراتيجية حقيقية لتعظيم الاستثمارات العلمية و العملية الجدية فى

كل ميدان: تكوين رأس المال الاقتصادى و العلمى و التقنى و الفكرى و الروحى، و تحرير الشعوب و الجماعات و الأمة من الخوف و الاستلاب و الجمود و الضعة و الأمعية و الاقتداء و الاستزلام و المحسوبية و الشعور بالصغار و الدونية. و من أجل ذلك، و فى سبيله، توسيع دائرة فعل هذا الاستثمار و ضمان استمراره و نجاعته، و كل ذلك يتناقض مع ما شهدناه من ممارسات و سياسات مطبقة من قبل النخب الضعيفة التى سيطرت على مقاليد الأمور و حولت الاستثمار (العلمى و الاقتصادى) الى مراكمة للثروة الشخصية، و بناء الجماعة الحية الى تجديد لعلاقات العبودية و السخرة، و تكوين رأس المال العلمى و التقنى الى دعايات فظة لعقائد و شعارات هزيلة جوهرها تقديس الذات و عبادة الحاكم، و تحقيق الاندماج الاقليمى العربى الضرورى الى استهلاك ممجوج لعقيدة قومية مخشبة توظف لترسيخ القطيعة بين البلدان بدل تشجيعها على الانفتاح على بعضها [۲۴۸] .

الرفق و اللين

اشاره

يقول الكاظم عليه‌السلام: «عليك بالرفق، فان الرفق يمن و الخرق شؤم، ان الرفق و البر و حسن الخلق يعمر الديار و يزيد فى الرزق» [۲۴۹] و يقول عليه‌السلام لبعض أصحابه و قد دار بين أحد الرجال و بين أشخاص آخرين نزاع عنف فيه هذا [صفحه ۱۵۶] الرجل، فقال عليه‌السلام: (فارفق بهم، فان كفر أحدهم فى غضبه، و لا خير فيمن كان كفره فى غضبه) [۲۵۰] ، و قال عليه‌السلام «الرفق نصف العيش» [۲۵۱] . يعتبر مفهوم الرفق من المفاهيم الأخلاقية الحركية التى تنفتح على الجانبين الايجابى و السلبى، و لأكثر من موقع و رؤية فى حياة الانسان و المجتمع فى خط الدعوة بأسلوبها العملى و فى مواجهة المشاكل و التعقيدات التى تحدث بين الناس، و نلاحظ أن الكاظم عليه‌السلام يحدثنا عن الرفق كقيمة اسلامية رائعة يمكن أن تجعل الانسان قريبا الى الله و الى الناس من خلال وعيه و التزامه بالمبادىء التى توصله الى الكمال الممكن له، لأن الرفق اذا كان ملكة راسخة فى عقلك و قلبك، و حركة واعية فى حياتك و أسلوبك مع الآخرين، فانه يعطيك الخير كله و السعادة كلها فى الدنيا و الآخرة و على ضوء ذلك، نجد أن مسألة الرفق و العنف لدى الامام الكاظم عليه‌السلام من المسائل التى تتسع لطريقة الانسان فى تكامله الاجتماعى مع الناس الآخرين فى توعيته لهم ثقافيا و اجتماعيا، كما نلحظ ذلك فى قوله «فارفق بهم»، أى أن تعمل على أساس أن تدرس عقليتهم و وعيهم فتعطيهم من عقلك بما يتناسب مع وعى عقلهم، و أن تدرك ثقافتهم فتعطيهم من ثقافتك الأسلوب الذى يمكنه أن يستوعب هذه الثقافة، فلا تفقد نفسك أمامهم، و لا تفقد مستواك معهم، ولكن حاول أن تتعامل معهم تعامل الانسان الذى يريد أن يصعد بالانسان الآخر الى مستواه برفق و أناة و عطف و حنان. فكلمه «الرفق» هنا تختزن فى داخلها معنى هذا العطف الذى ينفتح فيه انسان على انسان ليفهمه ويعيه و يؤصل معه علاقات الانسانية فى التعامل و الصحبة و المعيشة. و طالما أننا نتحدث عن الرفق بمعناه الاجتماعى، فاننا نجد ضرورة فى التطرق الى قضية الرفق و العنف بالمعنى السياسى و الحركى فى اطار الواقع العالمى الراهن، الذى يعمل فيه الاستكبار العالمى على محاصرة الاسلام و الحركات الاسلامية و تشويه صورتها، بأنها مجرد حركات دموية تستخدم [صفحه ۱۵۷] العنف و القوة من أجل الوصول الى مصالحها و تحقيق غاياتها الخاصة، كذلك الايحاء بأن العنف هو الوسيلة الوحيدة فى حركيتها السياسية، كخصوصية مميزة لنشاط الاسلاميين. و كان العنوان الجديد الذى حاول الاعلام الاستكبارى الداخلى و الخارجى تحريكه ضد الاسلاميين هو عنوان «الأصولية»، كمفهوم يختزن فى مضمونه الداخلى فكرة العنف و الغاء الآخر، و ذلك من خلال التجربة السياسية و الفكرية و التاريخية الغربية التى عاش فيها بعض الناس هذا الاتجاه، و من هنا انطلقت كلمات «التعصب» و «التطرف» و «الارهاب» فى أجواء العنوان الأصولى لتلتصق به، و هو يوحى بذلك بأسلوب أو بآخر، لستهلكها الجو السياسى و الاعلامى الداخلى و الخارجى كمصطلحات سياسية يؤكدها (و يغذيها) الصراع بين الأنظمة و الاسلاميين. و تنسب [۲۵۲] اليهم الكثير من الأعمال البعيدة عن التوازن الأخلاقى،

كما لو كانوا وحوشا تتحرك ضد الثقافة و العلم و المجتمع فى عملية حقد دفين ثائر على كل عناصر التقدم و الرقى و الابداع و النظام المدنى الانسانى العام، و يتم ذلك فى غياب الامكانات الاعلامية الواسعة لدى حركة الاسلاميين بالمستوى الذى تتولى فيه الدفاع عن الواقع الـذى تعيش فيه دائرة الصـراع، الأمر الذى جعل الأنظمة و حلفاءها الأوليين يمارسون القمع الأمنى و الاعلامى و السياسـى ضـد الحركـة الاسـلامية هنـا و هنـاك فى نعتها بالارهاب [۲۵۳] و قتـل الأبريـاء و الاعتـداء على [صـفحه ۱۵۸] الناس، و هـذه هى مشـكلة الغربيين فى ادارتهم السياسـية أنهم يعتبرون طـالب الحريـة ارهابيـا فيعتبرون مثلاـ المجاهـدين فى جنوب لبنـان الـذين يقـاتلون جيش الاحتلال الاسـرائيلى، ارهابيين (مخربين) كما و يعتبرون الـذين يـدافعون عن أنفسـهم ضـد عنف المسـتكبرين و الظالمين ارهابيين اننا نؤكـد – فى اطار تحليلنا لمفهوم الرفق و العنف فى المعيار القيمى الاسـلامى – أن اللين و الرفق هو القيمة الاسـلامية الأعلى من العنف لأنه هو الأصل فى مواجهة المشاكل فى اتجاه الحل، اضافة الى كونه الأسـلوب العملى الناجح فى المجال السياسـى فى تحويل الأعداء الى أصدقاء، و ذلك من خلال الآية الشـريفة: (و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم و مـا يلقاهـا الا الـذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم) [فصـلت/ ۳۵ –۳۴]، و كما جاء الحديث الشـريف: «ان الله رفيق يحب الرفق و يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» لكن العنف – حسب ما نعتقد – أسلوب اضطرارى و استثنائى، و قد يتحول فى ظروف معينـة الى أسـلوب طبيعى، تفرضه طبيعـة الحياة فى صـراعاتها و مشاكلها و تحـدياتها، التى تلقى عليك بثقلها بالمسـتوى الذى يلغى وجـودك أو يسـقط قضـيتك، أو يصـادر حريتـك بالكامـل من دون أن يفسـح لـك المجـال فى التماسـك لتفكر، أو لتتوازن، لتناقش أو لتحاور، فلا يبقى أمامك الا أن تقوم بعملية وقائية لتربك وضعه، و لتهز مواقعه، و تسقط خططه، أو عملية دفاعية تحفظ بها موقعـك و موقفـك، و تملك بها قرارك، و هـذا أمر لا يختص بالاسـلاميين فقط، بل يؤمن به كل الناس الـذين يملكون بعض مواقع القوة فى الحياة. ان العنف مرفوض، كقيمـة طبيعيـة، لكنه مقبول بل [صـفحه ۱۵۹] و مطلوب كمبـدأ اسـتثنائى. من هنا نجد أهمية أن تعى الحركة السياسـية الاسـلامية – فى سـلوكها الاسلامى – و سائل تركيز و تأصيل المنطق الحضارى الاسلامى فى أساليبه و أهدافه و منـاهجه و علاقـاته، فيلين حيث تحتـاج الوقـائع الى لين، و يعنف حين تقتضـى الحالـة العنف، و يقيم علاقـاته – سـلبا أو ايجابـا – على أساس المصـلحة الاسـلامية العليا فى حركة الانسان فى الواقع، من خلال الدراسة الدقيقة التى تفرض على السلوك الاسلامى أن يقطع أو يصل، على ضوء الحـدود التى ينبغى الوقوف عندها أو تجاوزها، و يثير المسألة ما بين الحسم و المراوحة و المرونة و الرفق و الحدة تبعا للظروف الموضوعيـة التى تحيط به فيما هى طبيعة الأشـخاص و الأزمنة و الأمكنة. و الملاحظ، ضـمن هذا النسق، أن الحديث عن مسألة السـلام، و مسألة القوة و العنف كشىء لا ينسجم مع الحياة و لا يلتقى بوجودنا فيها قد زاد فى الآونة الأخيرة خاصة بعد أن دخلنا أو أدخلنا فى جو التعب و السكون و الاسترخاء، حيث ظهرت على السطح الاعلامى هنا و هناك مفردات و صيغ كلامية من قبيل اللين أو التسامـح و التساهل و المحبـة و الرفق أطلقوها فى دائرة المطلق من فكرهم و واقعهم، اننا نقول لهؤلاء و لغيرهم – ممن حرك تلك المفردات أو تحرك فى هـذا الجو بوحى ذاتى أو خـارجى –: ان العنف و القوة أو اللين و الرفق هى قيم و أشـياء ذاتيـة لاـ تلون الحياة بلونها الخاص و لا تصـبغها بصـبغتها المطلقة، لذلك عندما يكون العنف هو الوسـيلة الوحيدة لحماية الحياة و القيم، فهل يكون العنف شيئا ضـد الحياة و ضد القيم؟! و بمقابل ذلك عندما يكون الرفق فى حركة الحياة سـقوطا للحياة و رهنا للقيمة، هل نوافق على سـقوط الحياة و القيمة معا؟!. و لمزيد من الايضاح نطرح الأسئلة التالية: ترى ما الذى يفعله الانسان الفرد، أو الجماعة، أو المجتمع السياسى (و الدولة) اذا هوجم من قبل قوة مسـلحة معتدية من قبل دولة أو جماعة أخرى انتهكت حرمة أراضيه و عرضت حياته أو حريته أو أمواله أو كرامته للعدوان و السـيطرة؟ ما الذى يفعله المجتمع [صفحه ۱۶۰] السياسـى و الدولة (مثل دولنا العربية الاسلامية) أمام دولة أخرى معتديـة على أراضـيه، مدججة بالسـلاح، تدعى التفوق العنصـرى و تريد أن تفرض ارادتها و سـلطتها و وصايتها و تهيمن على شـعوب المنطقة بأكملها من خلال مشاريعها العسكرية الأمنية و السياسية و الاقتصادية، هل يدافع هذا الانسان أو الجماعة أو المجتمع أو الدولة عن نفسـها ضـد المعتـدى الغازى، أو تستسـلم و تخضع و ترهن وعيها و ارادتها، و تسـلم اليه مقاليد أمورها معترفة بدعواه تحت شـعار

«حب السلام و الرفق و رفض و الحرب و استخدام القوة» فهل يكون هذا الموقف حكيما و نبيلا- و أخلاقيا؟ أو ما هى هذه القيمة الأخلاقية لهكذا سلام ان صحت تسميته سلاما؟ و اذا ما انطلقت الأمة أو المجتمع للدفاع عن نفسه و محاربة المعتدين عليه و الغازين لوجوده، فهل يكون قد قام بعمل غير أخلاقى؟ هل يكون دفاعه عن نفسه - من الناحية الأخلاقية - عملا شريرا و رذيلة ينبغى أن ينزه الانسان نفسه عنها؟ ما هى القيمة الأخلاقية لوضعية تلغى الكرامة الانسانية و تحول الانسان الى عبد ذليل، و تحول الأمة الى مجرد أمة مستعبدة و مهانة؟!. لقد أردنا، من خلال كل تلك التساؤلات، أن نعمل على فتح آفاق و معالم جديدة لمسألة العنف و اللين أو الحرب و السلم، و نحاول اضاءتها من جميع جوانبها فى الوقت الذى يعمل فيه اعلامنا العربى و الاسلامى - المنفعل بالاعلام الغربى و الصهيونى - على استخدام مصطلحات سياسية و أمنية و ترويجها فى أخباره و برامجه المختلفة تعكس، من خلالها، حركية القيم الأخلاقية فى مسألة العنف و القوة ورد العدوان بطريقة سلبية توسس لمفاهيم و تصورات جديدة فى حركة الواقع ليكون الاستسلام هو القيمة الأخلاقية المطلوبة و المرغوبة، و الحرب و العنف هو القيمة غير الأخلاقية المرفوضة، لذلك علينا ألا ننفعل بالاعلام، و أن ننهزم أمام الضراوة الشديدة للماكينة الاعلامية الغربية، التى تحاول أن تركز فى واقعنا بعض المصطلحات من أجل أن تحاربنا بها و لتمنع الناس، من خلالها، أن يكون لهم حريتهم، من أجل أن يكون لهم استقلالهم و ليحركوا طاقاتهم و ثرواتهم فى خدمة مستقبلهم و رخائهم و حياتهم. طبعا لا- نريد القول بأن علينا أن نغيب فى الفراغ و نضيع فى التجريد [صفحه ۱۶۱] و نستغرق فى الخيال و الأحلام، لنعيش بعيدا عن الواقع، ولكننى أريد أن أقول: بأنه علينا فى كل شعار من الشعارات - أن نكون الواعين جيدا و المتيقظين جيدا، و المتابعين جيدا، لأن المسألة هى أننا اذا لم نفهم جيدا عمق قضايانا، و لم نفهم جيدا طبيعة المستقبل الذى نفكر فيه و نحلم به، فاننا قد نواجه مشكلة أننا نتحرك نحو الهزيمة بارادتنا و اختيارنا، من حيث انه يخيل الينا و كأننا نتحرك نحو النصر الحتمى، من هنا نؤكد و نصر على أن القوة و العنف الذى نستخدمه فى حركية المواجهة المتصاعدة مع أعدائنا - خاصة الكيان الصهيونى - هو خيار استراتيجى، لا بديل له، ضد المحتل الغازى المستبد حتى يزول احتلاله للأرض و اغتياله للشعب. ان رد العدوان ليس حقا للمعتدى عليه، و انما هو واجب مقدس، يتمتع بأعلى المميزات الأخلاقية، و التخلى عنه هو انحطاط فى القيمة الانسانية و هو عمل غير أخلاقى، من هنا نحن نعتبر أن استخدام القوة و العنف و بالتالى شن الحروب (التى هى بذاتها ظاهرة شريرة و أليمة و مفجعة) هو عمل أخلاقى و قيمة أخلاقية، (بل و ضرورة أخلاقية) عليا، عندما يستهدف بلوغ غايات نبيلة و خيرة و سامية فى الدفاع عن الأرض و الوجود و الهوية و الثروة و الكرامات و الحريات، و دحر كيد المعتدين و الغازين. ان الاسلام يوجب على المسلم العنف الدفاعى (الحرب الدفاعية)، و يعتبر أن التخلى عن الدفاع خيانة و معصية كبرى، و يحرم عليه الاستسلام و الخضوع للطغيان و العدوان بحجة ضرورة المحافظة على الأمن و السلام و اللين، لأن الأمر فى هذه الحالة ليس سلاما (فالسلام - كما قلنا - ليس مجرد عدم الحرب) و انما هو استسلام و خضوع للطغيان، و هو مناقض لأبسط مقتضيات الانسانية و ليس له أى مبرر عقلى أو أخلاقى عند أحد من البشر. ان مجرد عدم الحرب كنتيجة للاستسلام للمعتدى، و نتيجة للخضوع للطاغوت، ليس سلاما أو لينا أنه حرب و حركة عنف مستمرة من طرف واحد طاغ و شرير ضد طرف مستسلم «غير مسالم». ان الأمر الأخلاقى المشروع الوحيد، فى هذه الحالة، هو الدفاع ضد المعتدى و ضد طغيانه ما دامت هناك [صفحه ۱۶۲] امكانية للانتصار، أو لرد العدوان بأية درجة ممكنة، فهذا الموقف موافق لحقيقة السلام و الرفق دون الاستسلام و فى هذا المجال، و طالما أننا نتحدث عن موضوع السلام و الحرب أو اللين و العنف فانه يمكننا أن نمر سريعا على واقع السلام المزعوم بين العرب و اسرائيل [۲۵۴] الذى تعمل دوائر الغرب و أمريكا و مواقعهما المتقدمة (الطابور الخامس) فى بلداننا العربية و الاسلامية على تصويره و كأنه سلام العدل و الحرية و المساواة، فى الوقت الذى تناسى فيه الجميع تقريبا ان الكيان الصهيونى «شرطى الغرب فى منطقتنا» كيان غاصب للأرض و المقدسات، لا يزال يعمل ليلا و نهارا دون كلل أو ملل - بدعم و سند أميركى و غربى واضح، و بمساعدة مباشرة من بعض الأنظمة العربية - على تركيز كيانه اليهودى فى قلب الأمة العربية بعد الغاء كامل لهوية المنطقة العربية و الاسلامية، و السيطرة التامة على ثرواتها و مقدراتها لكى تصبح، فيما بعد، (و البعيد عند الصهاينة قريب جدا بالعمل و

المتابعة و الجهد) عصب منطقة «الشرق الأوسط» [۲۵۵] و دماغها المفكر و حكومتها المركزية فى النظام الشرق [صفحه ۱۶۳] - الأوسطى الجديد. لقد قدمت الأنظمة العربية - باستسلامها و خضوعها للعدو الصهيونى - استقالتها من واجباتها و مهماتها الوطنية و القومية و الاسلامية، و أضحى من الواجب المقدس على الشعوب العربية و الاسلامية - بجماهيرها الواسعة و نخبها المفكرة و الملتزمة - أن تبادر، و هى عملت ذلك، من لحظتها الى تسلم عملية ادارة الصراع الوجودى مع الكيان الصهيونى و مشروعه التلمودى التفتيتى، و سيكون من نتائج هذا العمل - على المدى البعيد طبعا - اصطدام الشعوب و التيارات الشعبية، المناهضة و الرافضة لعملية التسوية، مع أنظمتها الحاكمة المفلسة التى لم تتوان. بالرغم من هزائمها و انكساراتها المتلاحقة - عن ضرب التيارات بعضها بالبعض الآخر و تفتيتها و كسرها، لذلك يجب أن تعمل تلك القوى و الاتجاهات و الحركات النضالية و الجهادية. أولا - و قبل كل شىء على تفريغ تلك الاتفاقات من مضمونها أى تجويفها و جعلها «خاوية على عروشها». و هذا الأمر لن يتحقق الا بالانتقال - فى ادارة الصراع الداخلى و الخارجى - من سياسة الدفاع ورد الفعل الى سياسة الفعل و التأثير، و من سياسة التلقى و الخضوع و الارتهان الى سياسة المبادرة ضمن عمل منهجى مدروس و مخطط بوعى و حكمة، و عدم اصغاء (انصات) السمع كثيرا الى ما تحفل به ادارات الغرب السياسية من مصطلحات و مفاهيم سياسية [۲۵۶] مختلفة تروج لها عالميا بهدف اسقاط روح المقاومة و الممانعة ضد مشاريع القهر و الاستلاب و الاغتصاب. [صفحه ۱۶۴]

ملاحظة حول واقعية الأخلاق و القيم الاسلامية

تتميز القيم الأخلاقية فى الاسلام بكونها واقعية ترتبط ارتباطا مباشرا بالممارسة العملية للانسان، تخاطب مشاعره و أحاسيسه فى أوضاعه الطبيعية المختلفة فى الحياة ثم تحاول، بعد تنمية وعيه و ارادته، الارتفاع به الى المثل الأعلى من حركة القيمة و المبدأ، ذلك المثل الذى لا يقترب من خلاله الانسان الى ذروة الحتميات التى تعزله عن واقعه، ولكن من خلال دفعه الى تقصير المسافة الفاصلة بين القيمة كنظرية و القيمة كتطبيق، لأن القيم لم تصنع ليبلغها الانسان ولكن ليقترب منها، و لتكون له قواعد تحميه من الانحراف، و تحدد له خط السير الواقعى. ان المسألة التى يريد لنا الاسلام أن نحركها فى كل التزاماتنا و مواقفنا العملية فى الحياة هى أن نكون واقعيين [۲۵۷] فيما نطلقه من أحكام و فيما نحركه من قضايا، لا بمعنى أن تسقط الواقعية قيمة أخلاقية هنا و قيمة أخلاقية هناك، ولكن أن تكون هناك حدود و ضوابط لحركة القيم الاسلامية تنطلق من الوعى بحاجات الناس الطبيعية فى الأرض، و التفكير بحجم طاقاتهم و قدراتهم و مواهبهم الذاتية، لأن القيمة عندما تكون مثالية (غير واقعية) فانها قد تشل حركة الانسان و تمنحه شيئا من الاسترخاء و السكون فى فكره و سلوكه، ولكنها لم تستطع أن تنزل الى الواقع. على هذا الأساس القيمة الأخلاقية نسبية حتى فى الأديان، و لهذا يقول الأصوليون: «ما من عام الا و قد خص» لذلك لا يقل أحد اننا عندما نفتح المجال للكذب - فى بعض مجالات عملنا -: أننا نحاول أن نهدم الصدق، بل اننا بذلك نحاول أن نحمى الصدق من الذين يستغلونه ليتحرك الصدق بعد ذلك، عندما تزول كل النقاط الطارئة، ليكون هو القاعدة، لذلك علينا ألا نثير القيمة الأخلاقية بطريقة مطلقة لنقف جامدين أمام التحديات التى [صفحه ۱۶۵] تقف أمامنا (و ما أكثرها حاليا) و لهذا قلت: ان قيمنا لا تقيدنا بل تمنحنا مساحة نستطيع فيها أن نملك حرية الحفاظ على قضايانا الكبرى من دون اسقاط القيم، ليكون الانسان، من خلال واقعية قيمه، صلبا أمام كل المتغيرات و الظروف الصعبة التى تحاول ارباكه و هزيمته. ان طبيعة التحديات الخطيرة التى تواجه حركة الاسلام المعاصر فى وجوده و قيمه و انتمائه تفرض على العاملين، فى داخل الخط الاسلامى، التعامل مع الواقع فى ظروفه و أدواته و أساليبه من أجل اتخاذ المواقف الواعية و المدروسة على أساس مصالح الاسلام و المسلمين، و هذا هو الشىء الذى يحقق للأمة تقدما نوعيا فى طريقها نحو أهدافها العالية و الطموحة لأن الواقعية تمثل - فى عقيدتنا - المنهج العملى الذى يعتمد على العناصر و الوسائل العلمية المتحركة فى ظرفها الطارىء أو الدائم التى تجد لها مجالا فى الحركة نحو الغاية على صعيد الواقع، و على مستوى الحاضر فى المشاريع الحاضرة و على مستوى المستقبل فى المشاريع المستقبلية،

بحيث تربط النتيجة بالمقدمات، و تتحرك الغايات من خلال الوسائل، فلا تكون الأهداف (أهداف الأمة) - فى تصور المؤمنين به و الساعين اليها - قفزة فى المجهول و حركة فى المطلق، كما يفكر المثاليون الذين يطرحون الأفكار كما لو كانت فى عالم آخر غير عالم الحس و الحياة، من هنا تكون واقعية الحركة فى تنمية قوتها و تجديد امكاناتها و وسائلها العملية، و مراقبة الواقع من حولها لاكتشاف ثغراتها و نقاط ضعفه، و الانحناء مؤقتا، أمام العاصفة المجنونة ريثما تمر ليواصل، العاملون فيها (فى تلك الحركة)، السير من جديد فى الاتجاه السليم انه التفكير الواقعى الذى يعمل ضد الاستسلام للأمر الواقع المحكوم بجملة متغيرات طارئة لا تملك القدرة على الثبات فى عمق الحياة، و هو التفكير الذى ينطلق فى تخطيط هادف دقيق متحرك على أساس أنه يضع، فى حساباته، الهزائم المرحلية كما يضع فى حساباته الانتصارات، و هذا ما يمكن وعيه و دراسته فى تجربة الأئمة عليهم‌السلام فى طبيعة علاقتهم بخلفاء زمانهم الذين كانوا لا يملكون شرعية الحكم و السلطة، و تجربة الكاظم عليه‌السلام مع حكام عصره تمثل، فى تصورنا، معلما بارزا على طريق التفكير الواقعى المنسجم مع تطلعات و أهداف الاسلام الكبرى التى حاول [صفحه ۱۶۶] الامام عليه‌السلام أن يثبتها فى بعض المواقع لتنطلق المسيرة، فيما بعد، نحو العزة و الثبات بطريقة واقعية متوازنة. اننا نرى، حاليا، و فى خطوات كثير من العاملين للاسلام، ما يخالف تلك التوجهات و التجارب التى قدمها لنا الكاظم عليه‌السلام و غيره من أئمة أهل البيت عليه‌السلام من خلال أنهم (الاسلاميون)، و كما أكد الامام أكثر من مرة، يواجهون الساحة العامة بالأفكار غير الواقعية، و ذلك من قاعدة ايمانية عامة، تطرح الفكرة و القيمة الكبيرة بعيدا عن وسائلها الطبيعية فى اطار ظروفها و ملابساتها الحقيقية، مما يجعل المسيرة ظنية تخمينية خيالية، تتجه الى الهدف (الذى لم تبلغه) فيما يشبه القفز فى الهواء، و هذا ما يجعل القضية باقية فى موقع التنظير، بعيدا عن حركة التطبيق، كما و يساهم - فى أكثر من مجال - فى تعبئة الأفكار بالمفاهيم و التصورات الضبابية المستغرقة فى أحلامها الوردية التى تقدم الصورة فى اطار من الغموض و الابهام، الأمر الذى يفقد الساحة حيويتها و مرونتها و فاعليتها فى وضوح الرؤية و واقعية الحركة. [صفحه ۱۶۷]

القواعد الأساسية لنظام القيم الأخلاقية و العلاقات الاجتماعية الاسلامية على ضوء معطيات الفكر الاسلامى عند الامام الكاظم

يختزن معنى العلاقة الاجتماعية، فى داخله و ضمن نطاق حركة المسؤولية الفردية و الاجتماعية، مسألتى الحق و الواجب للفرد و المجتمع، لذلك يكون تعريف العلاقة الاجتماعية من خلال: أنها جملة الحقوق و الواجبات التى يترتب عليها بناء المجتمع الانسانى فى اطار الأخلاق و القيم الاسلامية باعتبارها مجموعة واجبات و سنن و آداب و حقوق و التزامات نوعية تنظيم حركة المسؤولية العامة بين الفرد و الجماعة الانسانية، مع تحديد مسبق لشكل و نوعية الارتباط و السلوك الانسانى للجماعة بعضها مع البعض الآخر، من خلال الموازين و الضوابط و الحدود التى يعبر المجتمع بها عن فهمه و رؤيته للحياة الاجتماعية فى علاقته مع نفسه و مع الآخر، كما و يعبر فى الوقت ذاته، عن نظرة أخلاقية عامة للسلوك الاجتماعى تنطلق من خلال وجود رؤية كونية و فهم عقائدى للكون و الوجود و الحياة. أما بالنسبة الى القواعد و الأسس التى لا بد أن تقوم عليها هذه العلاقات و اتجاهاتها، فهى تمثل الخطوط الفكرية العامة التى توجه مسيرة العلاقات الاجتماعية باتجاه التكامل الذاتى لحركة الفرد و سلوكه، و التكامكل الاجتماعى لحركة الجماعة و مختلف نشاطاتها و فعاليتها ان اعتبار [صفحه ۱۶۸] التكامل الفردى و الاجتماعى من أهم الأهداف المركزية لمسيرة الانسان و ارتقائه نحو الله؛ يعطى الأخلاق و القيم الاسلامية دورا فعالا فى هذه المسيرة، لأنه و فى حالة عدم وجود ضوابط أخلاقية (قوانين الغرائز) تتحول العلاقات الاجتماعية الى قضية شكلية و آلية (ميكانيكية) شبيهة بالأعراف و التقاليد، حيث تصبح فى معرض الانهيار و خطر التفكك عندما تتعرض البنية الاجتماعية الى الاهتزاز أو التغيير، كما يحصل ذلك فعلا فى بعض حالات الهجرة و الانتقال من مجتمع الى مجتمع آخر، أو فى حالات تعرض المجتمع الى الغزو الثقافى و الاجتماعى، أو تبدل الأنظمة السياسية، أو كما نلاحظ فى المجتمعات الغربية التى تحولت فيها الأخلاق الى مجرد قوانين و أعرف دون أن يكون لها مضمون فكرى أو معنوى يرتبط بالنفس و الروح و الوجدان [۲۵۸] ، و دون أن يكون لها أساس فكرى أو معنوى يربط مقدمات العمل الانسانى بحركة نتائجه و أهدافه فى امتداد الحياة.

أما فى الاسلام، فان تلك العلاقات الاجتماعية و النظم الأخلاقية تستند، بالدرجة الأولى، على وجود المثل الأعلى (الله تعالى مطلق الكون و الوجود و الحياة) الذى يسعى الانسان للوصول الى بعض قيمه و خصاله بكل مسؤولية و انفتاح، من أجل أن تكون علاقاتنا الاجتماعية التى نمارسها فى الحياة منطلقة من مسؤوليتنا أمام الله تعالى، كعلاقة لا نمارس فيها تقليدا من تقاليد انتمائنا الدينى لنعبر عن حالة وظيفية تقليدية معينة نرتبط من خلالها، به سبحانه. و هذه هى مشكلتنا فى التدين البارد و الجامد الذى يدفع الانسان ليتحرك من موقع التقليد فى كل مفاصل و أركان حياته المادية و المعنوية. ان وعينا العميق لمسألة أن يكون الله تعالى هو مثلنا الأعلى المطلق فى الحياة - كركيزة أساسية فى البناء الاجتماعى و الأخلاقى الاسلامى تعطى كياننا الوجودى قيمة كبرى فى الحياة - هى مسألة تعنى أن نفكر فى سر وجودنا و أساس حركتنا، و نعتصم بحبله المتين. [صفحه ۱۶۹] يقول الكاظم عليه‌السلام: «و عليك الاعتصام بربك و التوكل عليه» [۲۵۹] و يقول عليه‌السلام أيضا: «و لا تخرجن نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته» [۲۶۰] و هذا يجعلك، كانسان عابد، تشعر بالثبات فى وجودك، و عندها ترفض أن تعيش عبثية الحياة، كما يعيشها الكثيرون، فى سلوكهم و أنماط معيشتهم ممن استهلكوا العبث و الضياع و الحيرة و القلق، لأنك أحسست بمعنى وجودك، و بارتباط هذا الوجود بالله. فأنت مسؤول عن عقلك بأن تغنيه بالخير و بالقيم الأخلاقية ليتفجر من داخل الفكر، و أنت مسؤول عن قلبك بأن تنتج منه عاطفة المحبة فى تعاملك مع الآخرين، و أنت مسؤول عن طاقاتك و امكاناتك بأن تعطى الحياة طاقة جديدة، تفجرها فى مواضع نيل رضا الله تعالى، فى كل مشروع تقوم به و فى كل موقف تقف فيه، و فى كل موقع يكون فيه للمسؤولية معنى بعظمة الله، فى ساحة الحياة. و بالاستفادة من ذلك، لا بد و أن تعمل على عقلنة عواطفك و توجيه انفعالاتك التى تطرأ على ساحة الاحساس و الشعور لديك، بسبب تفاعلك مع الأحداث و مشاهدتها، و تفاعلات آثارها و نتائجها، التى قد تقودك الى الانحراف و الزيغ و اتباع الهوى اذا لم تحكم عقلك، و تركز و عيك، يقول الامام الكاظم عليه‌السلام: «يا هشام ان الله جل و عز حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) [آل عمران: ۷] حين علموا أن القلوب تزيغ و تعود الى عماها ورداها [۲۶۱] ، انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله و من لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه، و لا يكون أحد كذلك الا من كان قوله لفعله مصدقا و سره لعلانيته موافقا، لأن الله لم يدل على الباطل الخفى من العقل الا بظاهر منه و ناطق عنه» [۲۶۲] . ان الغاية الأساسية، من ضبط العاطفة و تربيتها فى جو اسلامى قائم على أساس أن يجاهد الانسان نفسه و يسيطر عليها و يوجهها الوجهة الصحيحة و بما [صفحه ۱۷۰] ينسجم مع الحكم الشرعى و الأهداف الالهية المقدسة، هى تربية الارادة الانسانية و تنميتها و تقويتها بشكل يجعلها منسجمة، فى فاعليتها و اختيارها، دائما مع العقل و حكم الشرع لأن الله تعالى جعل للعقل دورا أساسيا فى حركة الانسان و توجيه ارادته نحو الصلاح و الرشاد. فى تحقيق المصلحة النهائية للانسان. و قد ورد فى حديث عن الكاظم عليه‌السلام أن الله قد خلق العقل ثم قال له: «أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله جل و علا: خلقتك خلقا [عظيما] و كرمتك على جميع خلقى» [۲۶۳] ، ان تركيز الاسلام على ضرورة الالتزام بالنهج العقلى الحكيم و المتوازن - فى سياق السلوك العملى لكل مفردات الواقع الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الاقتصادية، فى محاولة منه لضبط نزعات و عواطف و انفعالات الانسان - يقدم لنا منهجا علميا و موضوعيا فى دراسة و تحليل حالات العصبية و الانفعال و التشنج التى تضج بها ساحتنا العربية و الاسلامية، و التى تطبع شخصية الكثير من العاملين للاسلام فى هذه الظروف، مما أدى الى أن يأخذ العمل نفسه هذا الطابع (الطابع الانفعالى). و من الطبيعى أن تؤثر هذه الظاهرة على مبادرات العمل و الانتاج و على نوعية الرؤيا للواقع و الأشياء و الأشخاص، فيفقد العاملون وضوح الرؤية، و تختلط الصورة الحقيقية فى العيون، و ترتبك الخطوات فى الطريق، لأن الانفعال يغرق الشخصية فى أجواء ضبابية، غارقة فى السحر و الاغراء فى جانب آخر، لأنه يتعامل مع الاحساس و الشعور و العاطفة، و لا- يتعامل - غالبا - مع الفكر و العقل، مما يجعل للسرعة دورها الكبير فيما يصدره من حكم، و فيما يخلقه من انطباع، و فيما يتجه اليه من غايات، و بذلك يفقد الحكم حيثياته الهادئة المتزنة. و يغيب التركيز عن الانطباع فى غمار الضباب. من هنا نجد ضرورة أن يتحرك الاسلاميون فى الخط الثقافى و السياسى ليقدموا الاسلام الى الانسان المعاصر

كخط فكرى عاقل و مستنير يملك مذهبا واسعا فى السياسة و الاقتصاد و الاجتماع، بحيث تكون له رؤية منهجية واسعة عقلانية و دقيقة لكل الواقع الاجتماعى و السياسى الذى يتخبط فيه الانسان. [صفحه ۱۷۱] و لا يعود الاسلام مجرد فتاوى ضبابية متناثرة هنا و هناك، أو مجرد قيم حماسية انفعالية ليس لها أدنى ارتباط ببعضها البعض أو بالواقع، مع العلم أن الثقافة الاسلامية قادرة على أن تستجيب لتحديات العصر الراهن، و أن تخطط و ترسم للمنهج العملى، و أن تصنع كل المعالم و العناوين القدرة على حل مشاكل الانسان على كافة الصعد و المستويات. انها ليست مشكلة الفكر و المعرفة الاسلامية، ولكنها مشكلة العاملين و الدعاة الى هذا الفكر فى وعيهم و فى أسلوبهم و فى ارادتهم.

پاورقى

[۱] على يوسف، التاريخ بين الواقعية و التوظيف و التقديس، (مجلة البلاد: ۲۲۴ ص: ۴۴).

[۲] يمارس هذا الاتجاه، المتفشى بكثرة فى واقعنا، أساليب و طقوس التقديس للنبى (ص) و للأئمة (ع) دون أى احترام للرسالة و قيمها و مبادئها... أى أنهم يقدسون الشخصية الى حد الغلو و التطرف، و بالمقابل يغيبون منهجها و دورها و رسالتها.

[۳] نحن لا نريد، من خلال ذلك، أن نلغى الاحترام و التقديس للشخصيات التاريخية و ما له من فاعلية و تأثير فى شحن النفوس و الهمم و اثارة العزائم و الارادات لدى الجماعات المختلفة فى صناعة الحدث و المرغوب فى حدوثه و انجازه، و هذا ما تأسست عليه المقاومة الاسلامية المباركة فى لبنان التى استعادت بعض مقدسات التاريخ (بأحداثه و رموزه: كربلاء مثلا) لا للتعويض عن امكانات و اجتراح البطولة فى مجتمع ساكن و خال من البطولات، ولكن لتهيئة التربة المناسبة لاحترام البطولة الفذة بالفعل فى الظرف الصعب و القاهر و اتمام الحركة الفاعلة فى خط البناء و التغيير، و قد نجحت هذه المقاومة الجهادية و الفكرية بجدارة حتى الآن، و أثبتت أنها أمل الأمة و رقمها الصعب المستصعب فى زمن الاذعان و الهيمنة و الاستسلام.

[۴] و هى طريقة «الثابت الموضوعى» التى تقوم على أساس تحويل لغة التاريخ و أحواله العامة الى لغة حية متحركة، تستنبط من خلالها القواعد و السنن التاريخية المهيمنة على مجريات الواقع و أحداث الحياة المتنوعة، على صعيد ملاحظتها، و دراستها، و تحليلها، و تركيبها، و اكتشاف ضوابطها العلية و المعلولية كمرحلة من مراحل المسيرة الانسانية نحو أهدافها الكبيرة فى الحياة. انها باختصار طريقة علمية معرفية تدرس التاريخ، برموزه و أفكاره و شخصياته، دراسة استقرائية غائية من خلال ايمانها بضرورة تنقية أجوائنا التاريخية من التراكمات الذاتية و الشعاراتية فى أطار التعامل معها بلغة المنطق و العقل (لكل ظاهرة سببها الطبيعى).

[۵] و ذلك من خلال ارتباطنا برسالته كطريق للارتباط بشخصيته الرسالية لتظل الرسالة قاعدة رئيسية للانتماء، و للمشاعر، و تحديد العلاقات فى بدايتها و نهايتها....

[۶] الأبواء: منطقة فى الحجاز تقع بين مكة و المدينة، و فيها قبر آمنة بنت وهب أم النبى الكريم (ص).

[۷] نحيل القارىء الى مصادر أخرى لزيادة الاطلاع و المعرفة مثل: سيرة الأئمة الاثنى عشر لهاشم معروف الحسنى، و حياة الامام موسى بن جعفر لباقر القرشى، و مناقب آل أبى‌طالب لابن شهر آشوب، بالاضافة الى مراجع أخرى مذكورة فى نهاية الكتاب.

[۸] نشير هنا الى أحد أبرز تلك المشاريع الخاصة، و لعله أخطرها، أعنى به (مشروع السقيفة) الذى استطاع تثبيت زعامات قبلية تقليدية على صعيد رئاسة الدولة، و قيادة الأمة فى طبيعة القيادة السياسية، و على مستوى واقع الناس و المجتمع فى طبيعة العلاقة الناظمة بين الفرد و السلطة، و قد رأينا، من خلال ذلك، كيف عممت و سادت الروح القبلية التى حاربها الاسلام من دون هوادة، و تحكمت بمنطق و سلوك المتنافسين الأوائل على زعامة الدولة الفتية و النزوع المقصود، لهم، نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة و الملك بكل واحد منهم (من ينازعنا سلطان محمد، كما عبر عن ذلك أحد الخلفاء) و عدم السماح للآخرين بالتعاطى الايجابى مع الواقع من خلال حرية ابداء الرأى و المشاركة السياسية - و لو بالحد الأدنى - فى قيادة التجربة، و التأكيد على المبررات الوراثية

العائلية تدعيما لذلك التوجه غير المسؤول.

[۹] الشهيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، بحث فى الولاية، نقلا عن: الأئمة الاثنا عشر لعادل الأديب (ص: ۸) بتصرف. [

[۱۰] اشتعلت خلال تلك الفترة ثورات و انتفاضات شعبية عارمة معلنة التمرد و العصيان دخلت الدولة (دولة الخلافة و امارة المؤمنين) على أثرها فى أتون صراعات مسلحة ضد مركزية الدولة الظالمة.. (راجع: مقاتل الطالبيين للأصفهانى، تاريخ الطبرى، تاريخ اليعقوبى... الخ)....

[۱۱] بقى الامام الكاظم (ع) مع أبيه عشرين عاما... منها خمس سنوات تقريبا فى عهد الأمويين و أربع سنوات و نصف السنة فى عهد السفاح العباسى، و تسع سنوات و نيف فى عهد المنصور.

[۱۲] قد يحتج على هذا التوصيف الذى عاينا من خلاله (بحسب مصادر التاريخ الأساسية) تلك المرحلة الزمنية، موضوع دراستنا، على أساس أنها لم تكن على هذا المستوى من الاسوداد أو الخطورة المبالغ فيها فى تصوير واقع حالهم... فى تركيزى على السلبيات دون الايجابيات... فى الاجابة نؤكد لهؤلاء جميعا: أنه يكفى القارىء العودة الى بعض المظان التاريخية الهامة ككتاب الأغانى، و كتاب مقاتل الطالبيين للأصفهانى، و غيرها كثير ليتضح له الحال، حال الأمة و حالة طاقاتها و ذخائرها و مقدراتها، أين ذهبت؟ و على أى طريق سارت؟... و لماذا وصلنا، حاليا، الى هذا المستوى الخطير الذى ينذر بالكارثة على كافة الصعد السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية، و من هو المسؤول عن حجم خسائرنا المادية و المعنوية؟ و متى يتوقف مسلسل الانهيارات و التراجعات و الانكسارات فى جسم الأمة؟.. طبعا أنا لا أحمل الماضى بأشخاصه و رموزه كل المسؤولية، كما و لا أهرب الى الأمام لألقى و أوزع الاتهامات على الآخرين... لكننا مسؤولون جميعا، فى الماضى و الحاضر، رؤساء و مرؤوسين عن حيز كبير من هذا الفراغ و الانقسام السياسى، و التفسخ التاريخى الذى نشهده حاليا.

[۱۳] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص ۱۶) مخطوط.. (راجع بهذا الخصوص: مروج الذهب للمسعودى، تاريخ الطبرى ج: ۴، و الكامل فى التاريخ).

[۱۴] الأموية: ظاهرة سياسية جاهلة و منحرفة مقنعة بالزى الدينى، و قانون قسرى متسلط على مفاصل الحكم الاسلامى، أقامت بنيانها على أساس الغلبة و القهر و القوة و العدوان، و اتسمت بالتدين السلبى، أى استغلال الواجهة الدينية النقية و الطاهرة كستار و شعار للحفاظ على مصالحها، و الوصول الى غاياتها و تكريس مواقعها الطغيانية الخاصة.

[۱۵].

[۱۶] نشير هنا الى أن البيت العباسى لم يضع أصول الدعوة و لم يبذر بذورها، و انما الظروف وحدها هى التى ساقت اليه قيادة نظام سرى محكم له أجهزته و دعاته و أتباعه، فجنوا ثمارا زرعها بنو عمهم العلويون و ركبوا موجة المد الثورى، بعد طرحهم شعارا ذكيا، و قلبوا ظهر المجن للرواد الذين امتحنوا أشد المحن من أجل ارساء هذا النظام السرى المحكم... (راجع الحركات السرية، ص: ۶۶).

[۱۷] سنتحدث لاحقا عن هذه النقطة بالتفصيل.

[۱۸] دائرة المعارف الشيعية، دور الأئمة للشهيد السيد: محمد باقر الصدر، (ص: ۹۶).

[۱۹] البداية و النهاية (ج: ۱۰ ص: ۱۸۳) و تاريخ بغداد.

[۲۰] دفن (ع) فى مقابر قريش فى الجانب الغربى من بغداد «مدينة الكاظمية» و عمره الشريف ۵۵ سنة.

[۲۱] هاشم معروف الحسنى، سيرة الأئمة الاثنى‌عشر، (ج: ۲)، (ص: ۲۹۷)، بيروت ۱۹۸۶.

[۲۲] عادل الأديب، الأئمة الاثنا عشر، دراسة تحليلية، (ص: ۱۸۵)، الدار الاسلامية، ۱۹۸۵.

[۲۳] راجع رجال الكشى (ص: ۱۷۲).

[۲۴] روى السيد ابن‌طاووس: أن أصحاب الامام موسى (ع) و خواصه كانوا يحضرون مجلسه و معهم فى أكمامهم ألواح آبنوس و

أمبال فاذا نطق بكلمة أو أفتى فى نازلة بادروا الى تسجيل ذلك، و الاستفادة من العطاء العلمى الرصين للامام (ع). (راجع الأنوار البهية ص ۹۱).

[۲۵] جاء فى كتاب المكاسب للشيخ الأنصارى «باب الولاية من الجائر» أن الامام الكاظم (ع) قال لصاحبه زياد بن أبى‌سلمى محذرا اياه من مغبة الدخول فى سلك حكومة هارون: «يا زياد، لئن أسقط من شاهق فأتقطع قطعا أحب الى من أن أتولى لهم عملا أو أطأ بساط رجل منهم».

[۲۶] سيدرس هذا الموضوع لا حقا فى الجانب السياسى من حياة الامام (ع).

[۲۷] رجال الكشى، (ص: ۳۶۷)، سفينة البحار (۲ / ۲۵۲).

[۲۸] نحيل القارىء الى بعض المصادر التاريخية التى نصت على ذلك مثل: رجال الكشى و اتقان المقال للمرزا محمد، و الكنى و الألقاب للقمى.

[۲۹] هاشم معروف الحسنى، سيرة الائمة الاثنى عشر. م. س.

[۳۰] يمكن متابعة توثيق أقوال و أخبار هؤلاء العلماء و الرواة فى مظان و تصانيف اسلامية مشهورة كفهرست ابن‌النديم، و أعلام الزركلى، و رجال الكشى... الخ.

[۳۱] أميز هنا بين لفظتين لكل منهما دلالة لغوية و حضارية الأولى كلمة «التراث» و أعنى بها - فى المفهوم الحضارى - مجموعة الآثار الثقافية و المعارف النظرية لشعب معين، كانت له مساحة عملية فى التأثير و الفاعلية فى ما مضى، فهو شىء من بقايا الآباء و الأجداد لا يصلح للحياة فى تطلعاتها الحاضرة و طموحاتها المستقبلية، أما الثانية فهى لفظة «الفكر» التى تعبر، فى الوعى الحضارى، عن مجموعة المعارف و المناهج و المعايير و القيم التى تتقوم بها شخصية الأمة ثقافيا و حضاريا، و تدخل فى صلب عقيدتها و عقلها و روحها و ضميرها الجماعى، و تعطيها دورها و حركتها فى رحابة التاريخ و أنا أستعمل كلمة «التراث» هنا للدلالة على الفكر الاسلامى دون أن أقصد بها موقفا فكريا معينا من المعرفة الاسلامية أى أننى أستخدم كلمة التراث لمجرد الدلالة اللغوية ليس الا.

[۳۲] نحن لا نقصد، من خلال هذا التحليل، أن نحكم على كل تاريخنا بأنه مجموعة أخطاء متراكمة لا تصلح أن تعيش فى الحاضر و المستقبل... بل نريد أن نقول بأن هناك مواقع مضيئة الى جانب وجود مواقع مظلمة فى تاريخنا الاسلامى... فهناك الكثير الكثير من التجارب الماضية المليئة بالصور الحكيمة و المشرقة و الناصعة التى تكبدت مجتمعاتنا من أجلها أنواعا شتى من الآلام و المصاعب، و تحملت كثيرا من الأهوال فى سبيل الوصول اليها و الاهتداء الى بعض معالمها هنا و هناك، و بالمقابل فاننا نتصور أن حركة التاريخ الانسانى ليس دائما على صواب - كما يعتقد أصحاب الموقف التقديسى للتاريخ - لأن الايمان بصحة و قدسية التاريخ يلغى جميع العوامل المؤثرة فيه و يبقى الانسان، تبعا لذلك، خاضعا لمنطق الضرورة و الحتم كتاريخ الجماد و النبات و الحيوان.

[۳۳] صائب عبدالحميد، اعادة كتابة التاريخ الاسلامى، مجلة التوحيد (۸۶ / ۱۷۶).

[۳۴] كامل الزيارات (ص: ۵۰ باب: ۴۳).. ثورة الحسين فى الوجدان الشعبى للعلامة الشيخ: محمد مهدى شمس الدين (ص: ۶۶ - ۶۵).

[۳۵] المناقب، ج: ۲، (ص: ۳۸۱).

[۳۶] جاء فى بعض المرويات أنه المهدى العباسى. و لا فرق - فى نظرنا - بينهما لأن هذا العمل يمكن أن يصدر عن كليهما.

[۳۷] نفهم من كلمة الكاظم عليه‌السلام فى هذا المجال أن السيدة الزهراء (ع) عليهاالسلام عندما طالبت باعادة فدك، فلأنها كانت (و لا تزال) تمثل رمز و عنوان المطالبة بحق على (ع) فى الولاية، و لم تكن تمثل بالنسبة اليه قطعة أرض فقط.

[۳۸] هذا الى جانب انتشار اتجاهات مختلفة من الزهد الكاذب و الرهبنة الخادعة.

[۳۹] فى هذا المجال يركز بعض الفقهاء و الوعاظ على أهمية الرأى و القياس و الاستحسان و اتباع المصلحة الى حد قد يتجاوز كل

نص، و يؤدى - أحيانا - الى دخول الفكر. الانسانى الى ساحة التشريع الالهى، و هو خطر كبير، فى حين يركز بعضهم الآخر - احتياطا على دينه - على حدود النص و الحديث الى حد أدى الى جمود خطير فى حركة الفكر.

[۴۰] الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الامام الصادق (ع). (ص: ۲۸۲).

[۴۱] من قبيل أن للرسول شيطانا يعتريه... الخ.

[۴۲] راجع الكتب التالية: خمسون و مائة صحابى مختلق، و عبدالله بن سبأ، و معالم المدرستين للمحقق العلامة السيد: مرتضى العسكرى.

[۴۳] الغدير، (ج: ۵، ص: ۲۹۰).

[۴۴] الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الصادق (ع)، (ص: ۲۸۲). م. س.

[۴۵] الغدير، ۵ / ۲۱۶.

[۴۶] الغدير، ۵ / ۲۱۶.

[۴۷] م. س، ۵ / ۲۱۶.

[۴۸] م. س. ۵ / ۲۱۷.

[۴۹] مؤتمر الصادق (ع)، م. س (ص: ۲۸۳).

[۵۰] بحارالأنوار (ج: ۱۱، ص: ۲۳۴).

[۵۱] م. س (ص: ۲۸۴).

[۵۲] يقول عن ذلك الشيخ القرشى: «و فجر الامام الصادق (ع) ينابيع العلم و الحكمة فى الأرض، و فتح للناس أبوابا من العلوم لم يعهدوها من قبل، و ملأ الدنيا بعلمه - كما قال الجاحظ - و نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته فى جميع البلدان، كما أدلى بذلك ابن‌حجر» (راجع حياة الامام موسى بن جعفر (ع)، (ج: ۱، ص: ۷۶) نقلا عن رسائل الجاحظ للسندوبى (ص: ۱۰۱)، و الصواعق المحرقة (ص: ۱۲۰).

[۵۳] سبق أن أشرنا فى الفصل الأول الى أهم و أبرز تلامذة و أصحاب و رواة أحاديث و فكر الامام الكاظم عليه‌السلام، (راجع كتاب: الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ آغا بزرگ الطهرانى (ج: ۶)، فهرست ابن‌النديم، الفهرست للشيخ الطوسى).

[۵۴] تستلزم كل حركة أربعة أمور: المحرك، و المتحرك، و ما منه حركة، و ما اليه حركة.

[۵۵] الطبرسى، الاحتجاج، (ج: ۲ ص: ۳۸۶).

[۵۶] م. س، (ص: ۳۸۷).

[۵۷] الوسائل (ج: ۱۸ ص: ۲۳).

[۵۸] وجع الحرية، (ص: ۹۳) م. س، مخطوط.

[۵۹] الكافى للكلينى، (ج: ۲ ص: ۷۲)، (ط: ۳)، دار الكتب الاسلامية، ۱۳۸۸ ه.

[۶۰] م. س، (ج: ۱، ص: ۱۶).

[۶۱] نبيل على صالح، نورالولاية. مخطوط.

[۶۲] الكافى (ص: ۱۷) م. س.

[۶۳] الكافى ۲ / ۴۷۰ م. س.

[۶۴] م. س (ص: ۴۷۱).

[۶۵] على محمد على الدخيل، أئمتنا (ج: ۲، ص: ۵۷) (ط: ۱۲)، دار المرتضى، بيروت: ۱۹۹۵، نقلا عن مهج الدعوات: ۳۳.

[۶۶] م. س (ص: ۵۷) نقلا عن «المجتنى من الدعاء المجتبى».

[۶۷] الفيض الكاشانى، المحجة البيضاء (ج: ۴، ص: ۲۶۷).

[۶۸] أئمتنا، مصدر سابق، (ص: ۵۶)، نقلا عن مهج الدعوات، ص ۳۰۰.

[۶۹] منتهى الآمال، (ج: ۲، ص: ۲۲۲).

[۷۰] يريد (ع) العبودية لله.

[۷۱] راجع المصادر السابقة، و سيرة الأئمة الأطهار للشهيد مطهرى، (ص: ۱۵۱).

[۷۲].

[۷۳] تاريخ بغداد: ۱۳ / ۲۸، كشف الغمة: ۲۴۷، أعيان الشيعة: ۴ ق ۳ / ۴۲.

[۷۴] و هذا النمط السلوكى الروحى الراقى ليس ببعيد عنه عليه‌السلام باعتباره معلما فريدا و أنموذجا حيا للزاهد و العارف و العابد.

[۷۵] وجع الحرية، م. س. (ص: ۳۷).

[۷۶] أعيان الشيعة ۴ ق / ۲ / ۴۴، كشف الغمة: ۲۴۳، تاريخ بغداد: ۱۳ / ۲۹.

[۷۷] نهج‌البلاغة ۳ / ۸۱.

[۷۸] سنتعرض لهذه النقطة بشكل تفصيلى عند حديثنا عن الحياة السياسية للامام الكاظم عليه‌السلام.

[۷۹] أبومحمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحرانى، تحف العقول، (ص: ۳۰۱) مؤسسة الأعلمى، بيروت: ۱۹۷۴.

[۸۰] م. س (ص: ۳۰۱).

[۸۱] م. س (ص: ۳۰۱).

[۸۲] م. س (ص: ۲۹۳).

[۸۳] م. س (۲۹۳).

[۸۴] تحف العقول، (ص: ۲۹۰).

[۸۵] م. س (ص: ۲۹۳).

[۸۶] م. س (ص: ۲۹۲).

[۸۷] انه الصبر الايجابى العملى الذى يتحرك فيه الفرد فى خط العمل و الاصلاح و التغيير، (الصبر المتقدم و المتوثب).

[۸۸] تحف العقول... (ص: ۳۰۳).

[۸۹] م. س (ص: ۲۹۲).

[۹۰] م. س (ص: ۳۰۳).

[۹۱] الغرب: مفهوم يشير الى فضاء جغرافى مشحون بدلالة حضارية تستند الى التراث الاغريقى الرومانى المسيحى ثم تراث النهضة الأوروبية و مختلف مكتسبات الحضارة التى تولدت فى قلب الحضارة الأوروبية منذ عدة قرون، ثم شملت بعد ذلك قارات أخرى تغربت بفعل تاريخ قسرى اكراهى، تمثل فى الهيمنة الامبريالية بمختلف النتائج التى ترتبت عليه.

[۹۲] أى من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية.

[۹۳] Harold J.Lski, The Rise Of European Liberalism, (P:۱۳ – ۱۴).

[۹۴] خصوصا و أن واقع الاتصالات العالمى الراهن (و المستقبلى)، الذى يمسكه الغرب بقوة، يزيل كل الحدود و يلغى كافة الحواجز، بحيث أنك اذا استطعت – من حيث المبدأ – أن تراقب الانسان و تمنعه من التعامل مع وسائل الاعلام حاليا (من تحفظنا الشديد على سياسة المنع هذه) فان ذلك لن يحصل فى المستقبل القريب أبدا.

[۹۵] أى التدمير الشامل لحضارات الأنكا و الأزتيك، و قد حصل الشيء عينه بالنسبة الينا نحن فى العالم الاسلامى، و بالنسبة الى شبه القارة الهندية.

[۹۶] أصبحت قضية التلوث البيئى من أخطر الكوارث التى تتهدد وجود الانسان و الحياة على الأرض، و عند الفحص و التدقيق نجد أن المسؤولية الكبرى عن هذا الوضع البيئى الخطير و المأساوى تقع على عاتق العالم الصناعى الغربى، و على هؤلاء الذين يمثلون الحضارة الغربية، لقد أنتج هؤلاء حضارة كبيرة من الدبوس الى الأقمار الاصطناعية و المركبات الفضائية المسافرة الى المشترى و المريخ و غيرهما، حضارة غالية الثمن وضعت تحت تصرف الذين يتمكنون من الاستمتاع بها فقط و شراء منتجاتها، فكانت المحصلة أن ۵ / ۴ البشرية يدفعون ثمن انجاز حضارى مادى لا يستطيعون شراءه أو التمتع به، بينما خمس البشرية على الأكثر يستمتعون بكل المنتجات لمجرد أنهم يستطيعون شراءها.

[۹۷] نعطى مثلا- قريبا جدا عن عقلية هذه الحضارة و هى تشن الحروب و تنشر الدمار و الخراب و الخوف و الرعب حفاظا على مصالحها، أعنى به حرب الخليج الثانية، التى شنها الغرب للسيطرة على منابع الطاقة النفطية و الغازية فى الخليج، فى الوقت الذى نلاحظ أن شعوبا بكاملها تفتقر الى أبسط كمية من الطاقة لتشغيل معمل أو تسيير باخرة، بينما نجد بعض الدول الغربية تنفق مقادير ضخمة من النفط لتدفئة أحواض السباحة فى بلاد باردة لمجرد الاستمتاع بالسباحة فى أحواض دافئة، فى حين أن ملايين البشر يموتون بردا لأنهم لا يجدون ما يتدفأون به أو يموتون جوعا لأنهم لا يجدون وسيلة نقل تنقل الطعام من مكان الوفرة الى مكان الحاجة، هذه هى بعض ملامح هذه الحضارة التى تزعم أنها عالمية، أو تريد أن تجعل نفسها أساسا لنظام العالم.

[۹۸] أعنى به الادارات السياسية الغربية.

[۹۹] العلامة الشيخ: محمد مهدى شمس الدين، مقدمة كتاب: «الحضارة و النظام العالمى، أصول العالمية فى حضارتى الاسلام و الغرب»، للدكتور: على الشامى، صحيفة السفير: ۲۰ / ۱ / ۱۹۹۴. [

[۱۰۰] أقصد به ذلك الحشد الهائل من الشخصيات السياسية و الاقتصادية و الأمنية التابعة لأنظمتنا العربية و الاسلامية ممن تربوا فى أحضان أصحاب المؤامرات و الدسائس الدولية، و عاشوا أجواء المخابرات المركزية الأمريكية و تربوا سياسيا من خلال تربية الغرب لهم و رعايته لهم و تحمله مسؤولية و صولهم الى هذا الموقع أو ذاك، أى هناك أنظمة تسيطر على شعوبنا تمارس دور الحرس الاحتياطى للسياسات الغربية و الأمريكية بالذات.

[۱۰۱] تهدف هذه المشاريع كاملة الى تكريس واقع الهزيمة و الهيمنة و الانكسار فى عالمنا الثالث، فى أن يستورد و يستهلك حضارة و منجزات الآخر، و باختصار شديد: دفن أى أمل بامكانية نشوء مشروع نهضة عربية و اسلامية.

[۱۰۲] حيث اننا نجحنا، خاصة على صعيد أنظمتنا الحاكمة، فى شكل و اطار التحديث، أى ربما نجح السياسيون، بهيئاتهم المختلفة، فى أن ينقلوا لنا فنادق خمس نجوم، و شوارع معبدة، و أبنية جامعية و مدرسية حديثه، و مختبرات و منشآت و اعمارات مختلفة - اذا صح التعبير - ولكنهم فشلوا ذريعا فى تكييف روحنا و ثقافتنا مع ما يلائمنا، بل على العكس لقد حاربوها و لا حقوها و صادروا كلمتها و موقفها، كما و حاولوا المجيء بنسخة و جعلنا صورة سيئة (مشوهة) عنها، و قد فشلنا و الفشل يمتد الى كل مواقع المسلمين.

[۱۰۳] لأن الغرب يقود ضد العالم الاسلامى حرب مصالح و مكاسب مادية لا حوار حضارات، أى مسألة المصالح الغربية التى تعيش الصراع مع مصالح العالم الثالث، انها حرب مصالح حقيقية. ان العالم الثالث، بما فيه العالم الاسلامى، يعمل على أن يملك حريته السياسية و امكانات تطوير موارده الاقتصادية، و الحصول على استقلاله الاقتصادى و الأمنى، لكن الغرب لا يوافق على ذلك. انه يريد أن يبقى أمن العالم الثالث على هامش أمنه، و سياسته على هامش سياسته، و اقتصاده على هامش اقتصاده.

[۱۰۴] لا يستطيع الغرب أن يحتفظ بمصالحه الا اذا استطاع أن يستشير الرأى العالم فى داخله الى درجة متقدمة حادة من التوتر بحيث يملأ ذهنية مجتمعه و رأيه العام بالاحساس بخطر عدو قادم لكى يملك حرية الحركة فى سياسته و اقتصاده و أمنه كما لو كان يدافع

عن شعبه، و هذا ما لا حظناه قبل و أثناء حرب الخليج الثانية عندما أثارت أمريكا الرأى العام الأمريكى و الأوروبى ضد العراق، بينما نجد أن الكويت لا تمثل أى موقع يثير الاهتمام لدى الشعوب الغربية، ولكن المسألة أنه استطاع أن يثير مسألة آبار النفط و سيطرة صدام عليها و ما الى ذلك، بحيث أصبح يفكر كل الأمريكيين و كل الأوروبيين بأنهم سوف يفقدون لقمة عيشهم، من هنان و بعد سقوط الاتحاد السوفييتى لم يبق للغرب أى عدو، و هو بحاجة دائمة و ماسة الى عدو حتى يستطيع أن يبرر، لشعوبه، سياسته ضد العالم الثالث حتى يستطيع أن يحتفظ بمواقعه داخل هذا العالم، لذلك بات الاسلام حاليا عدو الغرب (بشهادة كبار سياسييه و مفكريه و نخبه) و هو يحاول تضخيم الحركة الاسلامية كما لو كانت تستطيع، الآن و فى امكاناتها الحالية، اسقاط الحضارة الغربية.

[۱۰۵] بدأت نظرية العدو البديل (و العدو الأخضر فى اشارة الى الاسلام، كما قال ليفى كلاسى أمين عام حلف شمال الأطلسى) فى الغرب، حيث بدأ برنار لوسى يتحدث عما أطلق عليه «صراع الثقافات، المسيحيون و المسلمون و اليهود فى عصر الاكتشاف»، و هو كتاب صادر عن جامعة اكسفورد، ثم نشر صموئيل هنتغتون اطروحته «صدام الحضارات» Clash Of Civilzation فى دورية Foriegn Affairs، ثم طور هذه الأطروحة فى كتاب صدر مؤخرا، و يذهب هنتغتون الى أن «الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هى خطوط لمعارك فى المستقبل»، و يشير الى أن خطوط التقسيم الحضارى تحل محل الحدود السياسية و الأيديولوجية للحرب الباردة و يتحدث عن احتمال تحالف «كونفوشيوسى - اسلامى» فى مواجهة الحضارة الغربية.

[۱۰۶] لا نقصد من مصطلح الآخر هنا - الذى بات له استخدام واسع فى بعض خطابات التطبيع الراهنة مع الكيان الصهيونى - اسرائيل و حركتها الصهيونية العنصرية، لأنها لا تمثل واقعا حضاريا متميزا يمتلك خصائص و محددات ثقافية و تاريخية متراكمة كميا و كيفيا، كما أننى لا أقصد من هذا المصطلح الأيدلوجية الصهيونية، لأننا نعلم جميعا أنها أيديولوجية القهر و الاحتلال و الاغتصاب و القتل و الطرد و الترحيل و التفوق العنصرى و التوسع المستمر و الاستيطان و الاستعمار الاقتلاعى و حقن الأطفال بالايدز.

[۱۰۷] السيد: محمد خاتمى، حوار الحضارات و صعوباته، صحيفة الحياة اللندنية: ۱۱ / ۷ / ۱۹۹۷.

[۱۰۸] ساهمت ممارسات كثير من تلك الرحكات المسماة (اسلامية؟!) فى مسخ و تشويه صورة الاسلام فى المحافل الدولية.

[۱۰۹] العلامة السيد: محمد حسن الأمين، أزمة الآخر فى الانشطار بين المجتمع و مؤسساته الحاكمة، مجلة البلاد (عدد: ۵۸) (ص: ۴۶).

[۱۱۰] لا أريد أن أتحرك مع أولئك الذين يفكرون ببساطة و سذاجة بأنه يكفى الأمة أن تنطلق من عقيدتها و مخزنها التراثى كحل و مفتاح سحرى لتبنى طموحها و مشروعها التنموى المتقدم، بل أؤكد - فى هذا السياق - أن الأمور ليست بهذه البساطة بل هى على درجة من التعقيد، لذلك و صفت و قلت بأن هذا الانطلاق نحو مواقع البناء و التحرر شرط ضرورى لازم لكنه ليس كافيا.

[۱۱۱] أعنى بها حكومة السيد: محمد خاتمى.

[۱۱۲] السيد: محمد حسن الأمين، م. س.

[۱۱۳] لا يمكن لعملية النهوض و التغيير أن تنجح فى مجتمعاتنا العربية و الاسلامية من دون أن تكتسب اطارا و مضمونا يعبر عن طموحات و آمال الأمة كلها فى أن تركز طاقاتها و تحشد امكاناتها و قدراتها وفقا لمناهجها الأصيلة و متطلباتها النفسية و السلوكية و سياقاتها التعبيرية الحيوية لأن مواجهة الواقع الحالى المتخلف بكل مواقعه و امتداداته، و التخطيط للمستقبل الواعد لا يمكن أن يتم باطاره العام الهادف و المثمر الا اذا شاركت الجماهير، كل الجماهير، و الأمة، كل الأمة، فى عملية صنع حقيقية عميقة و بنيوية للمستقبل، و استنفرت كل مواهبها فى هذا الاتجاه، من خلال شعورها المتحرك بضرورة التغيير ضمن المركب الواعى الذى تؤمن به و تلتزمه فى حركة الحياة.

[۱۱۴] باستثناء بعض المواقع المضيئة و النيرة، و فى مقدمتها المقاومة الاسلامية الجهادية و الفكرية و السياسية فى لبنان، التى أرانى مضطرا أن أعرج عليها، مثنيا و مادحا، بشكل متواصل.

[۱۱۵] راجع: حياة الامام موسى بن جعفر (ع) لباقر شريف القرشى، مقاتل الطالبيين و كتاب الأغانى للأصفهانى، تاريخ الطبرى، تاريخ اليعقوبى، و مناقب ابن‌شهر آشوب.

[۱۱۶] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ۲۵)، م. س. مخطوط.

[۱۱۷] يقول عنه الفرزدق الشاعر فى ديوانه (جزء: ۲ ص: ۱۳۷)، مصورا الجو المختنق الذى أحدثه الحجاج و أشعل نيرانه بين الناس: اذا ما بدا الحجاج للناس أطرقوا و أسكت منهم كل من كان ينطق ما هو الا بائل من مخافة و آخر منهم ظل بالريق يشرق و طارت قلوب الناس شرقا و مغربا فما الناس الا مهجس أو ملقلق.

[۱۱۸] راجع: تاريخ الأدب العربى ۲ / ۱۰، و ديوان أبى‌الأسود (ص: ۲۴۳)، و كتاب الأغانى للأصفهانى ۲۱ / ۳۳.

[۱۱۹].

[۱۲۰] جاء فى كتاب شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد (ج: ۳، ص: ۱۵) نقلا عن الامام الباقر عليه‌السلام فى وصف العهد الأموى: «ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعنى أهل البيت و شيعتهم - كل قتلة و أخذهم بكل ظنة و تهمة، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له أنه من شيعة على عليه‌السلام».

[۱۲۱].

[۱۲۲] كان الامام الصادق يحذر العلويين دائما من التصدى لطلب الحكم و ادارة البلاد فى ظل أجواء القمع و الفتنة التى كانت سائدة فى الساحة الاسلامية، التى لم تصل فيها الظروف بعد الى مستوى اعادة الحق الى أصحابه «فالأمر لم يأت بعد» على حد تعبيره عليه‌السلام.

[۱۲۳] سيرة الأئمة الاثنى عشر، لهاشم معروف الحسنى ۲ / ۳۲۱.

[۱۲۴] بحارالأنوار للمجلسى، ۴۹ / ۲۱۰، و تاريخ الخلفاء (ص: ۱۰۲).

[۱۲۵] راجع تاريخ الطبرى ۶ / ۳۲۰.

[۱۲۶].

[۱۲۷].

[۱۲۸] وجدنا - بعد الرجوع الى المصادر التاريخية المعتبرة - أن الحاكم المنصور كان يجوب كل أرجاء البلاد (بقراها و مدنها)، و ينشد مدحا بأميرالمؤمنين عليه‌السلام و ذكرا لمناقبه، و فضائله و مآثره، و كان الناس يوصلونه بالمال، و يمدونه بأسباب القوة و الدعم المادى؟!.

[۱۲۹] راجع: كتاب عصر المأمون (ج، ۱، ص: ۹۳).

[۱۳۰] راجع: تاريخ اليعقوبى ۳ / ۱۲۱، و تاريخ الطبرى ۳۱۹/۹.

[۱۳۱] راجع: تاريخ ابن‌الأثير ۴ / ۳۵۵، و تاريخ اليعقوبى ۲ / ۳۹۲.

[۱۳۲] راجع أخبار الدول (ص: ۱۱۳) نقلا عن (الأئمة الاثنا عشر) لعادل الأديب (ص: ۱۸۹).

[۱۳۳] تذكرة الخواص (ص: ۳۵۹).

[۱۳۴] راجع تاريخ الخلفاء، و تاريخ السيوطى، و أخبار الدول، و تاريخ ابن‌الأثير.

[۱۳۵].

[۱۳۶] راجع تاريخ الطبرى، ۱۰، ص ۱۴۶)، و النزاع و التخاصم للمقريزى (ص: ۵۲).

[۱۳۷] يبدو أن الدافع الحقيقى وراء هذا التصرف الاجرامى من قبل المنصور، هو رغبته فى أن ينهج الخلفاء من بعده نهجه و أسلوبه العنيف و القاسى تجاه العلويين و كل من يشكل خطرا على عروشهم و وجودهم.

[۱۳۸] راجع الحياة السياسية للامام الرضا للسيد: جعفر مرتضى (ص: ۸۸).

[۱۳۹].

[۱۴۰].

[۱۴۱] الحسنى، سيرة الأئمة، (ج: ۲، ص: ۳۲۵)، م. س.

[۱۴۲].

[۱۴۳] راجع: الأغانى، مقاتل الطالبيين للأصفهانى.

[۱۴۴] راجع كتاب الكافى للكينى، و سيرة الأئمة الاثنى عشر (ج: ۲، ص: ۳۲۹)، م. س.

[۱۴۵] لاحظ الخوف و الرعب النفسى من وهج الحق الذى كان يضىء حياة أئمتنا (ع)، الخوف و الخشية الفطرية - اذا صح التعبير - الموجودة فى كينونة أى انسان، انها نقطة الضعف التى تترصد الفرصة السانحة لتظهر، لأن الحاكم كان يدرك أنه على باطل و أن الامام على حق، فخاف من مجرد رؤيا رآها فى نومه، فحاول من بعدها أن يثبت حسن نواياه تجاه الامام عليه‌السلام باطلاق سراحه.

[۱۴۶].

[۱۴۷].

[۱۴۸].

[۱۴۹] كتاب المأمون (مجلد: ۱).

[۱۵۰]، و هنا أنقل من تلك المصادر الرواية التالية عن لهو و عبث الرشيد و أعوانه من ولاة و وعاظ السلاطين: وقعت ذات مرة فى نفس هارون جارية من جوارى المهدى فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، ان أباك قد طاف بى، لكنه شغف بها فأرسل الى أبى‌يوسف قاضية الشهير و الملقب «بفقيه الأرض و قاضيها!» فسأله هارون: أعندك فى هذا شىء؟ و جاءه الجواب: «أهتك حرمة أبيك، و اقض شهوتك، و صيره فى رقبتى»، (لاحظ استعداد الفقيه السلطانى لاصدار أى فتوى ارضاء لشهوات الحاكم)، و قال الرشيد لأبى يوسف: انى اشتريت جارية، و أريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة؟! قال: «نعم! تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها!». (راجع تاريخ الخلفاء، ص: ۲۸۶ - ۲۸۴).

[۱۵۱] راجع تذكرة الخواص لابن الجوزى، تاريخ المسعودى (ج: ۲) سيرة الأئمة للشهيد مطهرى، (ص: ۱۴۳).

[۱۵۲] انظر: سيرة الأئمة للشهيد مطهرى، و سيرة الأئمة الاثنى عشر: ۲ / ۱۵۰.

[۱۵۳].

[۱۵۴] كان هارون يحسد الامام موسى على موقعه الاجتماعى و يشعر بالخطر منه، فى كل لحظة، مع أنه عليه‌السلام لم يكن فى مراده القيام بثورة أو بأى تحرك سياسى - كما قلنا سابقا - لكنهم هم (أنفسهم) شخصوا (كونهم على باطل و الذى يكون على باطل يشعر، بشكل دائم، بأن الواقع يهتز من تحته) بأن الامام قد أعلن ثورة عقائدية ضدهم.

[۱۵۵] الشهيد: مرتضى مطهرى، سيرة الأئمة (ص: ۱۴۹).

[۱۵۶] المناقب، ج ۲،۳۸۱.

[۱۵۷].

[۱۵۸] نلاحظ هنا أن هارون يعتذر، و كأنه يستطيع أن يكذب على الله تعالى و النبى (ص)؟!.

[۱۵۹] لا تزال هذه النغمة (الذريعة) سائدة حتى أيامنا الحالية فى أوساط الحكام و القيادات فى بلادنا العربية و الاسلامية، التى تتذرع دائما بالمصلحة العليا للبلد من أجل تحقيق مصالحها الخاصة فى الرئاسة و الحكم و البقاء على رأس السلطة و الوقوف فى وجه كل من تسول له نفسه حتى فى مجرد التفكير برفض الواقع القائم بوعيه و قلبه.

[۱۶۰] راجع: ارشاد الشيخ المفيد، و تاريخ المسعودى (ج: ۲)، و سيرة الأئمة، للشهيد مطهرى (ص: ۱۴۵).

[۱۶۱].

[۱۶۲] راجع المناقب (ج: ۲)، و ارشاد الشيخ المفيد.

[۱۶۳].

[۱۶۴] المكاسب للشيخ الأنصارى (باب الولاية من الجائر)، و معجم رجال الحديث ۹ / ۱۲۲.

[۱۶۵] عادل الأديب (ص: ۱۹۳).

[۱۶۶] راجع سيرة الأئمة الاثنى عشر للحسنى (ص: ۳۲۲)، حيث أورد الكاتب هناك، نقلا عن مرويات مشهورة، حديثا عن هذه النقطة بالذات.

[۱۶۷] رجع المناقب، و تاريخ ابن‌الأثير، و سيرة الأئمة للشهيد مطهرى (ص: ۱۴۹).

[۱۶۸] الواقعية التى لا تعنى السكون و الاسترخاء و الانهزام أمام الأمر الواقع كما هو، بل التى تعنى تغيير الواقع بأدوات الواقع. الواقعية تعنى أيضا أن تركز عناصر القوة فى نفسك و أمتك، فى سياستك و فكرك و اعلامك لتحمى نفسك و ترعى أهدافك و لتفرض، على الذى يريد أن يضطهدك و يضطهد وجودك و يفترس أهدافك، أن يعود انسانا من خلال ضغطك عليه كوسيلة لحماية انسانيتك.

[۱۶۹] المناقب (ص: ۴۵۳).

[۱۷۰] المناقب (ص: ۴۵۳).

[۱۷۱].

[۱۷۲].

[۱۷۳] تحدثنا عن هذه المسألة بالتفصيل عند مناقشتنا لدور الكاظم (ع) فى حقل العقيدة الاسلامية و الدفاع عن القيم الاسلامية الأصيلة.

[۱۷۴] عادل الأديب، الأئمة الاثنا عشر (ص: ۱۹۴).

[۱۷۵] أحد العاملين فى حقل الاستشراق.

[۱۷۶] راجع الحضارة الاسلامية (ج: ۱، ص: ۱۲۷).

[۱۷۷] م. س، ص: ۳۸۷.

[۱۷۸] السيد عبدالله الغريفى، التشيع: نشوءه - مراحله - مقوماته (ص: ۲۴۴) دار الموسم للأعلام - بيروت، ط: ۲، عام ۱۹۹۱.

[۱۷۹] المناقب، (ج: ۲، ص: ۳۸۱)، نقلنا هذا الحديث فى موقع آخر من الكتاب.

[۱۸۰] التشيع، م. س (ص: ۲۶۸).

[۱۸۱] قلنا سابقا: ان ذلك قد حدث مع على بن يقطين فقط من خلال سماح الامام له بالدخول الى الجهاز الادارى لنظام هارون، و هو يلحظ بذلك مصلحة عليا للاسلام و المسلمين.

[۱۸۲] قد يتحفظ بعضهم على استخدامنا لهذه المفردة، لكننا نقول: انها زعامة فكرية و عقائدية و شرعية تتأصل بالاسلام و تنمو بنموه و امتداده فى ساحة الحياة، و هى، من خلال ذلك، ليست زعامة تقليدية بالمعنى السائد و المتداول هنا و هناك.

[۱۸۳] ليس فى الظروف المعقدة التى عاشها الامام الكاظم و انما فى مستقبل الدعوة على مستوى التكامل النوعى بين الأدوار و المواقف و الرؤى و الأهداف التى سعى أهل البيت الى تجسيدها و تنفيذها.

[۱۸۴] طبعا هناك مشاكل و عقبات و تحديات و متغيرات ذاتية و موضوعية مختلفة تقف فى وجه هذا الطرح المشروع على الصعيد

الذاتى و الموضوعى، درسنا بعضها فى مباحث سابقة و سنقوم بدراسة و تحليل بعضها الآخر، لاحقا، فى الباب الثانى من هذا الكتاب ان شاء الله، و ذلك على ضوء و عينا و استلهامنا لتجربة الكاظم عليه‌السلام فى حقل الفكر و التاريخ و العقيدة.

[۱۸۵] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ۱۰۵)، م. س. مخطوط.

[۱۸۶] كامل الزيارات باب ۴۳، ۵۰ و ثورة الحسين فى الوجدان الشعبى، (ص: ۶۵،۶۶). لسماحة الشيخ: محمد مهدى شمس الدين (نقلنا هذا الحديث فى مبحث سابق).

[۱۸۷] السيد: عبدالله الغريفى، التشيع (ص: ۲۴۵).

[۱۸۸] نبيل على صالح، وجع الحرية (ص: ۱۰۶).

[۱۸۹] العلامة السيد: محمد حسين فضل الله، صحيفة السفير اللبنانية، ۲۷ / ۵ / ۱۹۹۷.

[۱۹۰] العلامة الشيخ: محمد مهدى شمس الدين، صحيفة السفير، ۲۷ / ۵ / ۱۹۹۷.

[۱۹۱] قوله تعالى: (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب)، و هذا هو دور القصة أو الواقعة التاريخية - دور العبرة أو الدرس - الذى يمكن أن يستوحيه العاملون من التاريخ الماضى لمصلحة التاريخ الحاضر و المستقبل.

[۱۹۲] يبدو أنه من الممكن أن نفشل و فق ما نشاهد و نقرأ و نحلل، طبعا ليس بسبب النظرية الانسانية الاسلامية، بل بسبب سلوك المسلمين و غياب (تغييب) ارادتهم وضعفها و ارتهانها للخارج.

[۱۹۳] من قبيل ضرب الرؤوس و الأجساد بالسلاسل و الحديد، التى انطلقت من مبادرات شعبية استثارت عواطف الناس فقلدوها و تأصلت فى واقعهم فأصبحت من المقدسات، حيث لا تزال قطاعات شعبية (و حتى نخبوية) كثيرة من الشيعة على ممارستها بالرغم من صدور بيانات و فتاوى علمائية من أرفع مراجع المسلمين فى العالم بتحريمها و ضرورة الابتعاد عن ممارستها لكن بعضهم يظن، واهما، أن تنقية و تهذيب الاحياء العاشورائى هو مس فى المضمون الداخلى و العاطفى لعاشوراء، مع العلم أن تلك الأفعال و الممارسات لا علاقة لها بالشريعة و الاسلام لا من قريب و لا من بعيد، لأن الشريعة لا تقول لك: اضرب رأسك و اهدر دمك على التراب، لكنها تقول لك، بمعنى من المعانى، اذهب و تبرع بدمك للمحتاجين، و بذلك تقدم للناس صورة مضيئة عن الامام الحسين (ع) و تشاركهم، انسانيا، مشاركة حسينية واعية و ملتزمة.

[۱۹۴] لأن الاعلام بات يشكل قوة أساسية فى هذا العصر الذى أصبح فيه العالم كقرية صغيرة.

[۱۹۵] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ۱۰۸).

[۱۹۶] الذى ظهر من خلال ريادته الفكرية و الاجتماعية، و مواقفه و أفكاره المتحركة فى مناظراته و أحاديثه التى تحدثنا عنها فى موقع آخر من هذا الكتاب.

[۱۹۷] السيد الغريفى، التشيع، (ص: ۲۶۶). م. س.

[۱۹۸] نبيل صالح، نور الولاية، (ص: ۱۷۵).

[۱۹۹] المكان الشاهق.

[۲۰۰] الكافى ج: ۱ (ص ۱۱۰ - ۱۰۹) نقلنا هذا الحديث سابقا.

[۲۰۱] قمنا فى موقع سابق من هذا الكتاب بدراسة و تحليل هذه الثورة و كيفية و عيها و استلهامها على ضوء قضايانا المعاصرة.

[۲۰۲] فى اشارة الى حديث أميرالمؤمنين عليه‌السلام أنه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، و بقى عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس. و قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: ان أفضل الجهاد من جاهد نفسه التى بين جنبيه، (وسائل الشيعة للحر العاملى، ط: دار احياء التراث العربى: ۱۱ / ۱۲۴).

[۲۰۳] تحف العقول، (ص: ۳۰۲).

[۲۰۴] تحف العقول: (ص: ۲۹۱).

[۲۰۵] م. س (ص: ۳۰۳).

[۲۰۶] يعبر الوجود الذهنى فى داخل الانسان عن شيئين: الأول: الفكر، أى الذى يمثل جملة التصورات و المفاهيم المختزنة عن الهدف و الغاية. و الثانى: الارادة أى الطاقة الكامنة فى ذات الانسان التى تحفز (الانسان) للحركة باتجاه الغاية فى المستقبل.

[۲۰۷] ان التفاعل و الامتزاج الوجودى بين الفكر و الارادة يحقق فاعلية المستقبل فى تحريك النشاط التاريخى الانسانى على الساحة الاجتماعية و السياسية.

[۲۰۸] الامام الشهيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، التفسير الموضوعى و الفلسفة الاجتماعية فى المدرسة القرآنية (ص: ۱۱۵).

[۲۰۹] أى جهاد النفس و البدن.

[۲۱۰] جهاد العدو الداخلى و الخارجى.

[۲۱۱] تحف العقول...(ص: ۲۹۴).

[۲۱۲] يبدو أن تلك الصفات و الخصائص النفسية و السلوكية الخاصة، التى من الضرورى أن تتسم بها شخصية الانسان المسلم، لا تزال غريبة و بعيدة المنال عن كثير من الاسلاميين المعاصرين الذين قد يكونون من الناس الذين ينظرون لهذه الأخلاق ولكنهم لا يعيشونها بعمق و وعى لأنهم لم يتربوا عليها؛ الأمر الذى يجعلهم يمتلكون مزاجا حادا و انفعاليا قد تتزايد حدته و وتيرته بفقدان هؤلاء للنضوج الحركى الناشىء من التجارب التى تهىء، للانسان المسلم الملتزم، الكثير من الأوضاع النفسية و الشعورية فى ساحات الصراع و المعاناة.

[۲۱۳] يجب ألا- تمس المصلحة الثوابت المبدئية و الطروحات الأساسية (من قيم و مبادىء و ضوابط معيارية و مركزية) لأنه يمكن اقامة نسيج من علاقات سياسية و من تحرير و عدالة و حرية و مقاومة العدو و مواجهة السياسات الخارجية التى تريد فرض هيمنتها على الواقع العربى و الاسلامى، من هنا تعطى القيمة - التى تفهم فى اطارها الواقعى المتزن - قوة للموقف العملى المتحرك على أرض الواقع كونها جاءت لتخدم الانسان و لتساهم فى تركيز و تثبيت انسانيته فى الحياة البشرية و تعمل على حمايته من نقاط ضعفه؛ الأمر الذى يجعل (القيمة) تعطى الانسان حرية الحفاظ على قضاياه المصيرية الكبرى من دون اسقاط المبادىء و القيم نفسها.

[۲۱۴] و ذلك من خلال العمل الدؤوب على الدخول الى الهياكل المتنوعة للمؤسسات الديمقراطية من أجل الوصول الى مواقع متقدمة هناك ليسهل، من خلال ذلك، العمل على تحريك قواعد النظام و الاتجاه السياسى فيه الى اتجاهات جديدة منفتحة تلتقى بالتطلعات الاسلامية للانسان، فيما تتحرك نحوه من تغيير لبعض آفاق و محاور الواقع المحلى و الاقليمى فى افساح المجال للأجيال الطالعة أن تنمو فى الاتجاه السليم، و مواجهة القوى التى تعمل على اضعافها و تحجيم مواقعها.

[۲۱۵] اننا عندما ندرس الكاظم عليه‌السلام فى مرحلتنا الراهنة، التى نعايش مفاهيمها و تلوناتها و اختلافاتها، فاننا نريد أن ندرس طبيعة الخطوط الفكرية التى أرادنا عليه‌السلام أن ننطلق باتجاهها، و نستهدى بها على خط الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم‌السلام لأن دورنا كأمة و أفراد و مجتمع فى علاقتنا مع فكرنا و مع أئمتنا، هو دور الأمة التى تعيش مع أهل البيت عليهم‌السلام فى امتداد حركتها فى الحياة، و فى تصوراتها الفكرية و المفاهيمية، و فى علاقاتها بكل المسؤوليات التى تتحملها، و فى معرفتها العميقة بالقيم الاسلامية.

[۲۱۶] نبيل على صالح، وجع الحرية (ص: ۱۱۴) م. س.

[۲۱۷] يراجع بهذا المضمون: المحجة البيضاء للفيض الكاشانى (ج: ۴، ص: ۲۶۶) و ما بعدها، و الفصول المهمة، و مناقب آل أبى‌طالب لابن شهر آشوب، و كشف الغمة، و بحارالأنوار (ج: ۶، ص: ۶۶) و ما بعدها، الخ.

[۲۱۸] سمى كذلك لأنه كظم الغيظ و صبر على ما أحيط به من البلاء، و فى رواية ابن‌الجوزى فى تذكرته أنه سمى الكاظم لأنه كان

اذا بلغه عن أحد سوء بعث اليه بمال يغنيه.

[۲۱۹] الارشاد للشيخ المفيد (ص: ۲۷۷).

[۲۲۰] الارشاد للشيخ المفيد، (ص: ۲۷۸).

[۲۲۱] ابن‌طلحة، مطالب السؤول (ص: ۸۳)، نقلا عن المحجة البيضاء للفيض الكاشانى (ج: ۴، ص: ۲۶۶).

[۲۲۲] تاريخ بغداد ۱۳ / ۳۱.

[۲۲۳] م. س.

[۲۲۴] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ۴۹) مصدر سابق.

[۲۲۵] تحف العقول، (ص: ۳۰۲)، م. س.

[۲۲۶] العلامة السيد: محمد حسين فضل الله، فكر وثقافة (۹ / ۱۱ / ۱۹۹۶،) ۲۰ م.

[۲۲۷] وجع الحرية (ص: ۴،(، م. س.

[۲۲۸] تحف العقول، (ص: ۲۹۲).

[۲۲۹] م. س. (ص: ۲۸۸).

[۲۳۰] تحف العقول (ص: ۲۹۲).

[۲۳۱] المصدر نفسه (ص: ۲۸۵).

[۲۳۲] أى عابه.

[۲۳۳] تحف العقول: (ص: ۳۴)، م. س.

[۲۳۴] فعلى الصعيد العالمى: اتصفت هذه المرحلة بتحولات على أكثر من صعيد، و ضمن عدة محاور لعل أبرزها اكتشاف «التقنية الحيوية» و الهندسة الوارثية» أو ما اصطلح على تسميته «بالبيوتكنولوجيا» الذى أثار جدلا واسع النطاق فى أوساط علماء القانون و الأخلاق و الاجتماع. أما على صعيد الفكر و الفلسفة: فقد شهدنا سقوط و انهيار أكبر أيديولوجية وضعية فى العصر الحديث و هى الماركسية و الاشتراكية العلمية. أما على الصعيد العسكرى و الأمنى: فقد كانت حرب الخليج الثانية عام (۱۹۹۰ م) مسرحا حقيقيا لصراع التكنولوجيا المتطورة و الالكترونيات الحديثة و التقنية الاعلامية «فائقة السرعة» بالاضافة الى صراع المصالح و النزاعات السياسية و الاقتصادية و الثقافية، الأمر الذى خلق تحولات فى نظم و قيم المجتمع الثقافية و القانونية و الاقتصادية، و أحدث تداعيات وانهيارات عربية و اسلامية تمظهرت، فى أعلى تجلياتها، بمسيرة التسوية المزعومة بين العرب والكيان الصهيونى، و فتح المجال لشرعنة وجود اسرائيل فى قلب المجتمع العربى و ما يمليه ذلك من تحولات سلبية ضد مصالح العرب و المسلمين.

[۲۳۵] أقصد بكلمة «التقدم» هنا، استمرارية الجهاد الأفغانى ضد الوجود الشيوعى فى أفغانستان حتى انتصاره عليه فى مطلع التسعينات، و لا أعنى بها مطلقا تقدم الفكر أو المعرفة عند أولئك، بل على لعكس من ذلك فقد دخل هؤلاء الأفغان «المسلمون!؟» فى صراعات قبلية و عرقية و عشائرية دموية طاحنة ضد بعضهم البعض بعد اخراجهم للسوفييت من بلادهم.

[۲۳۶] هذا لا يعنى، اطلاقا، انخراط المثقف فى ثقافة التسوية التى أصبحت جزء من ثقافة الغرب المعاصر، بل يعنى وعى و دراسة الشروط و المقومات الذاتية و الاحضارية لهذا الانخراط، عبر تحديدنا للأطر أو البنى أو النواة الفكرية أو الحضارية أو السلوكية التى تشكل جوهر الثقافة و جوهر الشخصية الحية فى تمايزها عن الآخرين، و هذا التحديد هو الذى يسمح، دون قلق، بالانفتاح و الانخراط فى الواقع و العصر، حيث أنه كلما كانت شروط و نظام المناعة فى داخلنا قويا تصبح قدرتنا على استيعاب الأشياء الخارجية، ثقافية كانت أم غير ثقافية، أكثر حيوية و دينامية، و يصبح انخراطنا فى الواقع العصرى هادفا و مدروسا.

[۲۳۷] الشهيد السعيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، التفسير الموضوعى و الفلسفة الاجتماعية (ص: ۱۵۲)، م. س.

[۲۳۸] النقد الذى ينطلق - كما ذكرنا سابقا - من خلال وعى الحركة الاسلامية لنقاط ضعفها فى داخلها، لا من خلال أن تنتظر المتغيرات السياسية و الدولية و الاقليمية لتراجع حساباتها و تفكر فى أوضاعها الصعبة التى تتحداها من الخارج.

[۲۳۹] تحف العقول (ص: ۲۹۰).

[۲۴۰] م. س (ص: ۲۹۰).

[۲۴۱] بحيث يجب أن يعمل الانسان على الأخذ بأسباب العلم و المعرفة و بكافة صورهما.

[۲۴۲] يمثل العلم - فى نظر الاسلام - القيمة التى تقسم الناس الى قسمين: فى الجانب الايجابى و فى الجانب السلبى، فالقيمة الايجابية هى قيمة العلم، و القيمة السلبية هى قيمة الجهل، (قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون).

[۲۴۳] يتحدث القرآن الكريم عن الذين يملكون أعينا لا يبصرون بها و يملكون آذانا لا يسمعون بها و يملكون قلوبا لا يفقهون بها، و يبدو أن تركيز القرآن على السمع و البصر، باعتبارهما عنصرين من عناصر حركة التجربة الحسية، يعنى أنه يقدمهما كنموذج للعنصر التفكيرى الحسى، الى جانب تركيزه على العقل كأداة فكرية عملية، مما يفيد بأن المنهج الاسلامى السليم فى الوصول الى المعرفة هو هذا المزيج بين الحس و العقل، بين تجربة تنفتح على عقل و عقل يتغذى من خلال تجربة.

[۲۴۴].

[۲۴۵].

[۲۴۶] مجلة المستقبل العربى (ص: ۱۳۶) م. س.

[۲۴۷] مجلة المستقبل العربى (ص: ۱۳۶).

[۲۴۸] د. برهان غليون: حقيقة الحداثة و اعاقتها، و الغدر بوعودها، (صحيفة الحياة، ص: ۱۷) تاريخ ۲۹ / ۸ / ۱۹۹۷.

[۲۴۹] تحف العقول (ص: ۲۹۱).

[۲۵۰] م.س.

[۲۵۱] الكافى (ج: ۲، ص: ۱۲۰).

[۲۵۲] عن السبب الحقيقى للأزمة الواقعة هناك؟ و من هو المسؤول عن تلك المجاز الرهيبة التى تحدث؟ و هل صحيح - كما تقول بعض وسائل الاعلام - أن الاسلاميين و الجماعات المسلحة هناك هى المسؤولة الأولى و الأخيرة عن ذلك الوضع المأساوى الفظيع؟.

[۲۵۳] الارهاب مفهوم نسبى، يعنى - حضاريا (بالمعنى السلبى الكلمة) - أن تندفع لتقتل انسانا أو لتنهب ماله أو لتخطفه من خلال حالات ذاتية فردية تتصل بمنافعك و مصالحك الخاصة أو تحقيق مشاريعك القائمة على أساس العنصرية و القهر و الاستعباد، و ما يحدث فى العالم الغربى من تزايد حالات الجريمة و العنف و الارهاب (ارهاب أفراد المافيا و عصابات الاجرام و المخدرات) هو دليل ساطع على أن العالم الغربى، و أمريكا خصوصا، هو بؤرة الارهاب، حتى أنها شرعت لنفسها قانونا يخولها أن تخطف أى شخص فى العالم مطلوبا للقضاء الأمريكى بعيدا عن رضا هذه الدولة أو تلك. ان الدليل الأبرز و الأوضح على تورط الادارات السياسية الغربية فى قضايا الارهاب هو أن أغلب حلفاء الغرب - و لا سيما حلفاء أمريكا - فى العالم الثالث هم أكثر الحكام و الأنظمة انغلاقا و ارهابا و مصادرة للحريات.

[۲۵۴] قد يتبادر لأذهان بعض القراء أننا نخرج - بهذا النوع من التحليلات السياسية من واقع حياتنا المعاصرة - عن سياقات بحثنا حول حياة و فكر و شخصية الامام الكاظم عليه‌السلام، لكننا نحب أن نذكر الجميع بأننا قد أكدنا - فى بداية هذا الكتاب (تحديدا فى مقدمته) - أننا سنعمل على استلهام تجربة الكاظم عليه‌السلام و دراسة فكره و مواقفه فى مواجهته لواقعه المنحرف و الفاسد بكل السبل و الوسائل الفكرية و العلمية التى أتيحت أمامه، و نحن هنا نعيش فى واقع منحرف و ظالم و متغير نجد أنفسنا أمام الأهداف

نفسها التى سعى امامنا عليه‌السلام الى تحقيقها فى مواجهة الظروف و المشاريع التفتيتية و الاذلالية - ان صح التعبير - لذلك من الطبيعى أن نعمل على تحليل واقع حياتنا المعاصرة، بمتغيراته و مستجداته، حتى نمتلك أسس مواجهتها و اسقاطها فى المستقبل القريب أو البعيد.

[۲۵۵] مصطلح «جغرافى -سياسى» اقترن بالدراسات الأمريكية عن المنطقة العربية و الاسلامية، يجمع بين «الجغرافيا - السياسة»، و قد تم طرحه فى سياق مفاوضات التسوية بين العرب و اسرائيل التى انطلقت فى مدريد ۳۰ / ۱۰ / ۱۹۹۱، و هو يعنى جغرافيا وجود اقليم يتوسط دائرة تضم قارات آسيا و أفريقية و أوربا، تغيرت دلالتها الجغرافية ما بين اتساع و ضيق بحسب تطور المفهوم نحو الغرب، أما سياسيا فهو يعنى وجود نظام سياسى اقليمى جديد فى المنطقة يعطى الكيان الصهيونى امكانية الدخول و الاندماج فى الجسم الاجتماعى و السياسى للمنطقة فى اقامة مشروعات اقتصادية و سياسية و أمنية تجعل اسرائيل على رأس المستفيدين منها. اذا يعتبر هذا المصطلح عن دلالة سياسية دقيقة الصلة بالسياسة الاستعمارية الغربية التى أوجدته و اعتمدته.

[۲۵۶] من قبيل التطرف و التعصب و الأصولية و الارهاب.

[۲۵۷] ليس معنى أن تكون واقعيا فى تفكيرك و فى سلوكك و فى التزامك للقيمة، أن تنحنى أمام الأمر الواقع و تخضع له و تسلم لقدره المحتوم لكن ان معنى واقعية القيمة و الفكر، أن تحاول اكتشاف وسائل و أساليب و خيارات عملية واضحة المعالم و الخطوط لحركة القيمة فى الواقع، أن تتحرك عمليا من أجل تغيير الواقع بأدوات الواقع التى تحتاج الى من يصنعها و يحركها و يصبر عليها و على ثمنها الباهظ.

[۲۵۸] العلامة السيد: محمد باقر الحكيم، نظام العلاقات الاجتماعية، مجلة رسالة الثقلين، (عدد: ۱۶، ص: ۳۲).

[۲۵۹] تحف العقول (ص: ۲۹۴) م. س.

[۲۶۰] تحف العقول (ص: ۳۰۲).

[۲۶۱] يعنى الهلاك.

[۲۶۲] تحف العقول، (ص: ۲۸۶).

[۲۶۳] م. س، (ص: ۲۹۵).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا - علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ - إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ - بأصبَهانَ، إيرانَ - قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ - دامَ عِزّهُ - و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ

المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹